لبنان في القرون الوسطى

الجزء الأول

من الفتح العربي-الإسلامي الى الإحتلال الفرنجي
(١٣-٤٩١-٦٣٤-١٠٩٨)



الياس القطّار
أ. د. في التاريخ
كلية الآداب - الجامعة اللبنانية

بيروت - ٢٠٠٣

لبنان في القرون الوسطى

الجزء الأول

من الفتح العربي- الإسلامي إلى الاحتلال الفرنجي
(١٣-٤٩١-٦٣٤-١٠٩٨)

الياس القطّار
أ.د. في التاريخ
كلية الاداب –الجامعة اللبنانية

بيروت
٢٠٠٣

المحتوى

مقدمة عامة

لبنان من الفتوحات إلى العهد الفاطمي، هو الجزء الاول من سلسلة من ثلاث اجزاء تشمل الحقبة التي اصطلح على تسميتها عالميا بالقرون الوسطى، وعربيا وإسلاميا بالعهد الإسلامي الكلاسيكي.

يحتوي الجزء الاول على الوقائع التاريخية السياسية والعسكرية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية التي جرت على ارض الجمهورية اللبنانية الحالية في القرون الوسطى. ومن البديهي القول بأنّ نِسب الوقائع المذكورة أعلاه في الدراسة تختلف من حقبة إلى حقبة، ولا تتوازى فيما بينها بسبب طبيعة الاصول والمصادر الموجودة بين أيدينا . لذلك، فإن المواضيع الاقتصادية والثقافية والاجتماعية لا تحتلّ المكان والحجم نفسه الذي تحتله الوقائع السياسية-العسكرية. وأسباب ذلك متنوعة، ومنها:

-ضحالة المواضيع الخارجة عن الاطار السياسي-العسكري، في المصادر العربية.

-عدم اهتمام المصادر العربية-الإسلامية بالتأريخ للارياف التي كانت مهمّشة على كلّ الصعد في الحضارة العربية.

-عدم وجود محفوظات تساعد على الغوص في هذه الدراسات الحديثة التوجّه.

-عدم الاهتمام بالجماعات الخارجة عن جماعة السلطة المقيمة في المدن.

فقد لبنان في القرون الوسطى الدور الذي عرفه في التاريخ القديم، حتى في ظلّ الدول التي سيطرت عليه وكان اخرها الامبراطورية الرومانية بعهديها: الغربي ثم الشرقي البيزنطي، واصبح منطقة هامشية، كان لها دور معقول في ظلّ الحكم الاموي، تلاشى بصورة واضحة في ظلّ الحكم العباسي، ليصبح مسرحا للصراعات العسكرية المتوالية في عهد الدويلات وفي خضمّ الصراع الفاطمي العباسي فالسلجوقي. ولذلك، فالصورة التي سنعرضها عن لبنان هي صورة مبتورة الجوانب تطغى فيها المعلومات عن هذه الحقبة على تلك وعن هذه الجماعة او الطائفة عن تلك، والصورة مقطعة الاوصال ترميمها يقتضي مصادر اخرى، لا يبدو انها ستكون في خدمتنا في زمن من الازمان. برغم ذلك، فقد سعينا جاهدين لتقديم صورة اقرب ما تكون إلى الحقيقة وجمعنا اشلاءها بافضل ما يمكن، وان يكن قد تغاضينا عن الغوص في بعض الانشطة التي قام بها لبنانيون على الصعيد الديني والثقافي، فذلك لان ما قدّمه هؤلاء العلماء وأرباب

القلم لا يستحق العناء اللازم، وليقيننا انه لا يكفي ان يكون المرء رجل دين، من أي دين كان، او ان يسعى في تحصيل العلوم الدينية من دون ان يقدّم اية اضافة إلى العلم، اللهم سوى تكرار ما قاله الاخرون، لينشر اسمه في سجلات التاريخ.

ما يلفت النظر في التأريخ للبنان في القرون الوسطى قلّة الدراسات التي عنيت بهذه الحقبة بالقياس على التاريخ القديم والتاريخ الحديث والمعاصر. والسبب في ذلك ندرة المعلومات من جهة وضحالتها، كما ذكرنا اعلاه، وعدم تتابعها وشمولها لكامل المناطق اللبنانية وللجماعات المكوّنة للكيان اللبناني، وعدم وجود مادة مشوّقة لكتابة تاريخ هذه الحقبة، تثير القرّاء من حيث غنى معلوماتها او ابعادها السياسية.

وأوّل من اهتم بتاريخ لبنان الوسيط، منذ الخمسينات من القرن العشرين، كان المؤرخ اللبناني الكبير كمال الصليبي الذي خصّ هذا التاريخ ومصادره العامة والكبرى بدراسات قيمّة وعلمية في المضمون وفي المنهجية.

وتلاه محمد علي مكي الذي سعى لجمع العديد من روايات المصادر العربية في رواية واحدة كان يلقننا إيّاها في محاضراته الدراسية في كلية التربية في الجامعة اللبنانية، وقد صادف ان جمعناها في كتيب لتسهيل حفظها، قيض له ان ينشر بتسرّع، بسبب الموت المبكر للدكتور المذكور، فجاء مسودة كتاب، لا كتاب علمي بكلّ معنى الكلمة.

وكانت اولى المحاولات التقميشية الشاملة جدا والواسعة الافق التي دخلت إلى صلب مصادر ثانوية وبعيدة جدا عن الموضوع، مجرية مسحا نادرا لمعلومات لبنان الوسيط، ما قام به الزميل عمر تدمري فاثمر موسوعة لتاريخ لبنان الوسيط ، إضافة إلى ما نشره من مصادر هذا التاريخ ومن كتب تختص بالعلماء المسلمين الذين عاشوا على الارض اللبنانية. وبرغم بعض الأخطاء في اسناد معلومات هذه الكتب، بسبب فيض النشر عند الاستاذ الزميل، وضعف الصرامة المنهجية احيانا، فقد استفدنا جدا من مؤلفاته التي أرشدتنا إلى ما لا يتبادر عادة إلى الذهن، فعمدنا إلى مراجعة كل معلومة وردت عنده في مصادرها، وأعدنا قراءة المصادر المذكورة لاستقراء ما سقط من عمل الزميل، وأضفنا اليها ما وقع بايدينا من معلومات اخرى في المصادر نفسها وفي مصادر اخرى، وحاولنا إعادة كتابة تاريخ لبنان بصورة منهجية موضوعية منضبطة متزنة واضحة عميقة مرنة من دون اسقاط الحاضر على الماضي او العكس، ومن دون شطط او ملل، ولم نسهب الاّ فيما يتعلّق بالمسائل الخلافية في تاريخ لبنان، وابتعدنا عن التطويل آفة المؤرخين الكبرى.

واخيرا، لا بدّ من تقديم الشكر للصديق الطالب اندره نصار الذي عمل على تصحيح الكتاب وضبط لغته واخطائه اللغوية والطباعية وكلّ سهو ممكن، وللصديق جورج نصار الذي عمل على رفد الكتاب بالمعلومات التي كانت ظروفي الصحيّة تحول بيني وبين الحصول عليها من المكتبات العامة، ولمساهمته في تصحيح نسخة الكتاب. وخالص الشكر للنسيب الدكتور معين رحال الذي ساهم في تصويب الاخطاء اللغوية. فلهم جميعا خالص الشكر.

كنت أتمنى ان أغني زيادة حقل استعلاماتي، وقد بادرت إلى ذلك في استقصائي للعديد من المخطوطات العربية في رحلات بهذا الخصوص إلى مصر وإلى باريس والفاتيكان، ولكن ظروف صحيّة اقعدتني حتى عن زيارة المكتبات العامة في لبنان، فجاء الكتاب في حلّته الحاضرة، التي برغم استحساني لها واعتبارها من افضل ما قدّم عن الموضوع منهجيا وعلميا، أخاف ان يشوبها نقص او اضطراب او تشويش أو لغط ما، واتمنى ان اتغلّب على كلّ ذلك في الجزء الثاني، مع الامل الكبير بمشيئة الله ورحمته ورعايته لي.

الياس القطّار

٢٠٠٢/٨/١٥

الفصل الاول

الإطار الجغرافي -السياسي
الفتح الإسلامي- العربي للبنان

أولا: الإطار الجغرافي

لبنان[١] مصطلح جغرافي اطلقه المؤرخون العرب على المنطقة الجبلية " السلسلة الغربية من جبال لبنان" المشرفة على البحر المتوسط، كما اطلقه المؤرخون البيزنطيون على المنطقة المأهولة الممتدة من جبال الامانوس حتى المدينة المقدسة، بما فيها سهل البقاع[٢]. امّا لبنان الحالي بمدنه الساحلية فلم يكن يحمل عند المؤرخين البيزنطيين الاّ اسم فينيقيا[٣].

ولبنان، هذا البلد الطريف والمتنوّع والمعقد في تركيبته الجغرافية والبشرية، هو في طليعة البلدان التي عرفت عبر تاريخها الطويل حركة مدّ وجزر مستمرّة في تكوينها السكاني.

والدوافع إلى ذلك متعدّدة، منها:

-وقوعه في قلب العالم القديم، وفي وسط طرق المواصلات التي تربط الشرق بالغرب والشرق ببعضه البعض.

-ارتفاع نسبة معدّل الامطار فيه، وبالتالي، ثروته المميّزة في الينابيع والجداول، بفضل جباله العالية الموازية للشاطىء، مما يسمح بريّ سفوحه الجافة خلال فصل الصيف، وزراعة الاشجار المثمرة :زيتون، عنب، وفواكه متنوّعة تعوّض قلّة الإنتاج من الحبوب.

-وجود الغابات التي تسمح برعي المواشي، وتأمين الخشب للتدفئة والوقود ولصناعة نوع من الأثاث للمنازل[٤].

-تركيبه الجغرافي المغاير للدول العربية. فبالقرب من البحر تستقيم سلسلة جبال موازية للشاطىء يصل ارتفاع قممها، في الشمال، إلى ما ينيف عن ثلاثة آلاف متر. وتقطع هذه السلسلة مجموعة ممرات تصل احداها، في الارز، إلى علوّ ٢٥٥٠ مترا، وفي صنين ٢٠٠٠ متر. وعند اجتياز هذه السلسلة ينبسط في الشرق سهل البقاع على علوّ ٨٠٠ إلى ١٠٠٠ متر، بعرض لا يتجاوز ١٥ كلم، ليصطدم بسلسلة جبال لبنان

---

[١] يستعمل البلاذري مصطلح لبنان وجبل لبنان للدلالة على المناطق التي سيطر عليها المردة- الجراجمة، البلاذري، احمد بن يحيى(ت٢٧٩/٨٩٢)، **كتاب فتوح البلدان**، نشره د. صلاح الدين المنجّد، مكتبة النهضة المصرية، ٣ اقسام، القاهرة ١٩٥٦،ق١، ص١٨٩-١٩١. طبعة اخرى في دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨، ص ١٦٤-١٦٥.

[2]Theophanes ,**Anni Mundi, The Chronicle of Theophanes**, An english translation by Harry Turtledove, University of Pennsylvania,1982, pp.53,59,61,62,121.

[3]Theophanes,op.cit.pp.6,34,38,45,59,80,93.

[٤] حول العوامل المشجعة على السكن في لبنان ، وبخاصة في معاقله الجبلية، هناك العديد من الدراسات، ومنها:
Et.de Vaumas ",Les conditions naturelles de l'occupation humaine du Liban", **Annales de géographie** 57(1948), pp40-49. P.Birot et J.Dresch, **La Méditerranée et le monde méditerranéen**, t.II,Paris1956, pp.213-216,229,265,294. F.Braudel, **La Méditerranée et le monde méditérranéen à l'époque de Philippe II**, 2t., Paris 1966, 2ème éd.t.I,pp13,24,27,29,31,35. P.Rondot, "Brèves reflexions sur les structures du Liban", **Orient** 6(1958)pp.23-36. D.Chevallier, **La société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe**, Paris,1971,p.3

الشرقية شبه القاحلة والصعبة الاجتياز. والكتلة الجبلية المجاورة للبحر تنبسط عند أقدامها سهول ساحلية ضيقة، وتجتازها وديان تجري فيها انهار دائمة، وتسهم في تأمين العزلة لسكانها الذين حوّلوا المنحدرات المتزحلقة جلولاً تنتشر كالسلالم على سفوح الجبال، وبنوا على تلالها الصعبة قرى ذات وضعية دفاعية [٥].

–تكوينه الجغرافي الذي يؤمّن لساكنيه: سهولة الاتصال عبر الشواطىء المتعرّجة، والتغذية من السهول الساحلية الضيقة ومن سهل البقاع في الداخل، والاستئثار بمناعة طبيعية في الجبال الصعبة المسالك التي كانت كسائر جبال المتوسط ملجأ لكل مضطهد او هارب من جور السلطات الحاكمة. ولقد تميزت جبال لبنان، اكثر من أي بقعة على المتوسط، باجتذابها للهاربين واللاجئين اليها، نظرا إلى ما تؤمّنه من ثنائية الاختباء والانفتاح في آن معا. فاللاجىء اليها بامكانه تأمين مقومات الحياة، في حدّها الادنى، والبقاء على اتصال بالعالم ومجرياته، عبر شبكة طرق المواصلات التي تربط الجبل بالداخل، وعبر المرافىء البحرية التي تصله بالخارج من جهة اخرى، مع المحافظة على ذاته من دون رقابة مباشرة ودائمة. فمقولة "الجبل الملجأ" التي اعطيت ابعادا سياسية متناقضة، كانت تصحّ بشكل فعلي في تاريخ لبنان على الجماعات التي هربت من الاكثريات السياسية او العرقية او الدينية ولجأت إلى لبنان لحماية ذاتها. وابسط تأكيد على ذلك وجدان سكان اواسط جبال لبنان، ابّان الحملات المملوكية عليهم، باعتبار انفسهم في حصن حصين في الجبال اللبنانية التي كانوا يعتقدون انها ارض "... لم يكن اهلها يظنون ان احدا يطأها[٦]".

فمنذ الماضي السحيق، كانت الجبال في الشرق، وفي حوض المتوسط، موئلا لغير المنسجمين، من مسيحيين او مسلمين: موارنة في صراع مع المونوفيزيين او بيزنطية، او شيعة على انواعهم مرفوضون من "الارثوذكسية" السنيّة. فهذه الاقليّات تمكّنت من البقاء في هذه الجبال، بطريقة شبه محافظة على ذاتها، بفضل قيادات محلّية حكيمة، دينية او زمنية او الاثنتين معا، منبثقة من رحم هذه الجماعات وخاضعة للسلطات الإسلامية.

نتيجة لهذه الاسباب ولغيرها، كان لبنان احد اقدم البلدان التي عرفت تنوعا معقدّا في اصوله السكانية: من شعوب ما قبل التاريخ، إلى الشعوب الاسيانية، إلى الكنعانيين الفينيقيين، إلى الشعوب التي غزته او حكمته في مراحل من تاريخه، كالمصريين، والحثيين، ودول بلاد ما بين النهرين، واليونان، والرومان، والبيزنطيين، إلى الارمن، والفرس، قبيل الفتح العربي، ثمّ العرب والقبائل العربية القديمة: من ايطوريين قبل

---

[٥] راجع ايضاحول تكوين لبنان الجغرافي: Paul Sanlaville, "La personalité géographique du Liban", **Revue géographique de Lyon**, Vol.44(1969)

[٦] صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، وهو اخبار السلف من ذريّة بحتر بن علي امير الغرب ببيروت، اشرف على تحقيقه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي، وغيرهما، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت١٩٦٩ ، ص٢٨.

الميلاد، إلى الأنباط الذين اخذت مدينة النبطية اسمها منهم، إلى بني عاملة وبني تيم الله بن ثعلبة الذين أعطوا اسمهم لمناطق من لبنان قبيل الفتح العربي او أثناء ذلك.

ثانيا-الفتح الإسلامي- العربي للبنان

توحّدت الجزيرة العربية بعدما أنهى الخليفة ابو بكر الصدّيق(١١-١٣/٦٣٢-٦٣٤) حروب الردّة التي عصفت بالدولة الإسلامية الناشئة اثر موت النبي محمد، وجعلت بعض القبائل والمناطق تنكص بولائها للدين الجديد. فرأى ابو بكر، بعدما استتبت السلطة له، ارسال جيوش المسلمين إلى الشام، فوجه نداءه إلى المسلمين من أهل مكّة والطائف واليمن وجميع العرب في نجد والحجاز يستنفرهم للجهاد ويرغبّهم فيه وفي غنائم الروم. وبحسب رواية البلاذري[٧]، احد اهمّ مؤرخي الفتوح، سارع الناس اليه بين محتسب وطامع، واتوا المدينة المنورّة من كل أوب. فعقد في مستهل شهر صفر سنة١٣/٦٣٣، ثلاثة الوية لكلّ من عمرو بن العاص، و يزيد بن أبي سفيان، وشرحبيل بن حسنة، في كلّ منها ٣٠٠٠ رجل . ولم يزل ابو بكر يتبعهم بالإمداد حتى صار مع كلّ أمير ٧٥٠٠، ثم تنامى جمعهم بعد ذلك أربعة وعشرين الفا.

وأمر أبو بكر عمرو بن العاص ان يسلك طريق آيلة (العقبة) إلى فلسطين، وان يتجه الأخيران إلى تبوك، ومنها يتفرّع أحد الألوية إلى الأردن، والآخر إلى دمشق. امّا ابو عبيدة الذي اصبح القائد الأعلى للمسلمين فيما بعد، فقد جاء للمشاركة في الفتح على رأس بعض الإمدادات.

أ- أسباب الفتح

أسباب الفتح كانت كثيرة، ومنها:

١-الدعوة إلى الجهاد في سبيل نشر الإسلام.

٢-الطمع بغنى بلاد الروم، وبخاصة في بلاد الشام التي كانت تشكّل ثقلا حضاريا واقتصاديا وحياتيا، والتي كانت الاهمّ جغرافيا واقتصاديا بالنسبة إلى الحجاز والعرب الذين كانوا يعرفونها عن كثب وخبروها في تجارتهم ورحلاتهم اليها. لذلك سارعوا إلى الحرب وهم يجرون الحسابات، ويطمعون بالخير الوفير بالقياس إلى بلادهم المحدودة الانتاج.

٣-الرغبة في إستثمار نار الزخم الحربي المتأتي عن مشاركة المسلمين في اخماد حروب الردّة.

٤-وحدة الأمّة الإسلامية التي كانت في صلب الدعوة الدينية، واختلال احوال بلاد الروم والفرس، وضعف قوة الروم والفرس نتيجة الحروب السجال المدّمرة التي خاضوها ضدّ بعضهم البعض. فقد سيطر الفرس على المنطقة من عام ٦٠٨ إلى ٦٢٢

---

[٧] البلاذري، **فتوح**، ط. دار الكتب، ص ١١٥-١١٧.

اثر الحملات المتلاحقة لهم، وكان من نتيجتها سرقة عود الصليب بمؤامرة من اليهود. ثمّ استرجع الروم المنطقة بعد حملات متتالية من ٦٢٢ إلى ٦٢٩، وتمكّنوا من استعادة عود الصليب (الذي يعيّد الشرقيون ذكراه في ١٤ ايلول) وارجعوه باكرام زائد[٨].

٥-كره السكان المحليين الأصليين للبيزنطيين بسبب كثرة الصراعات الدينية الدامية، وجور الضرائب وازدياد الكوارث الطبيعية والمجاعات[٩].

٦-وجود جاليات عربية مستقرة ومنتشرة في بلاد الشام سابقة للفتح، كان بعضها قد اسلم.

ب-مسيرة الفتح

سارت جيوش المسلمين العرب لفتح بلاد الشام أولا، حيث كانت الخلافة تتوقع حدوث المعركة الحقيقية. واستغرق احتلالها ثلاث سنوات قبل الوصول إلى لبنان. فجرت معركة اليرموك سنة ٦٣٦ م فاتحة الطريق أمام احتلال بلاد الشام، ثم معركة القادسية سنة ٦٣٧م التي سهّلت عليهم احتلال بلاد العراق فبلاد فارس. فكانت هاتان المعركتان فاصلتان ومدخلا لفجر جديد في تاريخ البلاد الشرقية، وشرّعتا أبواب بلاد الشام ومصر وافريقيا والعراق وبلاد فارس واجزاء اخرى من اوروبا والشرق امام قيام "امبراطورية" إسلامية ذات شأن، وتأسيس دولة جديدة ستعرف حضارة مشهود لها.

سارت العساكر الإسلامية في الإتجاهات المرسومة لها وبدأت بتسجيل انتصارات على البيزنطيين. ثم جاءتها نجدة خالد بن الوليد فتوجه الجميع إلى احتلال دمشق التي سقطت في شهر أيلول عام ٦٣٥ بعد حصار دام ستة أشهر[١٠].

حاول عاهل الروم استرداد ما فُتح، فانكفأ خالد بن الوليد إلى ابواب الصحراء التي تشكّل القاعدة الاساسية للخطوط الطبيعية لدفاع العرب، فجرت المعركة الفاصلة بينه وبين البيزنطيين في اليرموك، احد روافد نهر الأردن، في ٢٠ آب سنة ٦٣٦، فانفتحت البلاد كلها امام المسلمين -العرب. وسقطت المدن اللبنانية،بيسر، تباعا.

---

[٨] من اهمّ المصادر عن الحرب الفارسية-البيزنطية، واثارها السلبية على المنطقة، مخطوطة يشوع العمودي السريانية المنشورة بترجمة إلى الانكليزية ، وهوالشاهد العيان على هذه الاحداث(ت٥٠٧م):

The Chronicle of Joshua the Stylite, translation by W.Wright, Cambridge,Joshua the stylite Univ.Press.1882.

راجع ايضا، اغابيوس المنبجي(القرن الرابع هـ/١٠ م)، **كتاب العنوان، او تاريخ المنبجي**، تحقيق د. عمر تدمري، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦، ص ٢٥-٢٨، ٣٧-٤٣. وهو مؤرخ معاصر لخليفة بن خياط وابي يوسف البسوي والبلاذري واليعقوبي والطبري والمسعودي. راجع ايضا فيليب حتي، **لبنان في التاريخ**، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩، ص ٢٩. اسد رستم، **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى**،جزء اول، منشورات النور، بيروت، ١٩٥٨ ،ص٤١٩-٤٣٠، Theophanes,op.cit.p.6.

[9]Joshua the stylite, op. cit. p.22,30,37,55,63,71,75,

[١٠] البلاذري، فتوح، ق ١ / ص ١٣٨-١٤٧؛ ط. دار الكتب، ص١١٨-١٣٦.

١-فتح صور

اولى المناطق التي فتحت من لبنان كانت مدينة صور، ومناطق جنوبية أخرى، في اواخر عام١٣هـ/ ٦٣٤ م إبّان عمليات فتح سواحل الأردن.

افتتحت صور، بحسب رواية الواقدي، في سنة ١٣هـ، خلال عمليات فتح سواحل الأردن؛ ونسب احد المصادر فتحها إلى يوقنا الراهب النصراني الذي اسلم وأسهم في عمليات فتح مدن الساحل[١١]. ومصدر آخرنسب رواية الفتح إلى شرحبيل بن حسنة، وفي رواية اخرى انّ ابا عبيدة وجّه عمرو بن العاص إلى سواحل الاردن فكثر به الروم، فكتب إلى ابي عبيدة يستمدّه فوجّه اليه يزيد بن ابي سفيان، وعلى مقدمته اخوه معاوية، ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن[١٢]. وفي رواية اليعقوبي: في سنة ١٤ هـ، بعد الفتح الاول لدمشق ارسل ابو عبيدة عمرو بن العاص إلى الاردن وفلسطين، ثمّ وجّه شرحبيل لمساعدته، فتمّ فتح الاردن عنوة ما خلا طبرية[١٣].

٢-فتح بعلبك

كانت بعلبك ومعها البقاع، ولا تزال حتى اليوم، الطريق الاستراتيجي لمرور الجيوش بين سوريا وفلسطين. بالاضافة إلى ذلك كانت تتحكّم في آن معا بالارياف المحيطة بها وفي الطريق الرئيسية التي تربط دمشق بحمص.

يكتنف الغموض والتناقض مسألة فتح بعلبك والبقاع ، كما باقي المناطق اللبنانية، وتخبر مصادر الفتوحات أنّه منذ العام ١٦ هـ/٦٣٧ م ضمّ ابو عبيدة بعلبك إلى الحكم الإسلامي بموجب معاهدة صلح، بعد الفتح الاول لدمشق وقبيل فتح حمص ومعركة اليرموك. وبقيت تابعة لجند دمشق في العهدين الاموي والعباسي، ولم تصبح قاعدة لسلطة ادارية قائمة بذاتها الاّ في العهد الفاطمي، زمن الخليفة المعزّ في ٣٦١هـ/٩٧٢م[١٤].

---

[١١] الواقدي، محمد بن عمر(ت٢٠٧/٨٢٢)، **فتوح الشام ومصر والعراق**، دار الجيل بيروت، ج٢/ص٢٩. وهذا الكتاب يعتبره بعض المؤرخين منسوبا إلى الواقدي . فالمستشرق مارغويوث يعتبره كتابا ظنيّا لاقيمة تاريخية له، راجع دراسات عن المؤرخين العرب ، ترجمة حسن نصّار ، ص ١٠٨. ويعتبره جرجي زيدان كتابا قصصيا مبنيا على مبالغات بما يشبه الحكايات، ضاع جزء كبير منه، ولم تبق الاّ المغازي، وقد احتفظ تلميذه محمد بن سعد(ت ٢٣٠هـ) في كتابه "الطبقات الكبرى" بقطع كبيرة من تاريخه، **تاريخ التمدّن الإسلامي**، **٥ اجزاء**(لاتاريخ ولا مكان للنشر)،**ج٣، ص٩٩-١٠١**. ومن الملاحظ ان الروايات التي يذكرها البلاذري نقلا عن الواقدي لا نجدها في الكتاب المنسوب إلى الواقدي.

[١٢] البلاذري، المصدر المذكور، ق ١، ص١٣٨-١٤٦. ط. دار الكتب، ص ١٢٣-١٢٤.

[١٣] اليعقوبي، **تاريخ اليعقوبي**، دار بيروت، ١٩٨٠، ج٢/ص١٤٠.ويرى محمد مكي انّ خالد بن الوليد ويزيد بن ابي سفيان، استنادا إلى الواقدي، هما اللذان فتحا صور. مكي، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار للنشر، بيروت١٩٧٧، ص ٢٦ .

[١٤] الواقدي، ط. دار الجيل، ج١/ص ١٣٠-١٤٦. راجع ايضا ابن العبري وهو مصدر متأخر، **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت١٩٥٨، ص١٠١. ومن الذين ركزوا علىمعالجة مسألة فتح بعلبك اضافة إلى عمر تدمري،

فلأسباب جغرافية وعسكرية، كان على القوات الإسلامية-العربية ألاّ تهمل بعلبك، المدينة التي شكّلت احدى القواعد البيزنطية التي اعتمدت لصدّ موجة الفتح[١٥].

وكانت بعلبك مدينة تجارية مهمّة بدليل انّ الواقدي، وهو اقدم مؤرخي الفتوحات، يذكر في روايته لفتح المدينة انّ جنود المسلمين استولوا على قافلة كانت قادمة من الساحل إلى بعلبك وفيها اربعمائة حمل من السكّر والفستق والتين وغير ذلك[١٦]. وهذا ما يبرز قيمة المدينة في صناعة الحلوى التي اشتهرت بها، وكانت سابقة للعهد الإسلامي.

ويقدّم الواقدي رواية مفصّلة عن فتح بعلبك، ينفرد بها، تخبر بأنّ ابا عبيدة عندما قدم اليها، لاقاه" بطريقها" هربيس بسبعة آلاف رجل، ولكنّه ارتدّ منهزما متحصّنا في داخل المدينة التي كانت مكتظة بالسكان، من اهلها ومن سكان القرى المجاورة. فعرض ابو عبيدة الصلح وارسل معاهدا يخاطب اهل بعلبك بالرومية لغتهم. فانقسم السكان بين قابل بذلك ورافض له، وعلى رأس الرافضين هربيس الذي تابع القتال فإنكسر ولجأ إلى ضيعة قرب المدينة ثمّ استسلم اخيرا قابلا بشروط ابو عبيدة. وهذه الشروط تنصّ على تقديم كمية من الذهب والفضّة والاقمشة والسيوف ورهائن ودفع الجزية والخراج[١٧].

يخبر الازدي، ابو اسماعيل محمد(٢٣١/٧٧٤)، وهو أيضا من اقدم الذين ارّخوا للفتوحات، انّ خالد بن الوليد في أثناء مروره الاسطوري من العراق إلى بصرى وفي محاصرته لحوارين، جاء مدد من بعلبك ومن بصرى لمساندة المحاصرين، فقام خالد بمئتي فارس وحمل على اهل بعلبك، الذين كانوا اكثر من الفي فارس، فقتل منهم مقتلة عظيمة، ثمّ حمل على مدد بصرى ودخل الجميع المدينة اي حوارين؛ ثمّ صالحوا خالدا بعدما لم يجدوا طاقة لهم علىمحاربته[١٨]. وبعد افتتاح دمشق صلحا، ارسل هرقل عشرة آلاف محارب إلى بعلبك. وعند مسير الروم إلى فلسطين والاردن طلب عمرو بن العاص مساعدة ابي عبيدة ، فارسل المذكور خالد بن الوليد لاشغال الروم في بعلبك عن مساعدة اقرانهم، فسار بخمسة آلاف فارس اليها، فوجد خالد ان الجيش المرابط في المدينة قد سار إلى فلسطين، فاغار على نواحي بعلبك سابيا وقاتلا ما امكن واستاق

حسن نصرالله، **تاريخ بعلبك**، جزءان، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٤، ج١/٧٩-٩٣. راجع ايضا: J.Sourdel-Thomine, " Balabakk",**E.I.2**,t.I,p.1000

[١٥] ابراهيم بيضون، " لبنان في العهدين الاموي والعباسي" **في لبنان في تاريخه وتراثه**، مركز الحريري الثقافي، بيروت ١٩٩٣، ص ١٥٣-١٨٠.

[١٦] الواقدي، فتوح، ج١، ص١٣١ .

[١٧] الواقدي، فتوح، ص ١٣٣- ١٤٤.

[١٨] الازدي، ابو اسماعيل محمد بن عبدالله الازدي البصري(ت٢٣١هـ)، **كتاب فتوح الشام**، نشر وليم ناسوليس الايرلندي، كلكوتا ١٨٥٤، ص٦٨-٦٩. راجع ايضا البلاذري، فتوح ، المصدر السابق،ج ١، ص ١٣٢-١٣٣. ط. دار الكتب، ص ١١٩.

الغنائم ثمّ انعطف لمساعدة المسلمين في فلسطين[١٩]. وبعد انهزام الروم عاد خالد ادراجه إلى دمشق، ثمّ جدّ في السير إلى البقاع وبعلبك، بأمر من ابي عبيدة، فارسل إلى بعلبك فرسانا من المسلمين، ونحو خمسين فارسا اقتحموا الحصن، فطلب اهل بعلبك الصلح فاعطاهم اياه ابو عبيدة، وكتب لهم كتابا بذلك[٢٠].

في رأي خليفة بن خيّاط(ت٨٥٤)، أنّ ابا عبيدة فتح بعلبك صلحا سنة ١٤هـ ويقال في سنة ١٥. وانّ ابا عبيدة بعث خالد سنة ١٥ فغلب على ارض البقاع وصالحه اهلها وكتب لهم كتابا وصالحهم على انصاف منازلهم وكنائسهم ودورهم ووضع الخراج[٢١].

وبالنسبة إلى البلاذري(ت٢٧٩/ ٨٩٢) فإن ابا عبيدة فتحها نهائيا مع أرض البقاع، عندما سار إلى افتتاح حمص في اواخر سنة٦٣٥ م فسقطت المدينة بيده وكتب إلى اهلها عهدا جاء فيه :

"بسم الله الرحمن الرحيم .هذا كتاب امان لفلان بن فلان . وأهل بعلبك رومها وفرسها وعربها على أنفسهم واموالهم وكنائسهم ودورهم داخل المدينة وخارجها وعلى ارحائهم . وللروم ان يرعوا سرحهم ما بينهم وبين خمسة عشر ميلا ولا ينزلوا قرية عامرة ، فاذا مضى شهر ربيع وجمادى الأولى ساروا إلى حيث شاؤوا . ومن اسلم منهم فله ما لنا وعليه ما علينا .ولتجارهم ان يسافروا إلى حيث ارادوا من البلاد التي صالحنا عليها وعلى من اقام منهم الجزية والخراج. وشهد الله وكفى بالله شهيدا[٢٢]".

وهذا النصّ يوضّح بتراتبية متسلسلة العناصر الإتنية المتباينة التي كان يتألف منها النسيج السكاني في بعلبك. فالاكثرية هي من الروم، وفي درجة ثانية يأتي الفرس، وفي درجة ثالثة العرب، الذين بحسب نصّ الواقدي، كانوا لا يحسنون التكلّم بالعربية بل باليونانية. بالاضافة إلى ذلك، يشكّل هذا النصّ احد النماذج الواضحة لاتفاقيات الذمّة التي عقدت بين المسلمين واهل الكتاب (المسيحيين واليهود والصابئة...) والتي تعطي الحرية للمعاهدين في الحفاظ على انفسهم واملاكهم ومنازلهم ودور عبادتهم ونشاطاتهم الاقتصادية(مثلا هنا ، المطاحن والتجارة...)، لقاء تقديم الجزية والخراج[٢٣].

---

[١٩] الازدي، فتوح، ص٩٢-٩٦.

[٢٠] الازدي، فتوح، ص ١٢٦.

[٢١] خليفة بن خياط(ت٢٤٠/٨٥٤)، **تاريخ خليفة بن خيّاط**، تحقيق سهيل زكار، قسمان، وزارة الثقافة، دمشق١٩٦٧، ق١/ ١١٣،١١٧وللكتاب طبعة اخرى بمراجعة وضبط وتوثيق مصطفى فوّاز وزوجته حكمت كشلي، دار الكتب العلمية ، بيروت ١٩٩٥، ص ٦٨-٧٠. ويورد ابن كثير الخبر نفسه عن توجيه ابي عبيدة خالداً إلى بعلبك. ابن كثير، **البداية والنهاية**، ١٤ ج، دار الكتب العلمية، ط.٢ ، بيروت١٩٩٧،ج٢١/٧.

[٢٢] النصّ في البلاذري، فتوح ج١٥٤/١. ط. دار الكتب، ص ١٣٦.خليفة بن خياط، تاريخ،ج ١/ص ١١٧يضعه بين ابي عبيدة وخالد، ويعطي موجزا عنه. والازدي السابق للبلاذري يذكره فقط. ويختلف المؤرخون المعاصرون في فتح بعلبك. مكي يجيّره لابي عبيدة، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني** ، ص٢٣-٢٥ . وعمر تدمري، **لبنان من الفتح الإسلامي حتى سقوط الدولة الاموية**، جروس برس، طرابلس -لبنان١٩٩٠، ينسبه لخالد ، ص٢٣-٣٦ ويبدو ان خالداً لم يهاجم بعلبك عندما كان الجيش الرومي فيها بل بعد خروجه منها. وقد اعطى الامان لبعلبك على عهد ابي بكر.

[٢٣] يؤدي كلام البطريرك اغناطيوس هزيم في شرحه لفتح بعلبك إلى التباس اذ يقول:انّ نصّ البلاذري لا يحدد نسب توزيع الروم والفرس والعرب، مع انّ التسلسل عادة يعطي معنى التراتبية، واستعمال الفرس لاحقا، يدّل على ان حجمهم

وهكذا، فتحها ابو عبيدة صلحا، وأعطى أهلها الأمان

اليعقوبي(ت٢٨٤/٩٠٥ م)، يذكر انّ ابا عبيدة وجّه خالدا قبل معركة اليرموك على مقدمّته إلى بعلبك وارض البقاع، فافتتحها وسار إلى حمص[٢٤].

ويذكر ابن اعثم(٣١٤/٩٢٦) انّه ارسل الفي فارس إلى بعلبك[٢٥] لا ندري ما قلموا به. كما يذكر انّه في سنة ١٣هـ/٦٣٤م غزا خالد بن الوليد بعلبك التي كانت مدينة تجارية مهمّة وموقع ارتباط بين تجارة بيروت والساحل ودمشق. وفي السنة التالية، في عام ١٤هـ ، غزا خالد بعلبك مجددا ابّان معركة فحل في فلسطين، فسار في خمسة آلاف فارس حاصروا بعلبك واتوا بعد انتصارهم على اهلها، على اموال وسلاح وخيل وسبي كثير[٢٦].

ورواية متأخرة لابن عساكر في تهذيبه،كما في تاريخه، تذكر انّ المسلمين صالحوا اهل بعلبك بعد فتح دمشق على انصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج عليهم[٢٧]. وتقول روايته في تهذيبه:" بعث ابوعبيدة خالدا بن الوليد فغلب على ارض البقاع وصالحه اهل بعلبك وكتب لهم كتابا وقال ابن المغيرة عن ابيه صالحهم على انصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج. وقال ابن اسحاق وغيره يعنون سنة اربع عشرة فتحت حمص وبعلبك صلحا على ايدي ابي عبيدة في ذي القعدة ويقال في سنة خمس عشرة"[٢٨].

وكان الفتح قد بدأ من عكا وصور. ويذكر ايضا انّ سكّانها كانوا من الروم والارمن واهل قنسرين واهل الجزيرة . ويذكر ابن عساكر انصّ التالي للفتح في تاريخ دمشق:

كان اكبر من العرب. ويضيف أن العرب يشكلون العنصر السامي الغالب،...، وهذا من باب تحصيل الحاصل اذ لا يورد النصّ انّ عناصر سامية اخرى كانت موجودة في بعلبك." فتح العرب لبلاد الشام واثاره الفكرية والاجتماعية"، لبنان في تاريخه وتراثه، المرجع المذكور، ص١٣٣-١٥٢.

[٢٤] اليعقوبي، تاريخ، ج١٤١/٢. كذلك ابو زيد البلخي(ت ٣٢٢هـ/٩٣٣م) يؤكد ان فتح بعلبك جرى صلحا بعد فتح دمشق وقبل معركة اليرموك، **كتاب البدء والتاريخ**، جزءان، دارالكتب العلمية، بيروت١٩٩٧، ج٢/ص٢٠٧. وعند الذهبي فتحت بعلبك اواخر سنة ١٤ هـ، **تاريخ الاسلام**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٨٧، عهد الخلفاء الراشدين، ص ١٢٣-١٢٤.

[٢٥] ابن اعثم، ابو محمد احمد(ت ٣١٤/٩٢٦) **الفتوح**، حيدر أباد ١٣٨٨هـ/١٩٦٨، طبعة مصوّرة في بيروت، ص١١٣-١١٥.

[٢٦] ابن اعثم، الفتوح، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت١٩٩٢،ج١/١٤٠-١٤١.

[٢٧] ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق**، دار المسيرة، بيروت ١٩٧٩، ٣٩٦/٧؛ وفي تاريخ دمشق يذكر انّ ابا عبيدة ارسل خالداً إلى ارض البقاع فغلب عليها وصالحه اهل بعلبك، واستناداإلى احدى الروايات يقول انّه كتب لهم كتابا، وفي رواية اخرى صالحهم علىانصاف منازلهم وكنائسهم ووضع الخراج. وجرى ذلك في سنة ١٤هـ ويقال في ١٥هـ. ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، تحقيق المنجّد، ج١/ص ٥٢٦. تحقيق محب الدين العمروي، دار الفكر، بيروت ط. اولى ١٩٩٥، ج١٣٩/٢-١٤٠، ١٩٨.

[٢٨] ابن عساكر، **تاريخ مدينة دمشق** ، ط. دار الفكر، ج١-٣٠ ١٩٩٥ وج ٣١إلى الاخير ١٩٩٦، ج١٣٩/٢-١٤٠،١٩٨؛ تهذيب، ج١/ص١٦٠. لا ج٥/ /كما ورد عند تدمري١٦٠. ولا نجد في البلاذري ذكرا لهذا الحضور الدائم لخالد في فتح بعلبك .

" كتب(ابو عبيدة)لاهل بعلبك: ... هذا امان من أبي عبيدة بن الجـــرّاح... واهــل مدينتهم بعلبك، رومها وفرسها وعربها، ولرؤســــائها وســكّانها الــروم والنصـــارى، ولاموالهم ولدوابهم ولبيعهم ودياراتهم، وكلّ شيء لهم خارج المدينة مـــن المواشـــي، ولارحائهم، وانهم على سكنهم لا يكرهون عليه، وان عليهم السمع والنصح والطاعـــة. وانّ للروم ان يسرحوا ويظعنوا حيث شاؤوا خمسة عشر ميلا، ولا يلبثوا في قريـــة او ابنية. ولاهل المدينة تجارها وكسّابها ان يتجروا في المدينة شـــهري ربيـــع وجمـــادى الاولى، فاذا انسلخ فانهم يسيرون حيث شاؤوا ان يمكثوا باموالهم ودوابهم. وان مكثـــوا بعد الثلاثة اشهر، فان عليهم مثل ما على اهل المدينة من الطاعة والنصـــح وإعطـــاء الذي عليهم من السبيل.... وان مكثوا فلنا عشور العرب والروم واهل المدينة......[٢٩]".

٣-فتح صيدا وبيروت وجبيل وعرقا

سبق فتح الساحل حضور للمسلمين في مراكز متقدّمة كعين ميسنون(عين الشهداء، لربما قرب سوق الغرب)[٣٠] وهم كانوا فيها زمن فتح دمشق، وتعرّضـــت لغـــارة مـــن بطريق عقبة بيروت[٣١].

في رواية المؤرخ البيزنطي تيوفانس، وهو سابق للمؤرخين العرب، بعـــد النصـــر الحاسم الذي حققه العرب في معركة اليرموك ساروا إلى دمشق فأخذوها وأخذوا ارض فينيقيا[٣٢].

وفي رواية الواقدي جاء فتح بيروت مع فتح جبله واللاذقيه. ويخبر البلاذري انـــه في عام ١٤هــ/٦٣٥م، بعد فتح دمشق، أتى يزيد وعلى مقدّمته أخوه معاوية بن أبـــي سفيان إلى صيدا وعرقا وجبيل وبيروت، وهي سواحل، ففتحها فتحا يسيرا، أي ســـهلا صلحا، وجلا كثيرمن اهلها. وتولّى فتح عرقا معاوية نفسه[٣٣].

---

[٢٩] مسألة النصف طرحت عدّة مرّات وقد اجاب عنها البلاذري بان الصلح ليس على النصف بل قد يصـــادف ان الســـكان الاصليين اللاحقين بالروم كانوا بقدر النصف فكان هذا الالتباس. راجع البلاذري، فتوح، ق ١/١٣٨-١٤٦. ط. دار الكتب، ص ١٣٦. اعتمدنا في نصّ ابن عساكر على ما نشره د. تدمري، لبنان من الفتح حتى سقوط الدولة الاموية، ص ٢٩ نقـــلا عن ابن عساكر ، تاريخ، مخطوط، نسخة التيمورية، ٢٠/٤٠٠ .

[٣٠] يسند تدمري خبر ميسنون إلى ابي يوسف يعقوب البسوي(ت٢٧٧هــ)، **المعرفة والتاريخ** ،تحقيق اكرم العمري، بغـــداد ١٩٧٤-١٩٧٦،ج ٣/٢٩٨، وتهذيب تاريخ دمشق لابن عساكر ١ /٥٠٨-٥٠٩. ولكننا لم نجد شيئا في التهذيب عن هـــذا الموضوع في الصفحتين المذكورتين، بل الخبر في تاريخ دمشق.

[٣١] ابن عساكر، تاريخ، ط. المنجّد، ج١/ص٥٠٩.

[32] Theophanes, op. cit. p. 38.

[٣٣] الواقدي،ج٢/ص٣٦. البلاذري، ق١/ص١٥١-١٥٢. ط. دار الكتب، ص ١٣٣. صالح بن يحيى، تـــاريخ بـــيروت، المصدر المذكور، ص١٢. وفي رأي فيليب حتي، سقطت بيروت سنة ٦٣٥م وصور وصيدا وجبيل وعرقـــه فـــي ٦٣٦. حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٩٣. ويلاحظ ان مكي يرى ، علىالرغم من رواية " البلاذري، ان فتح بيروت تمّ سنة ٦٣٥ وفتح المدن الاخرى في السنة التالية. ولا يعرف أي طريق سلكها الفتح، عبر الجبل على غرار السرية التي ارسلها خـــالد إلى عين ميسنون، او عن طريق الساحل الجنوبي.مكي، المرجع المذكور، ص٢٦.

وقد اثارت لفظة "فتحا يسيرا" أقلام بعض المؤرخين، فاعتبر البعض يسيرا سهلا، والبعض الاخر يسيرا قليلا، وبقراءة متأنّية ومتتابعة لاستعمال المصطلح بوضعه في نصّه الاصلي، عند البلاذري، يتبين انّ الكاتب يقصد بذلك الفتح السهل بصلح بغير قتال[٣٤]. ولعلّ ذكر هذه المدن من دون مراعاة الترتيب الجغرافي، مردّه إلى ترتيب سقوطها بيد العرب[٣٥]. واثر الفتح جاء معاوية بفرس واسكنهم في بيروت، وعاد الازدهار فيها إلى الزراعة وإلى التجارة الداخلية مع دمشق، ثمّ مع مصر[٣٦].

٤-فتح طرابلس

اما سقوط طرابلس فقد تمّ في عام ٢٥ هـ/٦٤٥ م، على يد سفيان بن مجيب الأزدي، في ولاية معاوية على الشام زمن خلافة عثمان بن عفان(٢٣-٣٥/ ٦٤٤-٦٥٦)[٣٧]. ورواية اخرى تجعله في ١٨ هـ في زمن سابق لعهد عمر بن الخطاب(١٣-٢٣/٦٣٤-٦٤٤)[٣٨].

وقد استرد الروم المدن الساحلية بواسطة اساطيلهم ، ولكن معاوية تمكّن من اعادة افتتاحها[٣٩].

وفي رواية للواقدي انّ فتح طرابلس تمّ بمؤامرة من قائد بيزنطي اسلم. ومع انّ الروايات المذكورة تشير إلى ان طرابلس سقطت بالامان، الاّ ان ابن الاثير يجعل المدينة تحت الحصار طيلة خلافة عمر. وبذلك، يكون سقوط طرابلس سنة ٦٤٤م في مطلع عهد عثمان[٤٠]جاعلا سقوط الساحل قبل سقوط طرابلس بسنتين[٤١]. ولربما يشير في ذلك إلى السقوط الثاني.

وعلى ما يبدو فقد تمّ الفتح على يد سفيان بن مجيب(او بخيت) الأزدي في ولاية معاوية على الشام زمن خلافة عثمان، بعدما أعاد تثبيت فتح السواحل مرّة أخرى، اثر تمكّن البيزنطيين من السيطرة على بعض مدنها لفترة وجيزة. ففي عهد الخليفة عثمان بن عفّان، بادر معاوية، فحاصر المدينة التي كانت مؤلفة من ثلاث

---

[٣٤] يستعمل البلاذري فتحا يسيرا بغير قتال في معرض كلامه على فتح الاردن، ويستعمل مصطلح فتحا يسبرا بصلح على مثل صلح بصرى في معرض كلامه على فتح عمان، راجع البلاذري، فتوح ق ١، ص١٣٨-١٤٦.

[٣٥] تدمري، المرجع المذكور، ص ٣٨.

[36] N. ELISSEEFF" ,Bayrut", **E.I2**,T.I p.1172

[٣٧] البلاذري، فتوح، ق١/ص ١٥١-١٥٤. ط. دار الكتب، ص١٣٣-١٣٤.

[٣٨] الواقدي،٢ /١٧،٣٠ . البلاذري، فتوح، ج١/ ١٥٠-١٥١؛ ط. دار الكتب، ص ١٣٣-١٣٤. ابن عساكر، تاريخ مخطوط،١٦/ ٧٦ نقلا عن تدمري، المرجع المذكور، ص٤١؛ تهذيب، ١٨٣/٦-١٨٥.

[٣٩] البلاذري، فتوح، ج ١/ ١٥٠-١٥١. ط. دار الكتب، ص ١٣٣-١٣٤. ويلاحظ ان الازدي لا يأتي علىذكر هذه الفتوح باستثناء فتح بعلبك.

[٤٠] ابن الاثير، البداية، ج ٢/ ٤٣١.

[٤١] الواقدي، فتوح، ج٢/ص٣٠ . ابن الاثير، البداية، ٢/ ٤٣١. ويمكن تتبع مسيرة الفتح منذ انطلاقتها من خلال نصوص البلاذري والواقدي التي نشرناها في كتاب : **الشرق العربي في القرون الوسطى**، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت ١٩٩٦، ص ١٠-٢٨. وهو ينشر النصوص المتعلقة بالقرون الوسطى عن الشرق العربي بالاشتراك مع الدكتور انطوان ضومط والدكتور جوليات الراسي والدكتور مونيك مراد.

مدن(أحياء) مجتمعة، فهرب أهلها في البحر في مراكب للروم، فدخلها المسلمون، وأسكن فيها معاوية، لملء الفراغ، جماعة من يهود الاردن. ووضع عليها عاملا وفريقا من الجند كان يقفل عنها في الشتاء، عندما تعلو مياه البحر وتصبح الملاحة صعبة، ويعود إليها في الربيع. فتنبّه الروم لذلك، زمن عبد الملك بن مروان، فأرسلوا إلى طرابلس بطريقا يدعى بقناطر مع جماعة من الجند طالبا الأمان، وتقرّب من حاكمها، حتى أنس به، عارضا عليه تأدية الجزية والخراج. وتحيّن المذكور زمن تقلّص عدد المقاتلين، فأغلق المدينة وقتل عاملها وأسر الجنود واليهود. ولكن مغامرته انتهت بالفشل وعادت المدينة إلى أيدي المسلمين[42].

وهكذا، لم تمض الا سنوات قليلة حتى فتحت بلاد الشام وفلسطين ومصر والعراق وفارس في زمن خلافة عمر بن الخطّاب، وتواصل الفتح في ايام عثمان بن عفّان وفي ظلّ الخلافة الاموية. وكان لمعاوية الدور الأول والاساس في فتح المدن الساحلية اللبنانية التي تبعت جند دمشق، ما عدا صور التي تبعت جند الأردن كما رأينا ذلك سابقا.

٥-فتح جبل عاملة

كان بعض العناصر العربية قد استقرّ في المنطقة ووصل إلى اطراف لبنان ومنها الايطوريون في عنجر وعاملة في جبل عاملة والانباط في مدينة النبطية[43]. ويلمّح ابو الفرج الاصفهاني إلى وجود عاملة في ناحية فلسطين قبل الاسلام[44].

شاركت قبيلة عاملة في حصار فحل في جند الاردن [45]وفي معركة اليرموك[46]. وورد ذكرها في تعداد القبائل المشاركة في الفتوح. وقد اعطت هذه القبيلة اسمها للجبل الذي يحمل هذا الاسم، من دون ان ندري متى تمّ ذلك. ونلاحظ نسبة العاملي في المصادر العربية المتأخرة ولا شيء يثبت ان مشاركتها جاءت نتيجة استقرارها في الجبل المذكور قبيل الفتوحات[47]، فعاملة هي واحدة من مجموعة قبائل كانت نازلة في المنطقة ابّان معركة فحل.

٦- جبال لبنان لم يطاولها الفتح عمليا

---

[42] البلاذري،فتوح،ج ٢/ص ١٥٠-١٥١. ط. دار الكتب، ص ١٣٣-١٣٤. تهذيب، ج٦/١٨٥. المنبجي، تاريخ،ص ٦٠-٦١.

[43] R.Dussaud ,**La pénétration des arabes en Syrie avant l'Islam**, Paris 1955.
محمد كرد علي، **خطط الشام**، ٦ اجزاء، دمشق ١٩٢٥، ج١/٢٤، ٥٩ - ٦٠.

[44] ابو الفرج الاصفهاني، **كتاب الاغاني**، ملتزم الطبع الحاج محمد افندي ساسي، تصحيح احمد الشنقيطي، مطبعة التقدّم بشارع محمد علي بمصر، ٢١ جزءا + ٤ اجزاء فهارس، مصر ١٣٢٣/١٩٠٥، ج١٢/١٥٥.

[45] الازدي، **تاريخ فتوح الشام**، ط. ١٨٥٤، ص٩٧،١١٣.

[46] المصدر نفسه.

[47] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٤٩، يصل إلى استنتاج هذا الاستقرار نسبة إلى الازدي مع ان النصّ لايشير إلى ذلك.

نصوص الفتح لا تشير إلى فتح الجبل، وبخاصة في المناطق الممتدّة من مجرى نهر بيروت إلى اقصى الشمال. ويؤكد نصّ البلاذري ان الفتح تمّ بصلح في السواحل. عمليا، الجبال لم تفتح، ولكنّها كانت بحكم الساقطة عسكريا، و سبب ذلك، صعوبة الارتقاء اليها، او عدم اهميتها في نظر المسلمين ، او عدم ادراكهم لقيمتها الاستراتيجية، او عدم وجود تجمّعات سكّانية كبيرة فيها، و ربما لكلّ هذه الاسباب مجتمعة. على انّه، في مطلع العهد العباسي، ستتنبّه السلطة الإسلامية لاهميّة دور الجبل، في خلق الاضطرابات، بعد تكرار حوادث وهجمات الجراجمة-المردة ، وثورة بسكنتا.

ج-نتائج الفتح

١-الفتح صلحا

بعض المناطق من بلاد الشام فتحت عنوة وبعضها بسهولة. والفتح الأخير هو ما عرف باسم الفتح اليسير، بغير قتال، أي بصلح. ومدن لبنان فتحت فتحا يسيرا بصلح. وللصلح مفاعيله الشرعية والقانونية على صعيد الملكية العقارية والعلاقة مع اهل البلاد المفتوحة. ولذلك، نجد أنّ هذين المصطلحين: من جهة "فتحا عنوة"، ومن جهة اخرى "فتحا يسيرا او صلحا" بغير قتال، مرادفان لكل عملية فتح.

وهناك شبه اجماع، عند الفقهاء، على انّ مدن الشام فتحت صلحا والرساتيق لا عنوة ولا صلحا ولكنّها عوملت كالمدن[٤٨].

ونجد نموذجا على بنود الصلح، في نصّ الصلح الذي وقعه ابو عبيدة مع أهل بعلبك. فكان من نتائج الفتح صلحا بغير قتال أن أعطي السكّان الأمان على أنفسهم واموالهم وكنائسهم ومنازلهم، الاّ ما جلا عنه اهله وخلّوه، وكان احيانا يستثنى من ذلك، في بعض المدن، موضع لصلاة المسلمين. ومقابل ذلك كان على المعاهدين دفع الجزية والخراج.

٢-نقل السكان

عندما كان يتم الصلح، كانت نصوصه تستثني منه ما جلا عنه أهله وأخلوه من منازل وأملاك وأوقاف. وبنتيجة فتح سواحل لبنان، جلا عدد من أهلها ولحق بالبيزنطيين. هذا الفراغ استتبع من قبل المسلمين عملية إسكان، كان لمعاوية الفضل الأساسي فيها منذ زمن عثمان. لذلك، عمد معاوية إلى ترميم السواحل، وإسكان الناس فيها، فترافق الفتح مع عملية تبديل لجغرافية تواجد بعض الناس في المدن؛ فنقل إلى السواحل فرس بعلبك، بالدرجة الأولى إلى منطقة صور، وكذلك إلى عرقا وطرابلس

---

[٤٨] ابويوسف، يحيى بن أدم، الحافظ ابي الفرج بن رجب، نصوص كتب الفقهاء الثلاثة منشورة في كتاب، **في التراث الاقتصادي الإسلامي**، مع تقديم ودراسة للفضل شلق، دار الحداثة بيروت، ١٩٩٠، ص٧١.

وجبيل وبيروت وصيدا، وإنتقل ناس مجهولة هويتهم وغير محدّدة إلى السواحل من كلّ صوب، وأسكن اليهود طرابلس، كما أسكنهم معاوية ايضا صور، وجاء بهم من الأردن .

٣-شحن السواحل بالمقاتلة وإقطاع المنازل والاراضي الخالية

لتشجيع الناس على السكن وزّع معاوية القطائع على الجند.

القطيعة ، جمعها قطائع، هي قطعة من الارض عائدة للدولة (ارض العشر) تعطى لعربي لإحياء مواتها. ويدفع من يحصل عليها الزكاة (مقدارها قرابة العشر) وهي اقلّ من الخراج، ويحصّل لنفسه موجبات الشركاء العاملين عنده من دون ان يكون له عليهم أيّ حقّ عام[٤٩].

واول فتح للسواحل، لم يأخذ في الاعتبار إمكان عودة الروم اليها لاسترجاعها. فبعد فتح معاوية لها، عاد الروم اليها، وغلبوا عليها في اواخر خلافة عمر بن الخطاب أو أول خلافة عثمان. فاضطر معاوية إلى إعادة فتحها ثانية. ولإغلاق الباب أمام احتمالات عودة الروم مجددا، شحنها بالمقاتلة[٥٠]. وكان معاوية قد كتب إلى عمر يصف له حالة السواحل فأشار عليه بترميم حصونه، وترتيب المقاتلة فيها، وإقامة الحرس على مناظرها، واتخاذ المواقيد لها[٥١]. وهذا يعني، وضع كشّافين على التلال للكشف على مجريات الامور في المدن الساحلية، ولإشعال النيران، من تلّة إلى تلّة، وصولا إلى دمشق.

٤-تصنيف الارض: عشر او خراج

ونتج عن عملية الفتح تصنيف للارض المفتوحة، فكانت ارض العشر ما جلا عنه اهله واخلوه فأقطع للمسلمين لإحيائه، وكان مواتا لا حق فيه لاحد[٥٢]. والارض الخراج، ما بقي بايدي المعاهدين، أي اهل الكتاب.

ثمّ ثبت وضع الارض على اساس الكيفية التي تمّ فيها الفتح، بغضّ النظر عما آلت اليه ملكية الارض، فيما بعد، كما سنرى ذلك لاحقا في الفصل العائد للعهد العباسي.

---

[٤٩] Claude Cahen, "évolution de l'iqta du IX au XIII e.s.", **Annales, ESC**, 1953, pp25-52."
A.Ducellier, et autres, **Le proche -Orient médiéval**, Hachette,1978,p.58.

[٥٠] البلاذري، فتوح، ج١/١٥١-١٥٤. ط. دار الكتب، ص١٣٣-١٣٤.

[٥١] البلاذري، فتوح،ج١/١٥١-١٥٤. ط. دار الكتب، ص١٣٤. حول هذه المواقيد والمناظر يشير صالح بن يحيى في اواخر العهد المملوكي إلى ان النار كانت توقد في بيروت ثم في بيت مري فقرب ضهر البيدر فتلال السلسلة الشرقية فجديدة يابوس فقاسيون فدمشق.

[٥٢] البلاذري، فتوح ج ١/١٧٥-١٨٠. ط. دار الكتب، ص١٣٤-١٣٥.

٥-الخريطة السكانية

نتيجة الفتح، عرفت الخريطة السكانية تبدّلات وتغيرات بسبب بقاء جزء من السكان الاصليين في اماكنهم، وجلاء قسم اخر في اثر البيزنطيين.

ابرز نصّ يعطي فكرة عن التبدّل السكاني هو لليعقوبي(ت٢٨٤) الذي يقول: "وبعلبك واهلها قوم من الفرس وفي اطرافها قوم من اليمن، وجبل الجليل واهلها قوم من عاملة. ولبنان صيدا وبها قوم من قريش ومن اليمن. ولجند دمشق من الكور على الساحل: كورة عرقه، ولها مدينة قديمة فيها قوم من الفرس ناقلة، وبها قوم من ربيعة ومن بني حنيفة. ومدينة اطرابلس واهلها قوم من الفرس كان معاوية بن ابي سفيان نقلهم اليها، ولهم مينا عجيب يحتمل الف مركب. وجبيل وصيدا وبيروت، واهل هذه الكور كلّها قوم من الفرس، نقلهم اليها معاوية...وكلّ كورة دمشق افتتحها ابو عبيدة بن الجرّاح في خلافة عمر بن الخطّاب سنةاربع عشرة. وخراج دمشق سوى الضياع يبلغ ثلاثماية الف دينار... ولجند الاردن من الكور صور وهي مدينة السواحل وبها دار الصناعة ومنها تخرج مراكب السلطان لغزو الروم وهي حصينة جليلة واهلها اخلاط من الناس. واهل هذه الكور اخلاط من العرب والعجم. افتتحت كور الاردن في خلافة عمر بن الخطّاب. افتتحها ابو عبيدة خلا طبرية فانّ اهلها صالحوه. وغيرها من كور الاردن افتتحها خالد بن الوليد وعمرو بن العاص من قبل ابو عبيدة بن الجرّاح سنة اربع عشرة. وخراج جند الاردن يبلغ سوى الضياع مائة الف دينار[٥٣]".

فبالاضافة إلى السكان الاصليين، الموجودين في المناطق اللبنانية، نستدّل من هذا النصّ على انتشار عناصر سكانية جديدة، منها: العنصر الفارسي في بعلبك وفي عرقا وطرابلس وجبيل وصيدا وبيروت بعد نقلهم اليها على يد معاوية منذ العام ٤٢[٥٤]. فقد غدت بعلبك محطّة رئيسة في مدّ بعض اجزاء من لبنان بالسكان، والاسهام في فتح المدن اللبنانية الساحلية. وكان للفرس دور في الاجهاز على ابن عديس المتهم باغتيال الخليفة عثمان، كما سنرى ذلك لاحقا. وكثر من بين الفرس المحدّثون الذين اقاموا في العهود اللاحقة في مدن الساحل وبعلبك[٥٥]. وكان احدهم عاملا على صور في العهد الاموي، وهو خالد بن الحسفان في ايام الخليفة هشام بن عبد الملك، كما كان فيها للفرس مسجد[٥٦]. وفي رواية لابن عساكر كان الفرس يشكلون ١/٥ سكان مدينة طرابلس في نهاية عهد عبد الملك[٥٧]. وقد رأينا ان العنصر الفارسي كان بالدرجة الثانية من حيث الاهمية في بعلبك بعد الروم بحسب نصّ الفتح للبلاذري.

---

[٥٣] اليعقوبي، **البلدان**، ط. وستنفلد ليدن ١٨٩٢، وطبعة مصورة عنها في دار صادر بيروت (دون تاريخ)، ص٣٢٧ .

[٥٤] البلاذري، **فتوح**، ١٧٥/١. ط. دار الكتب، ص١٢٤.

[٥٥] تدمري، المرجع المذكور، ص ٩٤-٩٥.

[٥٦] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ط. دار الفكر، ج٦/٣٥٦.

[٥٧] ابن عساكر ، **تاريخ دمشق المخطوط**،٧٨/١٦، نقلا عن تدمري، ص١٧٧.

ونجد في لبنان في تلك الفترة اقباطا، على السواحل ، لا نعرف نسبة عددهم[٥٨]. ونجد أنباطا يأتي على ذكرهم ابن عساكر[٥٩]. ونجد صدى لذكرهم في مدينة النبطية. وإلى جانب الفرس نجد الزط والسيابجة[٦٠]. وقد اعطى الزط اسمهم لبعض قرى لبنان، ومنها عيتا الزطّ في البقاع.

ونجد يمنيين في صيدا، ولربما هم حفداء التابع ربيعة بن عمروالجرشي[٦١].كما كان لليمنيين وجود في بيروت، اذ نجد عناصر من بني كلب وبني جهينة[٦٢]، بدليل استلام عاملين للسلطة فيها من اصل يمني[٦٣].كما انتشر قوم من اليمن في اطراف بعلبك وصيدا. ونجد قوماً من عاملة في جنوب لبنان، وقوماً من قريش في صيدا، وقوماً من ربيعة في عرقا.كان استعمال الفرس من قبل معاوية بسبب العداوة التقليدية بينهم وبين البيزنطيين .كانت صور مدينة مختلطة[٦٤]من سكان اصليين ونازحين اليها.

اليهود كانوا موجودين في طرابلس قبل الفتح[٦٥]. وبعد الفتح اسكن معاوية جماعة كبيرة من اليهود[٦٦]. وبعد قتل عامل طرابلس، وقسم من اليهود، عاد معاوية فاسكنها فرسا ، ظلوا الاكثرية حتى القرن الثالث هجري. وقام عبد الملك ببناء حصن الميناء فصارت طرابلس عامرة مطمئنة[٦٧]. ومن المفيد التذكير بأنّ انتقال القبائل العربية إلى لبنان سيحمل إلى هذا البلد التركيب الاجتماعي العربي والانقسامات العربية بين قيسية ويمنية.

هذه العوامل، وعوامل اخرى، ادّت مع الوقت إلى زيادة عدد المسلمين في السواحل على حساب المسيحيين[٦٨].كما انّ قسما من المسيحيين سيلجأ إلى الجبال ليعيش إلى جانب السكان الاصليين، والاعتماد على ذاته، ولكن تطويع الجبال لم يؤمن لهم البقاء المطلوب[٦٩].

---

[٥٨] الرازي، ابو محمد عبد الرحمن ابو حاتم(ت٣٢٧)، **تقدمة المعرفة لكتاب الجرح والتعديل**، حيدر آباد ١٩٥٢،١/٢٠٢. ابن عساكر مخطوط، ٧١/١٥، نقلا عن تدمري، المرجع المذكور، ص ٩٧-١٠٠.

[٥٩] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط.دار الفكر،ج٢٠/١٤٥. والنسخة المطبوعة في مجمع اللغة العربية ، دمشق ١٩٨١، ص ٣٦٨- ٣٦٩.

[٦٠] البلاذري، **فتوح**، ط. دار الكتب، ص ١٦٦،٣٦٩.

[٦١] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٢٦ .

[٦٢] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٠١-٢٠٢.

[٦٣] هما: عبد الرحمن الكلبي،وايوب بن خالد الجهني.تدمري، المرجع المذكور، ص ١٩٨-٢٠٢.

[٦٤] اليعقوبي، **البلدان**، ص ٣٢٧.

[٦٥] هذا ما يذكره د. تدمري دون اسناد، المرجع المذكور، ص ٢١٤.

[٦٦] البلاذري، فتوح ١/١٣٣. ط. دار الكتب، ص ١٣٣. ابن عساكر، التهذيب ٦/١٨٣.

[٦٧] اليعقوبي، البلدان٣٢٧. البلاذري ، فتوح البلدان ١/١٥١. ط. دار الكتب، ص ١٣٣. ابن كثير، البداية والنهاية،ج ١٣/٣١٣.

[٦٨] صالح بن يحيى، المصدر المذكور ، ص ١٣.

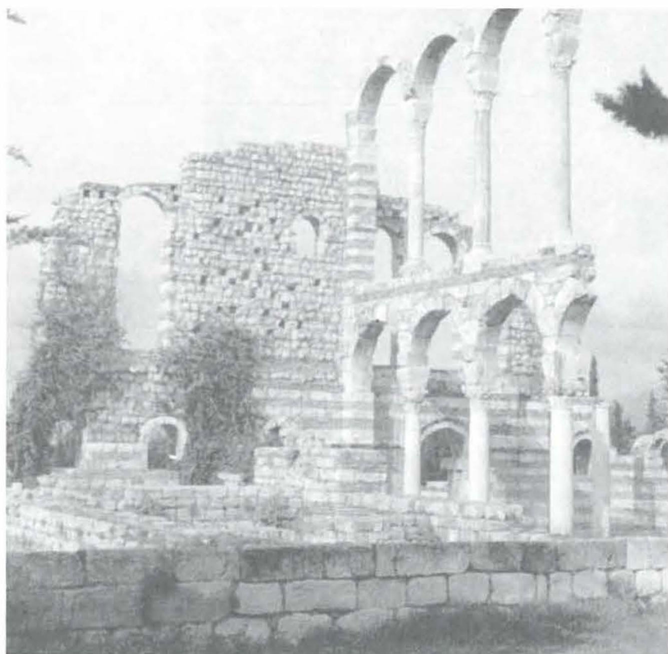
[٦٩] جواد بولس، **لبنان والبلدان المجاورة**، بيروت ١٩٧٣، ص ٢٤٣-٢٤٥.

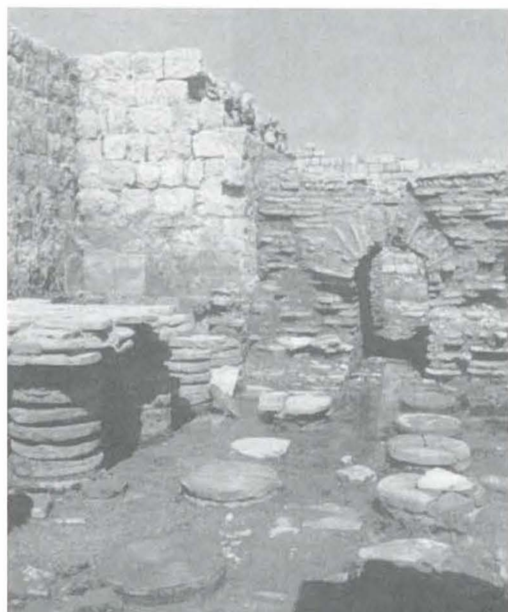


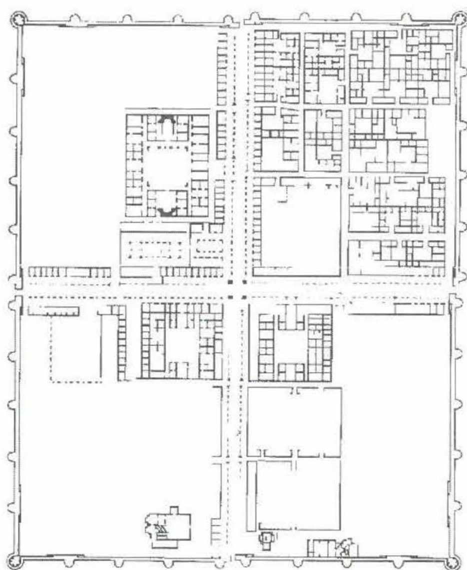




دير يوحنا مارون في بلدة كفرحي في قضاء البترون حيث توجد ذخيرة من هامة القديس مارون







Plan du site de Aanjar



الجامع الأموي في بعلبك



جبال لبنان التي تحمل العرش يوم القيامة

الفصل الثاني

لبنان في ظلّ الدولة الاموية

مقدمة

بدأت علاقة الامويين بلبنان مع الفتح العربي،كما راينا سابقا. وتوثّقت هذه العلاقة بعد تعيين معاوية واليا على بلاد الشام، ثمّ ارتقائه سدّة الخلافة واختياره دمشق عاصمة لدولته. وفي الواقع، تاريخ الفتح في لبنان هو إلى حدّ كبير تاريخ دورمعاوية، في هذا البلد، قبل أن يصبح خليفة للمسلمين.

أسهم تكليف يزيد بقيادة احدى فرق الجيش المتجهة لفتح الشام، زمن ابي بكر، ثمّ ابقاؤه في القيادة، زمن عمر، ومعه اخوه معاوية، الذي سيحلّ محلّه اثر وفاته، واستمرار معاوية في إدارة الشام كلّه، زمن عثمان، في تأكيد سلطته وتركيزها في تلك البلاد، بحيث حصد نتيجة ذلك، ابّان نزاعه مع الخليفة الراشدي الرابع عليّ بن ابي طالب بعد مقتل عثمان بن عقان، وسمح له بالفوز بالخلافة وبتأسيس دولة وراثية سيحكمها من بعده ابناؤه وانسباؤه من الامويين من ٦٦١ إلى ٧٥٠ م، عبر سلالتين: الاولى السفيانية التي انجبت معاوية الاول(٤١-٦٠/ ٦٦٠-٦٨٠)، وابنه يزيد الاول(٦٠-٦٤/ ٦٨٠ -٦٨٣) وحفيده معاوية الثاني(٦٤/ ٦٨٣ -٦٨٤)الذي حكم بضعة اشهر معتلاً وتوفي بمرض الطاعون. والسلالة الثانية المروانية نسبة إلى الخليفة الاموي الرابع مروان بن الحكم، وانجبت مروان المذكور(٦٤-٦٥/ ٦٨٤-٦٨٥) وعبد الملك بن مروان(٦٥-٨٥/٦٨٥-٧٠٥) والوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦/٧٠٥-٧١٥) واخاه سليمان (٩٦-٩٩/٧١٥-٧١٧) وابن عمّه عمر بن عبد العزيز(٩٩-١٠١/٧١٧-٧٢٠)، ويزيد بن عبد الملك(١٠١-١٠٥/٧٢٠-٧٢٤) وهشام بن عبد الملك(١٠٥-١٢٥/ ٧٢٤-٧٤٣) والوليد بن يزيد(١٢٥-١٢٦/ ٧٤٣-٧٤٤) ويزيد الثالث(٧٤٤) وابراهيم(٧٤٤) ومروان بن محمد(١٢٧-١٣٢/٧٤٤-٧٥٠).

وبعد ان امسك بزمام الامور ولكي يضمن البقاء لدولته، استحدث معاوية نمطا جديدا في ممارسة السلطة، فاقام في دمشق وابقى نظام حكم الدولة الاسلامية الذي سبقه واعتمد على رجال اقوياء اكفاء دهاة لحكم الامصار، واستحصل على تأييد كامل من اسرته واستأنف الفتوح وحركة الجهاد وألهى العرب عن الفتنة التي عانى الامرّين منها، وان يكن قد خرج منها ظافرا.

تمكنت هذه الدولة من أن تحقق أكبر فتوحات عرفها التاريخ الإسلامي، إذ تمّ فتح الشرق حتى حدود الصين وشمال افريقيا والأندلس،كما هدّدت القسطنطينية في عقر دارها منذ ان عمد معاوية إلى محاصرتها.

وقبل، وبعد تنعّمه بالسلطة، جابهت معاوية مشكلات متعدّدة كان اهمها صراعه مع علي- ولا نعرف ما اذا كان لذلك امتداده في لبنان في ذلك الوقت- وكذلك

صراع مع البيزنطيين تمثّل في مشاكل داخلية اثارها وجود الجراجمة-المردة، وصراع بريّ -بحريّ برز في الحملات البرّية في حرب الثغور وفي الصوائف والشواتي وحصارات القسطنطينية وفي التنافس البحري على شواطىء البحر وعلى جزر المتوسط، وفي المحاولات الاولى لبناء الدولة. هذه هي بعض الوجوه المعروفة التي طبعت عهد معاوية، احد ابرز وجوه رجالات الدولة الذين انجبهم الاسلام، في حكمه للدولة الاموية، والتي قد يكون في الإمكان، لربما، تلمّس بعض خيوطها في لبنان .

اولا-الأوضاع السياسية والعسكرية في الدولة الأموية

أ-الاوضاع السياسية والعسكرية والتنازع الاموي - البيزنطي

١- في عهد السلالة السفيانية

لا تقدّم لنا المصادر عن هذه الحقبة سوى وقائع عسكرية، وتحديدا وقائع مرتبطة بالكرّ والفرّ في التنافس العربي -البيزنطي العسكري.

منذ ما قبل الحكم الاموي، في عهد الخلافة الراشدة، بدأ التنافس البحري العربي- الاسلامي مع البيزنطيين، وكان هذا التنافس جزءا من حركة الفتوح، ومن اسطع مظاهره تمكنّ معاوية في عام ٣٢ /٦٥٢ من غزومضيق القسطنطينية[١] . وقد مهدّ لذلك جملة نجاحات لمعاوية منذ العام ٦٤٧/٢٧عندما بدأت مشاريع غزوه لقبرص. ففي سنة ٦٥٤/٣٣ غزا معاوية الجزيرة المذكورة بخمسماية مركب وفتحها عنوة، ونقل اليها جماعة من بعلبك. وقيل انّ الغزوة جرت في ٦٥٦/٣٥، وفي مصادر اخرى في ٣٨هـ[٢] . ويبدو انّه كان لبيروت التي كانت فرضة دمشق ودار صناعتها، على حدّ قول صالح بن يحيى، دور اساسي في عمارة المراكب التي جهّزت لغزو قبرص[٣]. وتبرز احدى الدراسات انّ عمارة السفن بوشر بها في طرابلس في سنة ٦٤٥م، وكان يدير الاسطول فلسطينيون ولبنانيون قاموا بغزوات

---

[١] الواقدي، فتوح، ج١/ ص ١٥١. الطبري، تاريخ، ج٥/ص ٧٧.

[٢] ابن سلام، **كتاب الاموال**، دار الحداثة، بيروت١٩٨٨، ص١٦٠-١٦١. البلاذري، فتوح، ج١/ص ١٨٢ ،ط. دار الكتب، ص ١٥٨. الطبري، تاريخ، ج٥/ص٥٣، ٨٥. وفي المنبجي، **المنتخب من تاريخ المنبجي**، تحقيق عمر تدمري ، ١٩٨٦، فتحت قبرص وملكها العرب سنة ٦٤٦، ص ٣٠. وقد جاء في ابي زرعة، عبد الرحمن بن عمرو(ت٢٨١هـ)، **تاريخ ابي زرعة**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦، ص٤٠ أنّ معاوية غزا قبرص سنة ٢٥هـ.

Theophanes, **Anni Mundi, The Chronicle of Theophanes**, An english translation by Harry Turtledove, University of Pennsylvania, 1982, p.43.

[٣] صالح بن يحيى، تاريخ، المصدر المذكور، ص١٤.

قرصنة على الشواطيء وعلى جزر المتوسط[4]. وفي ٣٣ هـ/٦٥٤م نادى معاوية بالناس وامرهم بالسير إلى صيدا على ان يركب منها إلى رودس، فسار معاوية والمسلمون في تعبئة عامة إلى المدينة المذكورة وانطلقوا منها في احد المراكب إلى رودس[5].

ومن الامور اللافتة، ورغم الفتح العربي والغزوات المتبادلة بين العرب والبيزنطيين، ان البيزنطيين كانوا موجودين في ارجاء لبنان بسهولة، ولم نجد توضيحا لذلك، اذ في زمن حكم معاوية لبلاد الشام في السنة السابعة من عهد عثمان توفي في هليوبوليس(بعلبك) غريغوريوس ابن اخت هرقل، فحنّط جثمانه وارسل إلى القسطنطينية ليدفن هناك[6].

عمد معاوية إلى ترميم السواحل وتحصينها وبدأ بتركيز صناعة الاسطول في عكا[7]. وامر باعداد اسطول ضخم، كما رأينا ذلك، في ميناء طرابلس الفينيقي لمهاجمة القسطنطينية على حدّ قول تيوفانس[8]. فلمّا بني الأسطول، ورغم محاولة الروم العمل على تخريب التعبئة البحرية في طرابلس من خلال اخوين يذكر تيوفانس على انهما ابنا شخص يدعى بوسيناتور Bucinator، تمكّن من تحقيق نصر عسكري كبير على البيزنطيين في معركة ذات الصواري البحرية في٣٤هـ/ ٦٥٥ م. وكان اسهام اللبنانيين في معركة ذات الصواري مهمّا، وقد انتهت المعركة بنصر كبير للمسلمين، وجرح فيها الامبراطور قسطنطين[9]. وبنتيجة هذه المعركة قطعت الاتصالات البحرية البيزنطية مع الحوض الشرقي للمتوسط[10].

في عهد معاوية بن ابي سفيان، وفي خضمّ هذه الاحداث، كانت سياسة الهجمات المتلاحقة على البيزنطيين احدى سمات عهد معاوية، ويفترض ان تكون قد شاركت بعض المدن اللبنانية فيها، وهي ما عرف ب "الصوائف"، في البرّ والبحر، التي بلغت ست عشرة صائفة[11]، نجد وصفا دقيقا وتعدادا لها[12].

ولكن هذه الصوائف لم تمنع الروم في سنة ٤٩هـ/م٦٦٩ عن غزو السواحل[13]. ولربما كانت المدن اللبناية مسرحا لهذا الغزو،لانه مرتبط بغزوة المردة في السنة نفسها.

---

[4] N.Elisséeff, **L'Orient musulman au Moyen- Age**, A.Colin,Paris 1977, p.89.

[5] ابن اعثم، الفتوح، ط. زكار، ج١/٣٥٣-٣٥٤. المنبجي، ص٥٨-٥٩.. Theophanes, op.cit.p.44.

[6] Theophanes, op. cit. p. 44.

[7] البلاذري، فتوح، ج١/ص ١٨٢. ط. دار الكتب، ص١٥٨. Theophanes, op. cit. p.45.

[8] تدمري، المرجع المذكور، ص ٦٤.. Theophanes,op.cit.p.45.

[9] ابي زرعة، ط. دار الكتب العلمية، ص ٤١. الطبري، تاريخ، ج٥/ ص٦٨.. Theophanes,op.cit.p.45.

[10] Elisséeff, op.cit.p.89.

[11] ابو زرعة، ط. مجمع اللغة العربية،دمشق ١٩٨٠، ١٨٨/١؛ ط. دار الكتب العلمية، ص٤٢.

[12] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص ٢٣٩-٢٤٠.

[13] البلاذري، **فتوح**، ١٤٠/١. ط. دار الكتب، ص١٢٤.

وفي سنة ٤٩ او ٥٠ هـ/م٦٧٠ شارك يزيد بن معاوية في الصائفة على القسطنطينية ومعه جند من بعلبك[١٤].

ولتخفيف ضغط جزر المتوسط على المسلمين، قام هؤلاء في سنة ٥٣ هـ بفتح رودس، فدخلها في سنة ٦٠ قبادة بن ابي امية وهدم مدينتها[١٥].

ورغم كلّ هذه الانتصارات، لم تكن مناعة القوة البحرية الاسلامية غير قابلة للاختراق، ففي عام ٥٧هـ/او ٥٨/٦٧٨م قام البيزنطيون بالحاق هزيمة بالاسطول الاسلامي وقتل قائده يزيد بن شجرة[١٦] . وأكملت العواصف على ما تبقىّ من سفنه فاقدم البيزنطيون على مهاجمة مدينتي صيدا وصور[١٧]، مشجعين في الوقت نفسه المردة – الجراجمة على غزو جبال لبنان[١٨].

ومن الامور اللافتة في عهد معاوية ملاحقة عبد الرحمن بن عديس ابي محمد البلوي الذي كان ممن خرجوا على عثمان وساروا إلى قتاله، فظفر معاوية به وسجنه في فلسطين فهرب إلى جبل لبنان حيث ادركوه. وقبل مقتله قال لمن قتله: اتق الله فاني من اصحاب الشجرة، فقال : الشجر بالجبل كثير وقتله[١٩]. وكان الذي تتبعه مجيب الازدي، حاكم بعلبك، ومعه فرس بعلبك وفرسان آخرون في سنة ٣٥أو ٣٦، ويخبر ابن عساكر :يقول ابن عديس: سمعت رسول الله يقول: يخرج اناس يمرقون من الدين كما يمرق السهم الرمية يقتلون في جبل لبنان او الجليل أو بالجليل أو بجبل لبنان[٢٠].

---

[١٤] البلاذري، **انساب الاشراف**، تحقيق محمد حميدالله، دار المعارف بمصر، قسم ٢ من جزء ٤ نشرهمشلو سنجر، القدس ١٩٨٣، ص٣. قسم ٤ من ج ١ تحقيق احسان عباس، المعهد الالماني، بيروت ١٩٧٩. ابو الفرج الاصفهاني، **الاغاني**، ط. الشنقيطي، ١٩٠٥، ج١٦/٣٣، ج١٣/١٠٨؛ تحقيق علي البجاوي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥،ج١٧ /٢١٠. اليعقوبي، **تاريخ**،ج٢ /٢٢٩،٢٤٠.الطبري، تاريخ،ج٦/ص١٣٠. ابن حزم، ابو محمد علي،(ت٤٥٦هـ)، **جمهرة انساب العرب**، نشره ليفي بروفنسال في ذخائر العرب، دار المعارف بمصر ١٩٨٤و ١٩٧٧، ص ٢٨٣. ويضع ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، هذه الغزوة في سنة ٥٥هـ.

[١٥] الطبري، تاريخ، ج٦/ص ١٦١،١٧٩.

[١٦] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/٢٤٠. الطبري، تاريخ، ج٦/ص ١٦٨، ١٧٢.

[١٧] المنبجي، المنتخب، ص ٧٢. وقد روى محمد علي مكي هذه القصة ونسبها إلى ابن عساكر نقلا عن خطط الشام لكرد علي. راجع تدمري ، ص ٨٢. عبد المنعم ماجد، **التاريخ السياسي للدولة العربية**، عصر الخلفاء الامويين، مكتبة الجامعة العربية، ج٢، ص ٤٨.

[١٨] شدرانوس، نقلا عن المطران يوسف الدبس، **من تاريخ سورية الدنيوي والديني**، بيروت ١٨٩٩، ج٥/ص١٠٤.

[١٩] الذهبي، تاريخ الاسلام، عهد الخلفاء الراشدين، ص ٥٣١.

[٢٠] ابن عساكر، **تاريخ دمشق**، ج٣٥ /١٠٨. ابن حجر،ابو الفضل احمد(ت٨٥٢)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، مصر ١٣٢٨هـ، ق٢/٥٥ ؛ ق٣/٣٧٤. ابن الاثير، عزالدين(ت٦٣٠)، **اسد الغابة في معرفة الصحابة**، مصر ١٢٨٦ ، ج٤/٣١٦.

ولهذه الرواية ثلاث دلالات: غنى جبل لبنان بالشجر، والهرب إلى الجبل كملجأ، ودخول العرب الجبل ومطاردة الاشقياء في داخله بعكس الصورة التي كلن يقدّمها بعضهم عن الجبل.
باستثناء هذه الوقائع العسكرية عن عهد معاوية لا تقدّم لنا المصادر معلومات مهمّة عن لبنان في عهدي يزيد ومعاوية الثاني. وبموت معاوية الثاني، فرض مروان بن الحكم نفسه خليفة بالقوة ، فانتقلت الخلافة بعده إلىسلالته. ويؤكد المؤرخ البيزنطي تيوفانس انّ عرب فينيقيا وفلسطين كان لهم دور رئيس في تقرير الخلافة لمروان بن الحكم عندما تجمعوا في دمشق وأعلنوا تأييدهم له، وبعد موته لابنه عبد الملك [٢١]. وسيبرز لبنان مجددا مع عبد الملك بن مروان عندما ستعود المصادر لتقدّم بعض الاشارات عنه.

٢- في عهد السلالة المروانية

١ً-في عهد عبدالملك

اولى الوقائع التي شهدها لبنان في مطلع عهد عبد الملك، ابان الازمة مع ابن الزبير، كانت اغارة خيل الاعراب على بعلبك والبقاع وحمص فأدّى ذلك إلى فظاعات [٢٢].
وقد جابهت عبد الملك مسألة الجراجمة- المردة، كما سنرى وقائع ذلك، ومسالة ابن الزبير وغيره من الطامعين بالخلافة. كما جابه عهده وعهود خلفائه مسألة العصبية القيسية -اليمنية ومسألة شيعة علي، وتميّز عبدالملك بسعيه لتأكيد الهوية العربية للادارة الاسلامية، وعوده إلى اسلوب الغزوات ضدّ الروم بعدما استتبّت له امور الخلافة، والعمل على توسيع الفتوحات في افريقيا. وفي هذه الامور كلّها لا نجد عن لبنان سوى اصداء مسألة الجراجمة- المردة التي وجدت لها حلاً في عهد الوليد بن عبد الملك ، كما نجد اصداء للحملات البرّية والبحرية المتبادلة في عهود خلفاء عبد الملك: الوليد وسليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز ويزيد وهشام. وفي اواخر عهد الامويين سيكون لبنان مسرحا للصراعات الاهلية الاموية التي ستطاول بعلبك وبخاصة مدينة عنجر، مركز استجمام الامويين ولهوهم.
ويخبر ابن عساكر انّ الروم هربت من جبل لبنان ولم تخرج في البحر في زمان عبد الملك، ثمّ خرجت بعد ذلك في سفن كثيرة إلى وجه الحجر(رأس الشقعة

---

[21] Theophanes, op. cit. p.59.
ويورد ابو زرعة خبرا قريبا من رواية تيوفانس عندما يذكر أنّ اهل الاردن وطائفة من اهل دمشق بايعوا مروان، والباقي كان مع ابن الزبير. ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، ص ٤٣.
[٢٢] المسعودي، **مروج الذهب**، ط. بربيه دي مينار، عني بتحقيقها وتصحيحها شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٦٦، ج٣/٢٩٩.

قرب شكا) فجعلت على عقبة ذلك المكان خمسين سفينة، لاقفال الطريق على مدّ المعونة لطرابلس، وعندما وصل صاحبهم إلى طرابلس، وجد اهلها قد خرجوا في غزوة إلى البحر، ولم يبق في المدينة سوى نفر قليل من اهلها، وفيهم سحيم بن المهاجر ولم يكن بوال، فاستجار به الوالي فعمد إلى خداع الروم بإلباس من بقي من المقاتلين بالبسة عدّة يظهرون بها على الاسوار لايهام المحاصرين بكثرة من بقي في المدينة، لتأخير امد الحصار املا بوصول نجدة ما. وهكذا كان، اذ سار امير الساحل عبد الرحمن بن سليم الكلبي من بيروت، فحالت دون وصوله الفرقة البيزنطية المرابطة عند وجه الحجر، ومنعته من التقدّم، ووصلت قوات من حمص في ستة آلاف مقاتل. وسنحت الظروف لامير الساحل بالتقدّم عندما احرق الروم كنيس اليهود، فاعتبر المرابطون عند وجه الحجر ذلك اشارة لهم، فتركوا مكانهم، مما سمح لعبد الرحمن بالتقدّم وشق صفوف المحاصرين باتجاه المدينة، التي كان سكّانها قد تمكّنوا من القاء القبض على بطريق من قادة الروم. وانتهى الحصار بمفاوضات اقتضت تسليم البطريق مقابل رحيل الروم[٢٣].

كما مع معاوية وخلفائه، لا تطالعنا المصادر بخصوص لبنان الاّ ببعض الوقائع العسكرية، التي تصبّ في غالبيتها في موضوع الصراع البيزنطي العربي. ومنها تعرّض صور، من ضمن مدن الساحل، لهجمات بيزنطية بقصد تخريبها فعمل على تجديدها مع عكا[٢٤].

٢ً-في عهد الوليد بن عبدالملك

في عهد الوليد بن عبد الملك، بلغت الخلافة الاسلامية، تقريبا، اوسع مداها الجغرافي، والخلافة الاموية قمّة عظمتها وهيبتها وغناها. واهمّ الاحداث في عهده، بالنسبة إلى لبنان، حسم مسألة الجراجمة- المردة. وفي عهد الوليد بدأ بناء عنجر Garis قرب بعلبك[٢٥].

٣ً-في عهدي سليمان بن عبد الملك وعمر بن عبد العزيز

أسهمت طرابلس بحملة على القسطنطينية على يد مسلمة بن عبد الملك في عهد سليمان سنة ٩٧هـ/٧١٦م[٢٦]. وكانت هذه الحملة التي دامت سنة، آخر الحملات الجدّية على القسطنطينية[٢٧]. وقبل ذلك بسنة تعرّض الساحل اللبناني لغزو بيزنطي

---

[٢٣] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٤/٤٠٢-٤٠٣.

[٢٤] البلاذري، فتوح، ط. دار الكتب، ص ١٢٤ . ماجد، المرجع المذكور، ص ١٧١.

[25] Theophanes, op. cit. p. 74.يطلق تيوفانس اسم غاريس على عنجر وهليوبوليس باسمها القديم على بعلبك

[٢٦] تدمري، المرجع المذكور، ص١٤٦، نقلا عن ابن عساكر ، مخطوط تاريخ دمشق، ج٣٦/ص ١٩٥-١٩٨.

[27] Elisséeff, op. cit. p. 101.

عندما علم هؤلاء بتوجيه العرب اسطولهم من الاسكندرية إلى بلاد فينيقيا لقطع اشجار السرو، فارسلوا حملة عاجلة إلى شواطىء هذه البلاد لجلب هذه الاخشاب والمعدات التي يجدونها هناك[28]. وشاركت طرابلس ايضا في عهد عمر بن عبد العزيز في محاولة غزو الثغور[29].

٤ -في عهدي يزيد وهشام بن عبد الملك

لا نعرف ما اذا كانت مدن لبنان قد شاركت، في عهد يزيد، الذي اشتهر بمجونه، في الغزوات الاسلامية على بيزنطية. وفي ايام هشام نقلت صناعة الاسطول إلى صور[30]، فقام البيزنطيون بهجوم على المدينة في عام ١٠٧هـ/٧٢٦م[31]، لربما بسبب ذلك.

وفي عهد هشام، ولي الاسود بن بلال المحاربي قيادة غزو البحر. وفي هذا العهد تعرضت بيروت لغزو بحري بيزنطي، يروي تفاصيله ابن عساكر قائلا أن سبب تولية ابن بلال ان والي دمشق كان قد ولاه ولاية مدينة بيروت، فأغارت الروم على سفن من التجار مرسية بنهر بيروت، فذهبت بها ومرت بها على باب ميناء بيروت، واهلها ممسكون بايديهم، فصاح الاسود بهم، وركب قوارب فيها لنسية(نشبة) وقد افتق بطلبهم حتى استنقذ تلك المراكب، وقتل منهم، وكتب إلى هشام فكتب إلى الاسود بولايته على البحر، ثم امره الوليد بن يزيد، وتم نقله إلى ولاية الاردن في عهد يزيد بن الوليد واستبدل بالمغيرة بن عمير. وكان الاسود بن بلال قد غزا قبرص سنة ١٢٥هـ[32]. ومن هذا الخبر يمكن استنتاج الدور الذي كانت تمثله بيروت في العهد الاموي، على صعيد التجارة.

٥ -في عهد الوليد بن يزيد

ورغم ان الامويين اختاروا عنجر مسكنا لاستجمامهم، فمن الواضح ان اثنين فقط من الخلفاء الامويين عرفا لبنان وهما: معاوية الاول والوليد بن يزيد .

الخليفة الوليد بن يزيد الذي لربما زار بيروت وجوارها وولى على بعلبك محمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص[33]، نقل في ايامه الاسود بن بلال المذكور اعلاه

---

[28] Theophanes, op. cit. p. 80-81.

[29] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٤٨، نقلا عن ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن(ت ٥٩٧) سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز، مطبعة المؤيد مصر ١٣٣١ هـ ص ١٠٨. ابن نعيم الاصبهاني(ت٤٣٠هـ)**حلية الاولياء وطبقات الاصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.

[30] البلاذري، فتوح ، ج١/ص١٤٠. ط. دار الكتب، ص ١٢٤.

[31] تدمري، المرجع المذكور، ص١٤٩، نقلا عن ابن عساكر، المخطوط، تاريخ دمشق،ج٤٦/ص٧٦٧.

[32] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦٧/٩. تهذيب، ج٣/ص ٤٧. وقد اشكلت الامور على د. تدمري فنسب لفظة مرسية إلى اسبانيا.

[33] ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، تصحيح الشنقيطي، مطبعة التقدم بمصر، ج١٣٣/٦، تحقيق البجاوي، ج٧/ص ٤٢-٤٣. ياقوت الحموي، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ج١/ص ٥٢٥. صالح بن يحيى، تاريخ،ص ١٥.

في عام ١٢٥هـ/٧٤٣م جماعة من اهل قبرص إلى الماحوز بين صيدا وبيروت[٣٤] ثم اعاد الخليفة النازحين إلى الجزيرة[٣٥]. وقد ترك الخليفة الوليد المذكور شعرا في بيروت يقول فيه:

ربّ بيت كأنّه متن سهم سوف نأتيه من قرى بيروت
من بلاد ليست لنا ببلاد كلما جئت نحوها حييت
سلام لا برحت بخير ثمّ لا زالت جنتي ما حييت[٣٦]

وقال ايضا في بيروت

اذا شيت تصابرت ولا اصبر ان شيت
ولا والله لايصبر في البرّية الحوت
الا يا حبّ ذا شخص حمت لقياه بيروت[٣٧]

وقال في سلمى بنت سعيد بن خالد بن عمرو بن عثمان بن عفان التي احبّ:

اراني قد تصابيت وقد كنت تناهيت
ولو يتركني الحبّ لقد صمت وصليت

سليمى ليس لي صبر وان رخصت لي جيت
فقبلتك الفين وفديت وحييت
الا احبب بزور زا رمن سلمى ببيروت[٣٨]

وقال ايضا فيها:

اسلمى تلك حييت قفا نخبرك ان شئت
فما صهباء لم تكن قذى من خمر بيروت[٣٩]

ويمكن القول، على الصعيد السياسي انّ لبنان لم يعان كثيرا من الصراع القيسي- اليمني ، الذي لم تصل حماه الاّ إلى المناطق البقاعية[٤٠].

ولم تسجّل المصادر معلومات مهمّة عن لبنان في فترة حكم يزيد الثالث وابراهيم.

---

[٣٤] المنبجي، المنتخب، ص ٩٥.
[٣٥] البلاذري، فتوح، ج١/ص ١٨٥. ط. دار الكتب، ص١٦١.
[٣٦] الاصفهاني، الاغاني، ط. الشنقيطي،ج٦/ ١١٨. ط.البجاوي ،ج٧/ ٤٢.
[٣٧] صالح بن يحيى، تاريخ، المصدر المذكور، ص١٥.
[٣٨] الاصفهاني، الاغاني، ط.الشنقيطي، ١٩٠٥، ج١١٣/٦.
[٣٩] الاصفهاني، المصدر نفسه، ج١١٧/٦.
[٤٠] مكي، المرجع المذكور، ص ٦٠.

ب-مشكلة المردة- الجراجمة[٤١]

يرد مصطلح الجراجمة[٤٢] في المصادر العربية، والمردة Mardaïtai في المصادر اليونانية، وهم بحسب رأي المؤرخين السريان شعب واحد بتسميتين[٤٣]. وليس هناك امور كثيرة تجمع الموارنة بهؤلاء عقائديا وسياسيا، ولا تشرّفهم التهمة التي الصقها بهم السريان ولا تصرفاتهم الملتوية المزدوجة ولا الاعاشات التي حصلوا عليها عند حلّ مشكلتهم نهائيا، لكن ليس ما يمنع أن تكون بقايا جرجومية او من المردة قد استقرّت في لبنان لسبب او لآخر، فليس بالضروة ان يكون المردة والجراجمة شعبا واحدا، حتى ولو أدوّا، في مرحلة ما، الخدمة نفسها، اذ انّ مصيرهما بعد غزو لبنان لن يكون واحدا.

لانعرف اصل هؤلاء، الجراجمة والمردة، بالتحديد. فمنهم من يعتبر الجراجمة من الفرس، وفي ذلك تناقض مع الواقع التاريخي الذي لا يجيز ان يكون في خدمة

---

[٤١] اقرب المصادر إلى زمن الجراجمة -المردة هو تيوفانس المؤرخ البيزنطي الذي كتب عن هذه المسألة بعد مائة وثلاثين سنة من حدوثها واستفاد من الوثائق الرسمية لوضع كتابه. يأتي بعده البلاذري من أواخر الجيل التاسع، وهو يبعد عن الاحداث تلك قرابة المائتي سنة، ثمّ اليعقوبي المدّة نفسها والمسعودي ٢٥٠ سنة. أمّا ابن عساكر فحوالي اربعة قرون وكذلك ميشال السوري، وابن العبري خمسة قرون، الخ. ونجد صدى لموضوع هؤلاء في الطبري الذي يصف الاحداث ذاتها التي رافقت الجراجمة من دون ذكرهم ، وابن الفقيه الهمذاني والمنبجي والمسعودي الذي يسرد الاحداث نفسها كالطبري من دون ادخال الجراجمة اليها، وابي الفرج الاصفهاني وابراهيم بن يوحنا، وابن العديم وابن الاثير، وابن القلانسي، وياقوت، والادريسي والمؤرخ المجهول من سنة ١٢٣٤ والنويري ولسان العرب والفيروزأبادي. ومن المصادر المتأخرة جدا: ابن القلاعي والدويهي، والباني،والحاقلاني، والسمعاني ويوسف مارون الدويهي ودو لاروك. ومن المراجع : لوكيان والدبس و المطران دريان ولامنس وشيخو والكرملي وتوتل ويوسف داود وبوجيه دو سان بيار وفاسيليف وبروكلمان ونولدكه ومارسييه وديل ورادييه وانكتيل دوبرون وبورنوف وغيشرمان وشابيه وفيليه وعادل اسماعيل وماجد و بطرس ضو وفؤاد افرام البستاني وهنري ابو خاطر ومتى موسى و وكلود كاهن وكرد علي و محمد علي مكي وعمر تدمري وابراهيم بيضون وجورج شلهوب الخ. وللتعرّف إلى مصادر البحث، مع نصوصها ومراجعها والمسائل التي طرحت حول موضوع الجراجمة- المردة تراجع الدراسة القيّمة للدكتورجورج شلهوب:

G.Chalhoub, **Recherches sur les Mardaites -Garagima**, Kaslik-Liban1999. K. Salibi, " The Maronites of Lebanon under Frankish and Mamluk rule". **Arabica** IV(1957) pp 288-303,p.289.

[٤٢] هناك عدّة تأويلات لاسم الجراجمة واصلهم. وكلّها مجرّد اجتهادات لا حقائق تاريخية. وقد ورد في لسان العرب انّ الجراجمة يجترمون الناس ، أي لصوص... ويقال الجراجمة نبط الشام. **لسان العرب**، ط. مصر، ١٤/٣٦٣. وفي الفيروز ابادي ، **القاموس المحيط** ، فصل الجيم:جرجمة قوم من العجم بالجزيرة او نبط الشام ج٤/ ١٠ . ويرد عند ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص٣٥، وفي ط. هنري ماسيه بالفرنسية عن المعهد العلمي الفرنسي، دمشق ١٩٧٣ص ٤٠:علوج مصر القبط وعلوج الشام جراجمة وعلوج الجزيرة جرامقة وعلوج السواد النبط.

[٤٣] ابن العبري، **تاريخ الدول السرياني**، (تاريخ الزمان)مجلة المشرق ١٩٤٩-١٩٥٦، ص٤٧٧-٤٧٩.
Michel le Syrien, **Chronique**, éd. Chabot,t.III, p.455 et 459, t.IV, p.437.

الروم محاربون من الفرس اعدائهم التقليديين، ومن الذين يرجعونهم إلى اصل فارسي ابو الفرج الاصفهاني: " بنو الاحرار الذين عناهم امية بن ابي الصلت في شعره هم الفرس الذين قدموا مع سيف بن ذي يزن وهم إلى الآن يسمون بني الاحرار بصنعاء... وبالبصرة الاساورة وبالجزيرة الخضارمة وبالشام الجراجمة[٤٤]". وتقول احدى الدراسات انهم اتخذوا من مرعش وطنا وكانت هذه المدينة تدعى قديما جرمانيقة[٤٥]. ويربط ابن عساكر الجراجمة بالانباط فيقول: أن طاغية الروم... كاتب أنباط جبل لبنان واللكام ، فخرجوا جراجمة فعسكروا بالجبل[٤٦]. وبالنسبة للمردة، انه زمن الاسكندر كان شعب يقطن بحر قزوين اسمه المردة[٤٧]. وتنسب بعض الدراسات المردة إلى ماردين التي اتخذت اسمها منهم، وان المردة هم المرد، او المردان من الفرس وانهم كانوا موجودين زمن الفتح الروماني في سنة ٦٨ ق.م.[٤٨]. وتذكر دراسة اخرى، استنادا إلى هيرودوتس واسترابون واريانوس وتاستوس، ان المردايتاي أي المردة كما يسميهم ابن العبري، هم من اصل فارسي وهم قبائل الماردين[٤٩]. وفي النصوص التالية يتطابق المردة إلى حدّ كبير مع عسكر الروم الذين خرجوا من بيزنطية إلى جرجومة وجاؤوا مع الجراجمة، او قادوهم، في عملية محاولة استعادة جبال لبنان.

والجراجمة قوم محاربون من أهل جرجومة، وهي مدينة فوق مدينة انطاكيا في جبال اللّكام، كانوا يعملون حرّاسا وأدلاء ومرتزقة في جيش البيزنطيين، ثمّ اتفقوا مع العرب، عند فتح مدينتهم صلحا، على أن يكونوا أعوانا للمسلمين وجواسيس لهم وأدلاء، والا يدفعوا الجزية كباقي أهل الكتاب، وغير ذلك.

مع اندلاع الحرب الأهلية بين معاوية والخليفة علي بن أبي طالب ضعفت الحاميات العسكرية المرابطة على الحدود مع بيزنطية، فاستغلّ البيزنطيون الفرصة وقاموا بمحاولات لاستعادة سوريا[٥٠]. فبدأت غزواتهم بهجمات شعبية، من أهل

---

[٤٤] ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني،ط. الشنقيطي، ج ١٦/ ص٧٣، وقد جاء كلامه على الجراجمة في معرض الحديث عن الشاعر امية بن ابي الصلت واستعراضه لقصة سيف بن ذي يزن ومساندة بني الاحرار الفرس له.

[٤٥] هنري لامنس، **تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من آثار**، بيروت ١٩٨٣، ج٢/ص ٥١.

[٤٦] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٠/١٤٥.

[٤٧] بطرس ضو، **تاريخ الموارنة**، دار النهار، بيروت١٩٧٠، ص٢٨٤.

[٤٨] لويس شيخو، مجلة المشرق،١٩١٢، ص ٣٠٠. ضو، المرجع المذكور، ص٢٨٥.

[٤٩] عادل اسماعيل، **المردائيون(المردة)**، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت٢٠٠٠ .

[٥٠] يخبر اغابيوس المنبجي من القرن الحادي عشر، بانه في السنة السابعة عشرة لمعاوية ركب الروم السفن فأتوا ساحل صور وصيدا واستولوا على جبل لبنان فأووا اليه، وكان الناس يسمونهم " الخرانقة" فاستولوا على جبل لبنان وانتشروا من الجليل إلى الجبل الاسود ذلك ان قسطنطين دسّهم ليشغلوا العرب عن الغزو. وفي ايام عبدالملك تهادن المسلمون والروم على ان يخرج يوستنيانوس الروم الذين في جبل لبنان ويردّهم إلى بلد الروم. المنبجي، **المنتخب**، ص٧٢-٧٣. راجع ايضا مصدر متأخر هو **منتخب**

جرجومة ومن قبل النازحين عن المنطقة ومن العبيد والأسرى، للسلسلة الجبلية المطلّة على البحر في سوريا ولبنان، فاضطر معاوية للتفاهم مع امبراطور الروم قسطنطين الثالث لقاء قسط من المال يدفعه له، والتصالح معه ومع الجراجمة.
ويروي البلاذري قصة هذا الموضوع كما يلي: "حدثني مشايخ من اهل انطاكيا ان الجراجمة من مدينة على جبل اللكام ... يقال لها جرجومة، وان امرهم كان في ايام إستيلاء الروم على الشام وانطاكيا إلى بطريق انطاكيا فلما قدم ابو عبيدة انطاكيا وفتحها لزموا مدينتهم وهمّوا باللحاق بالروم اذ خافوا على انفسهم، فلم ينتبه المسلمون لهم ولم ينبّهوا عليهم. ثمّ ان اهل انطاكيا نقضوا وغدروا، فوجّه اليهم ابو عبيدة من فتحها ثانية و ولاها بعد فتحها حبيب بن مسلمة الفهري. فغزا الجرجومة فلم يقاتله اهلها ولكنّهم بدروا بطلب الامان والصلح. فصالحوه على ان يكونوا اعوانا للمسلمين وعيونا ومسالح في جبل اللكام، وان لا يأخذوا بالجزية، وان ينفلوا اسلاب من يقتلون من عدّو المسلمين اذا حضروا معهم حربا في مغازيهم. ودخل من كان في مدينتهم، من تاجر واجير وتابع من الانباط وغيرهم واهل القرى في هذا الصلح، فسموا رواديف. فكان الجراجمة يستقيمون للولاة مرة ويعوجون اخرى فيكاتبون الروم ويمالئونهم[٥١]".

ونستنتج من النصّ انّ جرجومة مدينة كبيرة في جبل اللكام(الامانوس) كانت موجودة في القرن التاسع ق.م كما يذكر المستشرق لامنس[٥٢]. وقد فتحها العرب صلحا على ان يكون اهلها اعوانا للمسلمين وجواسيس(عيونا) ومسالح(ادلاء). وان لايدفعوا الجزية اسوة بالمسيحيين ويحقّ لهم الاستفادة من المغازي مع المسلمين. وكان سكّان الجرجومة خليطا من اهلها الاصليين ومن تجّار ومن اجراء وانباط وغيرهم. وكان هؤلاء الجراجمة يمارسون سياسة مزدوجة: فتارة يميلون إلى العرب واخرى إلى الروم.

امّا رواية تيوفانس، المصدر اليوناني فتقول:" في هذه السنة ٦١٦٩ للعالم ٦٦٩ للسيد المسيح التاسعة لقسطنطين غزا المردة لبنان واحتلوّه من الجبل الاسود(المعروف اليوم بالجبل الاقرع) إلى المدينة المقدسة(اورشليم القدس) واستحوذوا على اهمّ مراكزه وانضمّ اليهم كثيرون من العبيد والاسرى والوطنيين حتىا صبح عددهم في مدّة وجيزة الوفا كثيرة. وعندما سمع معاوية واصحاب مشورته بذلك خشوا جدا من عاقبته حتى فكروا بأنّ الله محام عن مملكة الرومانيين وارسل

التذكرة في التاريخ المنسوب إلى المقريزي، والنسخة تبدو سابقة للمقريزي، مخطوط رقم ١٥١٤، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٥٩.

[٥١] البلاذري، فتوح، ق١/ص ١٨٩-١٩١. ط. دار الكتب، ص ١٦٣-١٦٧. ويمكن تتبّع نصوص البلاذري وتيوفانس وابن العبري وميشال السوري في كتابنا المذكور : المشرق العربي،ص ٤٩-٥٦، ص ٥ (النصوص الفرنسية).

[٥٢] لامنس، تسريح الابصار، دار الرائد اللبناني، بيروت ١٩٨٢، ج٢/٤٥-٤٦.

معاوية وفدا إلى قسطنطين الملك يطلب الصلح ويعد بوفاء جزية كل سنة. وعندما تقبل الملك وفدهم واجابهم إلى سؤالهم أوفد معهم إلى سورية البطريق يوحنا المسمى بتسيكود وكان من رجال الندوة في حكومته ومتصفا بالخبرة والحكمة وكان غرضه التفاوض مع العرب للاتفاق على الصلح . ولما بلغ سورية قابله معاوية بالترحاب وعقد ديوان مشورته من الامراء واعضاء قبيلة قريش وبعد المداولة بشروط الصلح قر رأيهم على كتابة عهدة موثقة باليمين على ان يدفع العرب كل سنة إلى الرومانيين ثلاثة الاف نوميسما وثمانية الاف اسير وخمسين جوادا من الخيل الجياد وابرم الصلح بين الرومانيين والعرب على هذه الشروط إلى ثلاثين سنة ودونت العهدة ووقع على نسختين منها لكل فريق نسخة وعاد ذلك الرجل الشهير يوحنا بتسيكود المتواتر ذكره إلى الملك بهدايا نفيسة جدا[٥٣]".

وعادت المشكلة نفسها مع بداية عهد عبدالملك بن مروان والحرب الأهلية التي اندلعت مجددا في السباق على الخلافة بينه وبين ابن الزبير، فوجه الروم في عهد يوستنيانوس الثاني الجراجمة سنة ٦٨٩، ومعهم جيش من الروم والأنباط والعبيد، إلى السلسلة الجبلية الغربية في سوريا ولبنان مجددا، فاضطر عبدالملك إلى اتباع سياسة معاوية تجاههم، فصالحهم على ألف دينار في كل جمعة، ومال إلى الأمبراطور، لقاء ان تسحب بيزنطية هذه القوات من جبال لبنان. واستجاب يوستنيانوس لذلك، فسحب ١٢ ألف رجل، وبقيت حامية صغيرة لهم تمكن أحد قادة عبدالملك من القضاء على قائدها في خدعة. فتفرق المردة في قرى حمص ودمشق، ورجع أكثرهم إلى مدينتهم في اللكام وأتى الأنباط إلى قراهم. ويروي البلاذري قصة ذلك كما يلي:

" فلما كانت ايام الزبير وموت مروان بن الحكم وطلب عبد الملك الخلافة بعده لتوليته اياه عهده واستعداده للشخوص إلى العراق لمحاربة المصعب ابن الزبير، خرجت خيل للروم إلى جبل اللكام وعليها قائد من قوادهم ، ثم صارت إلى لبنان وقد ضوت اليها جماعة كثيرة من الجراجمة وأنباط وعبيد اباق من عبيد المسلمين. فاضطر عبد الملك إلى ان صالحهم... ثم ان عبد الملك وجه إلى الرومي سحيم بن المهاجر فتلطف حتى دخل متنكرا فاظهر الممالأة له وتقرب اليهم بذم عبد الملك وشتمه وتوهين امره، حتى امنه واغتر به. ثم انه انكفأ عليه بقوم من موالي عبد الملك وجنده كان اعدهم لمواقعته ورتبهم بمكان عرفه، فقتله ومن كان معه من الروم، ونادى في سائر من ضوى اليه الامان. فتفرق الجراجمة بقرى حمص

---

[٥٣] اعتمدنا في ترجمة نص تيوفانس على يوسف الدبس، **تاريخ سوريا**، ج٥ ص ١٠٥-١٠٧. وضبطنا ترجمته عن ترجمة النص اليوناني لتاريخ توفانس إلى الانكليزية من خلال كتاب:Theophanes, op. cit. p53-54 .

ودمشق. ورجع اكثرهم إلى مدينتهم باللكام واتى الانباط قراهم، فرجع العبيد إلى مواليهم[٥٤]".

ونستدل من النص ان العناصر التي اجتاحت لبنان تألفت من: خيل للروم(فرقة بيزنطية) ومن الجراجمة والانباط(النازحون عند الفتح) وعبيد اباق(عبيد للمسلمين هاربون).

ويخبر تيوفانس قصة ذلك قائلا:" في ٦١٧٦ للعالم/٦٨٤-٦٨٥ حدثت مجاعة شديدة وطاعون في سوريا وولى عبد الملك في امته وتواترت غارات المردة في جوار لبنان وعندما ثقلت وطأة الطاعون طلب عبد الملك تجديد عهدة الصلح التي كانت قد ابرمت في ايام معاوية وارسل وفودا إلى الملك واعدا ان يدفع كل سنة ثلث مئة وخمسة وستين نوميسما وكذلك ٣٦٥ من العبيد وليس بأقل من ذلك ٣٦٥ من الخيل الجياد ... وفي سنة ٦١٧٨ للعالم/ ٦٨٦- ٦٧٨ للسيد المسيح السنة الاولى ليوستنيانوس الثالثة لعبد الملك ، ارسل عبد الملك رسلا إلى يوستنيانوس لابرام عهدة الصلح فعقد الصلح على الشروط الآتية وهي ان الملك يمنع غارات عسكر المردة من لبنان ويخرجهم منه وعبد الملك يدفع اليه في كل يوم الف نوميسما وفرسا ومملوكا وان الملكين يقتسمان بينهما خراج قبرس وارمينيا وايباريا قسمة عادلة سوية وارسل الملك بولس ماجيستريانس إلى عبد الملك لابرام عهدة الصلح فكتب صكها ووقع عليه امام الشهود وعاد ماجيستريانس مكرما إلى الملك. وابرز الملك امرا بابعاد اثني عشر الفا من المردة عن اوطانهم فاضعف بذلك وضع المملكة الرومانية لان جميع المدن المجاورة للبنان من المصيصة إلى ارمينيا الرابعة كانت ضعيفة وكانت خالية من السكان بسبب غارات المردة الذين كبتهم الملك...وفي سنة ٦١٧٩/ ٦٨٧-٦٨٨مضى الملك (يوستنيانوس)إلى ارمينيا فقابل هناك عسكر اللبنانيين المردة واضعا حدا لهذا السور النحاسي... [٥٥]". ثم يلي ذلك كلام عند تيوفانس، في معرض كلامه على احداث ٦٩١-٦٩٢، عن ان

---

[٥٤] البلاذري، فتوح، ج ١/ص ١٨٩-١٩١. ط. دار الكتب، ص ١٦٤-١٦٥. ينقل ياقوت قسما كبيرا من رواية البلاذري بشكل شبه حرفي تقريبا، ويضيف اليها ان المسلمين استعانوا بالجراجمة في مواطن كثيرة في عهد بني امية وكذلك بني العباس.ياقوت، **معجم البلدان**،٥ اجزاء، بيروت١٩٥٥،ج٢/ص ١٢٣. راجع ايضا مصادر متأخرة ومنها منتخب التذكرة في التاريخ، المصدر المذكور، ص٥٩، **والبحر الزاخر في علم الاول والاخر**، لابن تغري بردي، مخطوط رقم ١٥٥١، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢٣٥، وهي تشير إلى ما جرى من دون ذكر الجراجمة-المردة وتحصر الموضوع بالروم.ويعتبرالحسين بن عبد الرحمن الاهوال(٨٥٥) **غربال الزمان في وفاة الاعيان**(الذي هو مختصر لليافعي)، مخطوط رقم١٥٩٣، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢٢، ان عقد عبد الملك الصنح مع الروم اول وهن في الاسلام.
راجع ايضا ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي(٥٧١/١٢٠١)، **عجائب البدائع**، مخطوط رقم ١٥٦٧، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٨ وهو يذكر الموضوع من دون الجراجمة، وكذلك ابن تغري بردي، **البحر الزاخر**، مخطوط رقم ١٥٥١، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٢٤١-٢٤٢.

[٥٥] الدبس، المرجع المذكور،ج٥/ ص١٠٥-١٠٧.Theophanes. op.cit.p.59, 61-62.

العرب سعوا للصلح مع يوستنيانوس لايقاف غزوات المردة[56]. وفي معرض حديثه عن احداث ٧١٦، يصف مقاومة مشاة الجيش البيزنطي لهجمة العرب على نيقيـــا، بانهم اعتمدوا طريقة المردة في الاختباء في الجبال للتربص بالاعداء[57].

ثم ظهرت المشكلة مجددا على عهد الوليد بن عبد الملـــك ســـنة ٧٠٨، فـــافتتح مدينتهم وأخرجهم منها، على ان ينزلوا حيث احبوا من بلاد الشام ويعطى كل منهم ٨ دنانير و لعيالهم القوت من القمح والزيت، وهومديان من قمـــح وقســـطان مـــن زيت، وان لايكرهوا على ترك النصرانية وان لا يلبسوا لباس المسلمين ولا تؤخـــذ منهم ومن نسلهم الجزية ولا يؤخذ من تجارتهم ما يؤخذ مـــن المســـلمين. ويخـــبر البلاذري قصة ذلك على الشكل الاتي:" ولما كانت ســـنة تســـع وثمـــانين اجتمـــع الجراجمة إلى مدينتهم واتاهم قوم من الروم... فوجه الوليد بن عبد الملـــك اليـــهم مسلمة بن عبد الملك فأناخ عليهم في خلق من الخلق، فافتتحها على ان ينزلوا حيث احبوا من الشام، ويجري على كل امرىء منهم ثمانية دنانير، وعلى عيالاتهم القوت من القمح والزيت، وهو مديان من قمح وقسطان من زيت، وعلى ان لا يكرهوا ولا احد من اولادهم ونسائهم جزية ، وعلى ان يغزوا مع المسلمين فينفلوا اسلاب مـــن يقتلوه مبارزة، وعلى أن يؤخذ من تجاراتهم واموال موسريهم ما يؤخذ من امـــوال المسلمين. فاخرب مدينتهم وانزلهم فاسكنهم ... وصار بعضهم إلى حمص ونـــزل بطريق الجرجومة في جماعة معه انطاكيا، ثم هرب إلى بلاد الروم...وقـــد كـــان بعض العمال الزم الجراجمة بانطاكيا جزية رؤوسهم، فرفعوا ذلك إلى الواثق وهـــو خليفة فأمر باسقاطها عنهم. وحدثني بعض من اثق به من الكتاب ان المتوكل امـــر باخذ الجزية من هؤلاء الجراجمة، وان تجري عليـــهم الارزاق...[58]". وللبـــلاذري نص اخر عن قصة الجراجمة لا يقدم معلومات جديدة عنهم[59]

ويورد اليعقوبي انه سنة ٤١ بلغ معاوية ان طاغية الروم قد زحف في جمـــوع كثيرة وخلق عظيم، فصالحه سنة ٤٢هـــ، وانه في ايام الوليد بن عبد الملك ، عقـــد الاخير لمسلمة اخيه على غزاة الروم، فنفذ في عدد كثير، فوجد جراجمة انطاكيا قد خالفوا، فقتل منهم مقتلة عظيمة[60].

نتيجة هذه الاحداث، توزع الجراجمة في انحاء مختلفة من بلاد الشام. ونجد اثرا لذلك في منطقة من مدينة حماه تعرف بحي الجراجمة، وهي منطقة جبلية تكثر فيها المغاور[61].

---

[56] Theophanes, op. cit. p. 63.

[57] Theophanes, op. cit. p. 90.

[58] البلاذري، فتوح،ج١/ص١٩٠-١٩١. ط. دار الكتب، ص١٦٦.

[59] البلاذري،**انساب الاشراف**، ط. ١٩٣٨،ص٢٩٩-٣٠٠.

[60] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص ٢٨٣،٢١٧.

[61] مكي، المرجع المذكور، ص٤٩.

وتورد رواية متأخرة لابن عساكر، لا تخلو من المبالغة والخيال ويصعب تأكيد وقائعها، كيفية القضاء على قائد الحامية الرومية على يد سحيم بن مهاجر الذي ولي امر طرابلس زمن عبد الملك بن مروان، ثم ولي غزو البحر زمن الوليد بن عبد الملك: " ولما كان طاغية الروم رأى ما صنعه الله للمسلمين وأخذهم مدائن السلحل كاتب أنباط جبل لبنان واللكام، فخرجوا جراجمة فعسكروا بالجبل. ووجه طاغية الروم قلقط(او فلقط) البطريق في جماعة من الروم في البحر، فسار بهم حتى أرسى بهم بوجه الحجر، وخرج بمن معه حتى علا بهم على جبل لبنان، وثب بقواده إلى أقصى الجبل حتى بلغ انطاكيا وغيرها من الجبل الاسود، فأعظم ذلك المسلمون حتى لم يكن احد يقدر ان يخرج في ناحية من رجا(او رحا) (؟) وغيرها الا بالساحل، ثم استفحل امر الروم فغلبوا على الجبال كلها من لبنان ، وسنير، وجبل الثلج، وجبال الجولان فكانت باسبل مسلحة لنا في الرفاد(او الرقاد)(؟) وعقرباء الجولان مسلحة حتى جعلوا ينادون عبد الملك بن مروان من جبل دير مران من الليل، حتى بعث اليهم عبد الملك بالاموال ليكفوا حتى يفرغ لهم وكان مشغولا بقتال اهل العراق ومصعب بن الزبير وغيره، ثم كتب عبد الملك إلى سحيم في مدينة اطرابلس يتواعده ويأمره بالخروج اليهم ، فلم يزل سحيم ينتظر الفرصة منهم ويسأل عن خبرهم واامورهم حتى بلغه ان قلقط(فلقط) في جماعة من اصحابه قد تهيأ بهيئة الروم في لباسه وهيئته وشعره وسلاحه، متشبها ببطريق من بطاركة الروم قد بعثه ملك الروم إلى جبل اللكام في جماعة من الروم فغلب على ما هنالك، فلما دنا من القرية خلف اصحابه[في قرية من قرى الجبل، فخرج سحيم في عشرين رجلا، من جلداء اصحابه و] قال: انتظروني إلى مطلع كوكب الصبح، فدخل على قلقط واصحابه وهم في كنيسة يأكلون ويشربون، فمضى إلى مقدم الكنيسة فصنع ما يصنعه النصارى من الصلاة ...ثم جلس إلى قلقط فقال له: من انت؟ فانتمى إلى الرجل الذي يشبهه، فصدقه...ثم قال: ابعث معي عشرة من هؤلاء ... حتى نحرسك الليلة... فبعث معه عشرة... فخرج بهم إلى أقصى القرية...فلما ناموا كلهم قتلهم... ثم أتى الكنيسة فقتل قلقط واصحابه...فنذر بهم من بقي منهم فخرجوا هرابا حتى أتوا سفنهم بوجه الحجر فركبوها ولحقوا بارض الروم، ورجع أنباط جبل لبنان إلى قراهم " [٦٢] .

المصادر السريانية كابن العبري وميشال السوري تطلق على هؤلاء الجماعة اسم روميين مردة كانوا يدعون(Marîdayî ou Liphourê) اطلق عليهم السريان وسكان سوريا لقب جراجمة وهم رجال لصوص سيرهم قسطنطين للاستحواذ على المنطقة الممتدة من جبل الجليل إلى الجبل الاسود وعلى لبنان اجمع وكانوا يعملون

[٦٢] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٠/١٤٥-١٤٦؛ تهذيب، ج٦/ ص٦٧-٦٨. ويبدو ان ابن العديم الحلبي يكرر ما جاء عند ابن عساكر.

على النهب، واشتد العرب اخيرا فقتلوا البعض وفقأوا عيون البعض الاخر. وفي ايام مروان بن الحكم حدث نزاع شديد بين العرب وكثر المطالبون بالسلطة وكان المردة الروم في لبنان يغزون في كل الاطراف. وفي ايام عبد الملك بن مروان الملقب بأبي الذبان رأى الحروب تكتنفه من كل صوب ولا سيما من المردة الروم الذين ضايقوه في لبنان فأبرم الصلح لعشر سنوات مع يوستنيانوس بشرط ان يرحل المردة وهم اثنا عشر الفا، ويرسلهم إلى بيت-روميه[٦٣].

أسهم الجراجمة بعد ذلك الوقت في الحروب إلى جانب المسلمين، فساعدوا مثلا مسلمة بن عبد الملك في حربه ضد يزيد بن المهلب سنة ١٠١هـ/٧٢٠م الذي جاء في خطبة له: " جاء أهل الشام ومسلمة... وما مسلمة إلا جرادة صفراء. أتاكم في برابرة وجرامقة وجراجمة وانباط وابناء فلاحين وأوباش واخلاط..."[٦٤].

وقد استعملهم الخليفة هشام بن عبدالملك في حصن الموره في جبل اللكام[٦٥].

ويبدو ان الجراجمة كانوا لا يزالون موجودين في جبل اللكام في القرن العاشر الميلادي، اذ يذكر ابراهيم بن يوحنا، من القرن المذكور، وجود دير للسيدة العذراء مريم يعرف بدير الجراجمة في جبل اللكام في ذلك القرن[٦٦].

ثانيا-الأوضاع الدينية

أ-بروز الموارنة في لبنان

كان المسيحيون في الشرق على نوعين: الملكية او الملكانية نسبة إلى ملك الروم، واليعاقبة الرافضون الانصياع لمذهب الروم وينتسبون إلى يعقوب البردعي(القرن السادس). كان الروم من الملكية يقولون ب " الطبيعتين والمشيئتين في السيد المسيح". اي ان المسيح له جوهر الهي وانساني في آن معا. اما اليعاقبة(والارمن والاقباط والسريان "الارثوذكس")، فيقولون ب" الطبيعة الواحدة"معتبرين

---

[٦٣] ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، ص ٤٧٧-٤٧٩..Le Syrien
op.cit,t.III,p455,469.T.IV.p.437

[٦٤] ابن الاثير، الكامل في التاريخ، ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٥-١٩٦٧، ج ٥/٧٥. ويبدو ان ما جاء عند ابن الاثير اضافة إلى ذلك يكرر ما جاء عند البلاذري. وكذلك النويري، نهاية ،يكرر ما جاء عند ابن الاثير .

[٦٥] البلاذري، فتوح، ط. دار الكتب، ص ١٧١.

[٦٦] ابراهيم بن يوحنا، مصدر من القرن العاشر، نشر نصه من قبل حبيب الزيات بخصوص حياة البطريرك الملكي الانطاكي كريستوفوروس(ت ٩٦٧م) وكان ابراهيم معاصرا للبطريرك: "ولك عدة من التباع والمساعدين الاولاد الذين اولدتهم بالمسيح وقدمتهم إلى الطريق المؤدية إلى ما يرضي الله... ومنهم انبا ارميا رفيقه(رفيق البطريرك كريستوفورس)العجيب رئيس دير الست السيدة والدة الاله المعروف بدير الجراجمة الذي انشأه هو في جبل اللكام المقدس" راجع شلهوب ، المرجع المذكور(بالفرنسية) ص٤٢، ١٦٣.

ان الله اصبح انسانا بتجسده بالمسيح، لكنه بقي في جوهره الها كاملا، رغم اتخاذه صورة البشر.

اقترح الروم مع هرقل حلا وسطا يقول بطبيعتين منصهرتين في شخص المسيح مما يجعل منهما مصدر مشيئة واحدة وفعل واحد. ولكن هذه المحاولة لم تعمر طويلا فعاد الملكية إلى القول بالطبيعتين والمشيئتين في يسوع الناصري، وكفروا في المجمع المسكوني السادس في القسطنطينية عام ٦٨٠ القائلين بالمشيئة الواحدة[٦٧].

في خضم هذه الصراعات والمحاولات التوفيقية نشأت الكنيسة المارونية، وهي احدى الكنائس الشرقية الانطاكية المنبثقة من مذهب الملكية، نشأت بانفصالها عن الملكيين نتيجة التفكك الذي حل في جسم كنيسة انطاكيا ابتداء من القرن الخامس حتى القرن السابع. ومرد ذلك إلى الخلافات اللاهوتية من جراء تنازع القوميات ودخول الاسلام على مسرح الشرق. ولا يزال الغموض يلف اصلها التاريخي ومراحل تطورها الاولى. لذلك كان ايمانها عرضة لجدل خلال فترة طويلة[٦٨].

١-مار مارون

ينتسب الموارنة، من حيث الإسم، إلى الراهب مارمارون، احد ابرز قديسي الكنيسة الملكية. عاش في أواخر القرن الرابع الميلادي ومطلع القرن الخامس، في منطقة قورش التي تقع في شمال سوريا. وكان هذا القديس قد إبتدع مدرسة في النسك، في العراء، على جبل فوق انطاكيا، بحيث لم يكن يأوي، إلى كوخ بجانب المعبد الذي حوله عن عبادة الشيطان وكرسه لله الواحد، الا عندما يسوء الطقس فوق العادة.

ذاعت شهرته العجائبية في حياته، فتقاطر الناس اليه طالبين منه الصلاة لنفسهم ولشفاء اجسادهم. ويعتقد أن هذا القديس قد توفي حوالى العام ٤١٠م. وبعد وفاته انتشرت طريقته النسكية في بلاد الشام[٦٩]. وفي حوالى العام ٤٥٢ بنى الأمبراطور

---

[٦٧] راجع حول هذه المعتقدات ، اسد رستم ، **انطاكيا مدينة الله العظمى**،ج١/٤٣٢-٤٤١، ج٢/٤٦-٥٢ . كمال الصليبي. **منطلق** ص، ٣٦-٣٧.

[٦٨] الدكتور الخوري ناصر الجميل، **لبنان من الوثنية إلى المسيحية**، بيروت ٢٠٠٠ ،ص٧١.

[69] THEODORET DE CYR, Histoire des moines de Syrie, II, sources chrétiennes, texte critique, Traduction , Notes et Index par P.Canivet et A.Leroy Molinghen, éd.le cerf 1979.p p.28-33.

وتيودوره هذا ، اوتيودوريطوس، هو الذي أرخ لحياة القديس مارون من ضمن كتابه عن الرهبان في سوريا. وتيودوره هو احد كبار اباء الكنيسة الارثوذكسية- الكاثوليكية، وكان له الدور الرئيس في اعتماد مقررات مجمع خلقيدونيا في عام ٤٥١. والشخص الثاني الذي تكلم عن القديس مارون هو يوحنا فم الذهب الشهير الذي طلب شفاعة مارون وصلاته عندما طرد من كرسيه في بطريركية القسطنطينية ونفي

البيزنطي ديرا على ضفاف العاصي، تختلف الاجتهادات في تحديد مقره، في منطقة حمص، أومعرة النعمان، او شرق حماه على اسم القديس مارون. فقد ذكر ابو الفدا في كتابه "المختصر في اخبار البشر"، ان الامبراطور مرقيانوس بنى هذا الدير في العام ٤٥٢ أي بعد سنة من المجمع الخلقيدوني" ثم ملك بعده(ثاودوسيوس) مرقيانوس(٤٥١-٤٥٧)...ملك سبع سنين، ولسنة خلت من ملكه بنى دير مارون الذي بحمص..."[٧٠]. وفي القرنين الخامس والسادس الميلاديين تكاثر اتباعه في شمال سوريا، وبخاصة في وادي العاصي، وجهات من العراق، وشمال لبنان، وكانوا يعملون على نشر الدعوة لمبادىء المجمع المسيحي الخلقيدوني الذي تبنته الكنيسة لمواجهة معتقدات اليعاقبة والنساطرة وغيرهما التي كانت الأكثر انتشارا في البلاد الشرقية. وأدى الصراع، بين الموارنة وبين هؤلاء، إلى جملة اضطهادات بحقهم، وحتى إلى مذابح قتل في احداها ٣٥٠ راهبا مارونيا.

وترجح احدى الدراسات ان هؤلاء الموارنة كانوا من الأنباط يقطنون المناطق الزراعية في الارياف ويعملون في الزراعة[٧١] .وبعض النظريات ينسبهم إلى اصل حثي.

اذا، كان دير مار مارون على العاصي نقطة انطلاق قيام جماعة رهبان مار مارون. فهذا الدير اصبح مركز نشاط نسكي ولاهوتي واقتصادي.

٢-نشوء الطائفة المارونية

قبيل الفتح العربي، كان المبشرون من رهبان الموارنة، واهمهم ابراهيم الناسك القورشي الذي يقال انه اعطى اسمه لنهر ابراهيم، قد تغلغلوا في بعض المناطق من جبال لبنان الشمالية، حيث كانت الوثنية لاتزال متفشية في بعض الجوانب من المناطق العالية، وحيث انضم اليهم فريق من الناس[٧٢] ولحق بهم فريق من الهاربين من اضطهاد قرنائهم من المسيحيين المونوفيزيين. وبعد الفتح، بدأ عددهم يتكاثر بعد انسحاب بيزنطية ووقوفهم وجها لوجه مع اليعاقبة. وكان هرقل قد سمح للموارنة بالابقاء على ما كانوا قد وضعوا عليه ايديهم من املاك اليعاقبة، ولكن مع مجيء المسلمين وتقرب اليعاقبة منهم سمح لهؤلاء بالانتقام من الموارنة واسترداد

إلى خارجها. راجع حول رسالة الذهبي الفم : العلامة مين، نقلا عن ضو، المرجع المذكور، ص ٥١، وناصر الجميل، المرجع المذكور، ص ٧٣.

[٧٠] راجع نص ابو الفداء في **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٠، ص٨١. والدراسة النقدية المعمقة والمهمة لهذا النص وللنصوص المتعلقة بالنشأة الاولى للمارونية في كتاب الاباتي بولس نعمان: **Théodoret de Cyr et le monastère de Saint Maroun**, Kaslik-Liban 1987.

[٧١] الصليبي، منطلق، المرجع المذكور، ص ٣٧.

[٧٢] Theodoret, op.cit.,pp.35-51 راجع ايضا ناصر الجميل، المرجع المذكور، ص ٥٣.

ممتلكاتهم .كان الموارنة في الأرياف السورية واللبنانية الشمالية، ولم تكن هذه الجماعة الريفية على علاقة جيدة بالأساقفة وبجمهور المسيحيين في المدن، بسبب هيمنة العائلات الثرية وعائلات الأعيان على مجريات الحياة الدينية والإقتصادية. وفي مطلع العهد الأموي، وبعد رحيل البيزنطيين، وفقدان الأمل بعودتهم فعليا، انفجر الصراع بين أهل الريف، الممثلين برهبان القديس مارون، وأهل المدن، على زعامة الكرسي البطريركي الإنطاكي. لأن البطاركة أصبحوا خارج انطاكيا، لا يقيمون مع رعيتهم، بل بالقسطنطينية، وكان العديد من بطاركة انطاكيا قد درجوا على عدم الاقامة فيها منذ مطلع القرن السابع بسبب الظروف السياسية المتغيرة، وكانوا ينتخبون من خارج المنطقة، وفي خارجها. امتنع رهبان مار مارون عن القبول بالبطريرك الجديد، واستغلوا فترة فراغ الكرسي البطريركي من بطريرك لسنوات عدة، وانهيار التنظيم المركزي لطائفة الملكية، فاعتبروا المركز خاليا، وبادروا إلى تنصيب رئيس رهبان دير مارمارون على العاصي، الدير الأم، الأسقف يوحنا مارون بطريركا على انطاكيا في السنوات الاولى من حكم الخليفة يزيد بن معاوية. ولعل اعتناق البطريرك الانطاكي مكاريوس لمبدأ المشيئة الواحدة واقامته بالقسطنطينية واقالته واستبداله بتاوفانس الذي استمر مقيما خارج البلاد هو ما ولد الشعور بالفراغ ودفع الموارنة إلى عدم القبول به بطريركا مفروضا من الخارج، فاعتبروا المركز خاليا.

ولقد ذهبت بعض المصادر المارونية المتأخرة في الزمن اتجاهات عدة بربط الموارنة بالمردة والجراجمة. وليس هناك من علاقة وثيقة بين الموارنة وهؤلاء الا العلاقة في الزمن، وكون القديس مارون قد نشأ وعاش قرب جرجومة، في منطقة انطاكيا الجبلية، وكون الموارنة قد بدأوا بالنزوح إلى لبنان ابان وصول الجراجمة -المردة. ولا شيء يمنع من ان يكون الموارنة قد استغلوا هذا النزوح ليستقروا في الجبال .كان مجيء الجراجمة المردة مصادفا لنقل يوحنا مارون كرسيه إلى جبل لبنان في حوإلى سنة ٦٨٥ بحسب ما تذكر التواريخ المارونية، بعد هجوم البيزنطيين على دير مارون في العاصي، وقتلهم العشرات من رهبانه في فترات المد والجزر مع الفتح ومحاولات البيزنطيين استرداد المنطقة. فاحتمى، لربما، بالمردة الجراجمة من تعقب القوات البيزنطية له. وبعد تمكن يوحنا مارون من ازاحة خطر القائدين البيزنطيين موريقMaurikios وموريقيانMarkianos، اللذين هاجما المورنة عند سفوح جبال لبنان، وانتصر عليهما الموارنة، (دفن موريق في اميون حيث شيدت كنيسة على قبره وموريقيان في عكار)، لربما بمساندة الجراجمة -المردة، وبسبب قيام متغيرات في السلطة في بيزنطية بدأ بناء الطائفة المارونية في جبال لبنان. وكان الكرسي الأول لبطاركتها في كفرحي في منطقة البترون

حيث دفن يوحنا مارون، ثم انتقل بطاركتها إلى يانوح قرب العاقوره حيث استمروا حتى قدوم الصليبيين[٧٣].

كان الموارنة مقيمين بوادي العاصي في سوريا حين كتابة المسعودي لكتابه "التنبيه والاشراف" في سنة ٣٤٥هـ/ ٩٥٦م وهي السنة التي توفي فيها، وأمرهم مشهور بالشام وغيرها. ويذكر هذا المؤرخ ان ديرهم كان قائما في شرق حماه وشيزر وهو ذو بنيان عظيم وفيه من آلات الذهب والفضة والجوهر شيء عظيم، وحوله اكثر من ثلاثمئة صومعة فيها للرهبان، وهو يقرب من نهر الارنط وخرب على زمن المسعودي بسبب فتن الاعراب وحيف السلطان. وكان اكثر الموارنة في جبل لبنان وسنير وحمص واعمالها كحماة وشيزر ومعرة النعمان. وينتسب الموارنة إلى رجل من اهل حماه من اعمال حمص ظهر في ايام موريق امبراطور بيزنطيا. وينسب المسعودي، خطأ، إلى القديس مارون آراء في المشيئة الواحدة، ولعل هذه النسبة إلى المونوتيلية المقصود بهاالموارنة الذين اتهموا بالقبول بها قبيل الفتح الاسلامي[٧٤]. ولربما أسهمت هجمات البيزنطيين في القرن العاشر على وادي العاصي في تدمير دير مار مارون.

وبسبب اضطرارهم إلى اللجوء إلى لبنان، اتخذ البطاركة الموارنة الاوائل من دير مار مارون في كفرحي في قضاء البترون مركزا بطريركيا، ثم انتقل هذا

---

[٧٣] راجع بخصوص الموارنة، الدويهي: **اصل الموارنة**، تحقيق انطوان ضو ، اهدن١٩٧٣؛ **الشرح المختصر**، نشر الاباتي فهد، لبنان ١٩٧٤ . **تاريخ الطائفة المارونية**، نشر الشرتوني ١٨٩٠. يوسف الدبس، **من تاريخ سوريا**، بيروت ١٨٩٣،ج ٤و٥، **الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل**، بيروت١٩٠٥ .اسد رستم، **كنيسة مدينة الله انطاكيا العظمى**، منشورات النور بيروت، ج٢/٣٩-٤٠، ٥٤،٥٦، ٥٨ . وهو يعطي صورة اخرى عن نشوء المارونية، ويربطها بحركة المنونوتيلية التوفيقية التي نادى بها هرقل، ويستدل من كتاب الهدى على ما يؤكد مونوتيلية الموارنة التي كانت موضوع نقاش لتبيان عدم صحة هذا الادعاء من قبل العديد من رجال الدين الموارنة وعلى رأسهم الاباتي فهد ناشر الكتاب وناشر كتاب أخر عن الموضوع بعنوان **حول كتاب الهدى**. ويذهب ايضا مذهب رستم في علاقة النشوء الماروني على المعتقد المونوتيلي وظروف هذه العلاقة والنشأة، خريسوستمس بابا دوبولس، **تاريخ كنيسة انطاكيا**، منشورات النور ١٩٨٤، ص ٥٤٠-٥٤٤. وايضا حول تاريخ الموارنة يراجع بطرس ضو، **تاريخ الموارنة،من مار مارون إلى يوحنا مارون**، دار النهار، بيروت١٩٧٠ . الاباتي بولس نعمان في الكتاب المذكور اعلاه عن تيودوره .كمال الصليبي، **منطلق**، ص٣٣-٤٤. الياس القطار، **المارونية في امسها وغدها**، دير نسبيه-غوسطا-لبنان١٩٩٧. وقد اشكلت امور الهجوم البيزنطي لموريق ومريقيان على د. تدمري فطرح اسئلة حول صحة تدخل البيزنطيين في الدولة الاسلامية من دون ان يأخذ بعين الاعتبار اجتياح المردة الجراجمة للمنطقة المتزامن مع هذه الاحداث، تدمري ص ١٢٣. ناصر الجميل، لبنان من الوثنية إلى المسيحية، بيروت ٢٠٠٠.Mgr.P.Dib.Dict.de Theo.Cath.t.X.p.1-50 .
وللدكتور ابراهيم بيضون رأي بالعلاقة التي حاول البعض ربط الموارنة فيها بالمردة- الجراجمة، اذ يفيد انه يصعب تسويغ علاقة يجتمع فيها الخلاف (المذهبي) والوفاق (السياسي) بين الموارنة والبيزنطيين، المقال المذكور سابقا، ص ١٦٣.

[٧٤] المسعودي، **التنبيه والاشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٩٩٣، ص ١٤٧-١٤٨، ١٥٢.

المركز إلى يانوح[٧٥] ، بجوار بلدة العاقورا، كما اتخذوا مراكز بطريركية اخرى احيانا، ولكن اكثرهم استمر في يانوح، حيث اثار الهيكل لا تزال قائمة، إلى العهد الصليبي عندما اضطروا مكرهين إلى الانتقال إلى دير سيدة ايليج بجوار بلدة ميفوق.

كان النصارى جزءا من النصارى القاطنين في جبل لبنان ويفصلهم عن المسلمين في الجنوب والوسط نهر بيروت. وكانت المناطق بين نهري بيروت والكلب تعرف ب"الخارجة" وبين نهري الكلب وابراهيم ب " الداخلة"[٧٦] .

ومن اللافت انه بعد احداث المردة -الجراجمة، واستقرار يوحنا مارون في جبال لبنان، سيدخل تاريخ الموارنة في عتمة، ولن يبرزوا على مسرح الاحداث مجددا الا مع وصول الصليبيين إلى الشرق في القرن الحادي عشر، ولاندري ما اذا كان لهم ضلع في ثورة المنيطرة في منتصف القرن الثمن الميلادي ام لا ؟ انتشار الموارنة، وبخاصة في الجبال اللبنانية اتخذ شكلا طائفيا، بقيادة مرجعياتهم الدينية بزعامة البطريرك، ولا يوجد بين ايدينا دليل على نوعية تنظيمهم الاجتماعي، خاصة على صعيد التركيب العائلي، الذي سنجد بعض سماته في تاريخهم اللاحق.

وقبل ان نختم الكلام على الموارنة، نلفت النظر إلى ضرورة عدم التملص من مسألة تأثر الموارنة بتراث المسيحيين الشرقيين وإسقاط علاقتهم الوثيقة بالكرسي الرسولي ومن خلاله او بسببه بالغرب المسيحي على ثقافتهم الدينية. فالموارنة مسيحيون مشرقيون في الروح والثقافة والجسد. ومن قصص التراث النسكي الماروني قصة القديسة مارينا، التي اقام لها الموارنة معبدا بسيطا قرب كرسي بطاركتهم في قنوبين، وقصتها مشهورة في التراث الماروني، من حيث انها أنثى لبست ثياب الرجال واتهمت بالزنا مع امرأة اخرى ثم تبين بعد موتها أنوثتها وبراءتها. هذه القصة هي في الاساس قصة نسطورية يرويها البيروني على الشكل الآتي: " ثم أذكر بعده ما عليه النسطورية من الاعياد ...تشرين الاول... وفي اليوم الثالث ذكر ان ماريه الراهبة التي لبست ثياب الرجال وترهبت وأخفت انوثتها على الرهبان ثم رميت بالزنا مع إمرأة فاحتملت الاذى ولم تظهر الانوثة حتى ماتت وعرفت حالها وبرائها من الزنا حين أرادوا غسلها فتبين لهم ...[٧٧]" هذه القصة هي نفسها كما يرويها "السنكسار" والمصادر المارونية.

---

[٧٥] الدبس، المرجع المذكور، ج٥/٣٦٦.

[٧٦] ابن القلاعي، **زجليات** ، . الصليبي، **منطلق** ، ص٤٤-٤٥ويرجح الصليبي ان مصطلح كسروان مستمد من لفظة" كسرى" ابان احتلال الفرس للبلاد في اثناء حروبهم مع الروم، زمن هرقل، قبيل الفتح العربي.

[٧٧] البيروني(ت٤٤٢/١٠٥٠) مخطوط رقم ٢٤٨٩، المكتبة الوطنية في باريس، ص١٩٥.

ب-التشيع في لبنان

انتشر الموارنة في جبال لبنان بفضل تسامح الأمويين، وبدأ التشيع يغزو الجبال الجنوبية من لبنان، ولا سيما في جبل عامل، بفضل تأثير أبي ذر الغفاري الذي تشير بعض المراجع إلى تعريجه على الجنوب اللبناني في عهد معاوية، وسكنه بين ميس الجبل والصرفند. فالجبل المذكور كان مهيأ للأسلمة مع وجود قبيلة عاملة قبيل ظهور الاسلام، وبفضل وجود عناصر عربية فيه، لربما، منذ عهد الاسكندر الكبير[٧٨]. ويذهب بعضهم إلى ان عددا من خواص امير المؤمنين علي بن ابي طالب نشروا التشيع في السواحل، وتذهب إلى ان من اسباب التشيع الهرب من عمليات القتل التي كانت تطاول الشيعة في دمشق زمن معاوية وخلفائه. وتردد بعض رجال الشيعة الاوائل كسلمان الفارسي وعبدالله بن مسعود إلى سواحل الشام، فضلا عن الهجرات من الداخل[٧٩]. ولكن، عمليا، انتقال بلاد الشام ومنها لبنان إلى التشيع، لم يتم الا في العهد العباسي. ففي العهد الاموي كان مصطلح التشيع غامضا ويدل على المشايعين للخليفة علي ولامامته بعد النبي محمد. واذا كان من الصعب تحديد نشوء الشيعة بشكل دقيق، فمن الممكن التفكير بأنه في العهد العباسي بدأت الدلالة على هذا التيار الاسلامي باسم الشيعة. قبل ذلك، كان الكلام يجري على شيعة علي. ومن نافل القول ان التشيع كان حركة عربية بحتة ولم يكن رد فعل فارسي على الفتح الاسلامي. وشيعة لبنان الذين حملوا في زمن لاحق بعد القرن الثاني عشر هـ/ الثامن عشرم، اسم(المتاولة) هم عرب[٨٠]. ورغم هذه الآراء فمن غريب الصدف ان تكون عناصر فارسية كثيرة قد استقرت في لبنان الجنوبي، كما رأينا، وقد تشيعت شيئا فشيئا، على ما يبدو. وهذا التسامح والتنوع الديني في السواحل: مسلمون، يعاقبة، وملكيون ، لربما ساهم بوجود المذهب الأوزاعي السني المعتدل.

---

[78] Muhammad Hamadé, **Recherches historiques médiévales sur les Chi‹ites du Liban,de Syrie et de Djazira**, Thèse dactylographiée, Université de Paris I ,Paris 1973,p.45.
وبرأي دراسات اخرى لم ينتشر بنو عاملة في جنوب لبنان الا في القرن الخامس هـ/ الحادي عشر م. راجع بهذا الخصوص لامنس في دائرة المعارف الاسلامية، الطبعة الجديدة(بالفرنسية)المجلد الاول/ ص٤٤٨. راجع ايضا حول حكاية ابي ذر : الشيخ احمد رضا، **مجلة العرفان**، م٢ ص ٢٣٩. وهاشم عثمان، **تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشام**، منشورات الاعلمي، بيروت ١٩٩٤، ص ٣٤. ولا نجد في المصادر أي شيء عن دخول ابي ذر إلى لبنان، ، فهو قد جاء إلىدمشق في عهد ولاية معاوية لا خلافته، كما هو معروف، وتشير بعض المصادر إلى انه سكن بيت المقدس ثم ارتحل إلى المدينة وتوفي بالربذة في اخر خلافة عثمان، راجع المقدسي، احمد بن محمد شهاب الدين، **كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**، مخطوط رقم ١٦٦٧، المكتبة الوطنية في باريس، ص ١١٠.

[٧٩] عثمان ، المرجع المذكور، ص ٢٨-٣٠.

[٨٠] محمد جابر ال صفا، **تاريخ جبل عامل**، بيروت(لاتاريخ للنشر)، ص ٢٣٣-٢٣٤. كرد علي، المرجع المذكور، ج٦/٢٤٥-٢٥٠، محمد حماده ، الاطروحة المذكورة، ص ٤،٧،١٣،٢١-٢٣،٢٣-٧٤،٨١.

اتخذ استقرار الشيعة في لبنان نمطا عائليا، فانتشر معهم ومع غيرهم من العشائر السنية او الشيعية التركيب العائلي العربي والانقسام القيسي اليمني، ولذلك فان محوري التركيب الديني والتركيب العائلي سيكونان في صلب التركيب الاجتماعي الشيعي.

ج- النشاط الثقافي الديني

١-رباط الصحابة

تحولت مدن الثغور، كطرابلس وجبيل وبيروت وصيدا والصرفند وصور رباطا(مركز جهادي متقدم في مواجهة العدو) للصحابة. وكانت قد فقدت دورها التجاري منذ زمن بعيد بسبب سقوط اوروبا بيد البرابرة، والحرب الفارسية - البيزنطية، وزلازل بيروت، وخروج العديد من اهلها في اثر البيزنطيين عند الفتح العربي، وحلول مسلمين محلهم حولوا المدن مراكز للجهاد ومراكز مرابطة دينية وعسكرية لا تتجانس مع الحركة التجارية.

ابو الدرداء هو اول المرابطين المعروفين، نزل في بيروت وسبق سليمان الفارسي الصحابي المتوفى في ٣٤هـ/٦٥٤م[٨١]. ويخبر ابو زرعة، نقلا عن محمد بن المبارك الصوري وغيره، ان سلمان سأل عن ابي الدرداء فقيل مرابط. فقال واين مرابطكم يا اهل دمشق؟ قالوا: ببيروت، فخرج إلى بيروت[٨٢]. وترك في الصرفند حفيدا له هو ابو اسحاق ابراهيم بن اسحاق بن عويمر، ابو اسحاق الانصاري الصرفندي[٨٣].

ومن المرابطين المشهورين ايضا بحسب الروايات الشيعية المتأخرة زمنيا، ابو ذر الغفاري، الذي اقام عند الصرفند حيث لا يزال المسجد يحمل اسمه[٨٤]. وقد توفي

---

[٨١] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب العلمية، ص ١٦١ . ابن الاثير، **اسد الغابة في معرفة الصحابة**، المطبعة الوهابية، ١٢٨٠هـ ، ج٢/٣٢٨. راجع ايضا تدمري، المرجع المذكور، ص ١٥٧-١٦٠.

[٨٢] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب العلمية، ص ٦١.

[٨٣] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٣٨١. تدمري، **لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية**، جروس برس، طرابلس ١٩٩٢، ص ٢٦٥.

[٨٤] السيد محسن الامين، **خطط جبل عامل**، الدار العالمية، بيروت ١٩٨٣، ص ٨٤، وهو يذكر ان مسجدين ينسبان إلى ابي ذر: واحد في ميس الجبل واخر في الصرفند. تدمري، لبنان من الفتح، المرجع المذكور، ص ١٦٢.

ابو ذر خارج لبنان في الربذة[85]. ومن المرابطين المشهورين، ابراهيم بن ادهم الذي عرف طرابلس وصور[86].

ولعل الامام الاوزاعي هو اهم المرابطين. وبالاضافة إلى هؤلاء المشاهير كان هناك العديد من المرابطين في السواحل[87].

٢-النشاط الثقافي الديني الاسلامي

انتشر الدين الاسلامي منذ وقت مبكر في الاجزاء الجنوبية من لبنان وفي المناطق الجبلية من جند دمشق وجند الاردن، واستتب الامر له تقريبا في خلال قرن او قرنين من الزمن. وكان الحد الفاصل بين المناطق المسيحية والمناطق التي اعتنقت الدين الجديد مجرى نهر بيروت. اما الاجزاء الشمالية من جبل لبنان، فبقي اهلها على المسيحية[88].

لم تنجب المدن اللبنانية في هذا العهد أسماء لامعة في حقل الثقافة الدينية، ولم يكن انتاجها يتعدى الاطار التقليدي في رواية الحديث. ولم يكن رواة الحديث هؤلاء من الذين قدموا اضافة مهمة في حقل الثقافة الدينية. وسنوليهم الاهتمام ها هنا من حيث الدلالات التي يسهم فيها هؤلاء في توضيح صورة المتغيرات السكانية- الدينية التي عرفها لبنان منذ هذه الحقبة من خلالهم. ومنهم على سبيل الذكر[89]: الغاز(الغازي) بن ربيعة الجرشي في صيدا الذي كان يحضر مجلس يزيد بن معاوية[90] ويؤثر في الخليفة الوليد بن عبد الملك[91]. فالغاز يروي مثلا أن الوليد بن عبد الملك قال له"... ان يسأل الحجاج فيما بينه وبينه: هل يجد في نفسه مما اصاب من الدنيا شيئا؟ فسأله كما امره، فقال: والله ما احب ان لي لبنان او سبير ذهبا انفقه في سبيل الله مكان ما ابلاني الله من الطاعة[92]" . ونذكر اضافة إلىبشر بن الغاز[93] المذكور اعلاه، هشام اخوه (ت ١٥٣هـ)[94] الذي ولاه ابو جعفر

---

[85] اليعقوبي ، تاريخ، ج٢/ ص ١٧٢-١٧٣.

[86] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦/٧٦٦.

[87] يذكر تدمري من هؤلاء: اسماعيل بن عبيدالله(٦١-١٣٢هـ)، وحسان بن سليمان، وسعيد بن ابي سعيد(ت ١٢٣هـ)، وسعيد بن خالد بن ابي طويل القرشي، وشرحبيل بن السمط الكندي(ت ٦٣هـ)،وعطاء بن ميسرة الخراساني(٥٠ او ٦٠ هـ-١٣٥)، والليث بن تميم الفارسي. تدمري، لبنان من الفتح،المرجع المذكور، ١٦٨-١٧٣.

[88] كمال الصليبي، **منطلق** ، ص٣٦.

[89] قام الدكتور عمر تدمري بجهد مميز لابراز هؤلاء المحدثين ونشاطاتهم متحريا ترجمات لهم بشكل دقيق.

[90] الطبري، ج٦/ص٢٦٤. تدمري، ص٢٢٨.

[91] اليعقوبي، ج٢/ص ٢٩١. تدمري، ص ٢٢٨.

[92] ابن كثير، البداية، ج٩/١١١.

[93] ابن عساكر، تاريخ دمشق، تحقيق دهمان، ج١٠/ ص ١٠٦. تدمري، ص ٢٢٩.

المنصور بيت المال[95]، وابا الحسن بن الغاز، (لعله أحد هؤلاء المذكورين من اولاد الغاز، وقد قيلت فيه اشعار جميلة[96]). وسليمان بن ابي كريمة[97] الذي كان يقرأ اليونانية[98] وسعيد بن خالد بن أبي الطويل القرشي[99]. وفي صور ابراهين بن اسحق بن احمد المقرىء[100].

ومن هؤلاء في جبيل يزيد بن حسان، مولى الخليفة عمر، وكان من المحدثين هو واخوه حصن وابو سليم (سليمان) اسماعيل بن حصن (خضر)القرشي[101]. ومن محدثي جبيل ايضا ابو سعيد الجبيلي[102] واسماعيل بن روح الذي روى عنه اسماعيل بن حصن[103]، وقد روى اسماعيل عن عمر بن هاشم البيروتي ومحمد بن مبارك الصوري وروى عنه ابو علي محمد بن سليمان بن حيدرة الاطرابلسي وذكوان بن اسماعيل البعلبكي وابو أسحاق ابراهيم الصرفندي واحمد بن عبد السلام من اهل جونية[104]. ومن علماء طرابلس : مجاهد فرقد(ت ١٥٠ او ١٦٠هـ)، معاويةبن يحيى وهو من اوائل المحدثين والاخباريين الرواة[105]. وفي عرقا من اعمال طرابلس، اسامة بن الحسن بن عبدالله بن سلمان[106]. وفي بيروت نذكر: حسان عطيه(ت١٣٠هـ)[107]، الذي حدث عنه ابراهيم بن كثير ابو اسماعيل الخولاني من اهل بيروت وكان رجل صدق[108]؛ وعمر بن هاشم[109] وحيان بن

---

[94] ابن سعد، **طبقات**، ج٧/ص ٤٦٨. ابو زرعة، **تاريخ**، ج٤/ص ٤٣؛ ط. دار الكتب، ٦٥. البستي، **مشاهير علماء الامصار**، ص ١٨٣. ابن ماكولا، (ت٤٧٥) **الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى والانساب**، حيدر اباد ١٩٦٢، ص ٤٣٥. الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣)، **تاريخ بغداد**، مطبعة الخانجي وغيرها١٩٣١، ج٤/ ص ٤٢-٤٤. تدمري، ص ٢٢٩.

[95] تدمري، لبنان من الفتح الاسلامي، ص ٢٢٩.

[96] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٢٧٨.

[97] الطبري، تاريخ، ج٥/٥٢.

[98] تدمري، ص ٢٣٠. و لا ندري من اين جاء بهذه المعلومة عن معرفته باليونانية اذ لا ترد عند الطبري الذي يستند اليه.

[99] ابن ماجه، سنن ج٢/ ٢٧٧٠،ص ٩٢٥. تدمري، ص١٧٠.

[100] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٦/٣٥٦.

[101] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر ١٩٩٥، ج٥/٤٠٥، ج٨/٣٨١.ابن ماكولا، الاكمال، ج٢/ ٢٥٩. الطبراني(ت ٣٦٠هـ)، المعجم الصغير، نشر عبد الرحمن عثمان، المدينة المنورة، ج٢/ ص ١٤١. ياقوت الحموي، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦، ص ٩٧. تدمري، ص ٢٤٢-٢٤٣.

[102] ابن عساكر، المخطوط، ج٤٧/ ١٢٧ نقلا عن تدمري٢٤٣. ابن ماكولا، الاكمال، ج٢/٢٥٩.

[103] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٤٠٥. ابن ماكولا، الاكمال، ج٢/٢٥٩.

[104] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٣٨١.

[105] ابن عساكر، المخطوط، ج٤٠/ص ٥١١، نقلا عن تدمري، لبنان من الفتح، ص ٢١٩-٢٢٠.

[106] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٤٥.

[107] ابن عساكر، تاريخ، ج٧/٩٤. تدمري، ص ٢٠٥.

[108] ابن عساكر، تاريخ،ج٧/٩٤.

[109] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٣٨١.

وبرة المري وحيان مولى ام الدرداء، عطية بن معبد المحاربي وعمرو بن شرحبيل العيسي وعمير بن هاني العنسي وغيلان القري من المعتزلة والقاسم بن مجتمرة ومحمد بن موسى وموسى بن سليمان بن موسى. فقد ساهم هؤلاء في بيروت في العلوم التراثية والحديث والادب، مما مهد لقيام مدرسة الامام الأوزاعي فيها، وشهدت تفاعل حركة المعتزلة الفكرية التي اتهم الأوزاعي بالانضمام اليها. وكذلك المدرسة السلفية المؤمنة بالقدر[110].

ولربما لعبت الكرك في البقاع دورا دينيا لا يستهان به، لان الأوزاعي اخذ فيها اللغة والحديث والفقه[111].

٣-النشاط المسيحي

اشتهر في صيدا اسقفها، بولس الانطاكي، الذي ولد في انطاكيا وتوفي في صيدا سنة ١٥٤هـ/٧٧٠م. وكان له مؤلفات لاهوتية عدة هي ردود على اليهود ورأي النصارى بالنبي محمد ورأي في البدع المنتشرة في ايامه وتفسيرات الانجيل وشرح للفضائل المسيحية وعرض للشرع النصراني[112].

واشتهر بكتاباته في هذه الفترة يوحنا مارون اول بطريرك على الطائفة المارونية[113].

كانت الكنائس المسيحية غنية بموجوداتها في العهد البيزنطي. وجاء في احدى الروايات ان الوليد بن عبد الملك انتزع العرش المذهب الكائن في كنيسة بعلبك الفخمة ونقله إلى مسجد عمر في القدس[114]. وسواء صحت هذه الرواية او لم تصح، فهي تشير إلى غنى المعابد المسيحية.

ثالثا-الأوضاع الادارية والعمرانيةوالإقتصادية والثقافية

أ-التقسيم الاداري

---

[110] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧/٩٤.تدمري، ٢٠٤-٢٠٩. وهذه الاسماء وغيرها من سائر المدن اللبنانية من العهد الاموي ومطلع العباسي نجد ذكرا متكررا عنها في ابي زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب العلمية،المذكورة انفا.

[111] النووي(ت٦٧٦)، تهذيب الاسماء واللغات، منشورات الاسدي،ج١/ ق١/ ٢٩٨-٣٠٠.

[112] منير الخوري، **صيدا عبر حقب التاريخ**، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦، ص ١٣٥-١٣٦.

[113] الدبس، من تاريخ سوريا، ج٥/ص ١٤٣-١٥٦.

[114] خريستوس بابا دوبولس، **تاريخ كنيسة انطاكيا** ، تعريب الاسقف استفانس حداد، منشورات النور، بيروت ١٩٩٤، ص ٥٥٠، نقلا عن انتيخس ونكتاريوس، وليس صحيحا عن تيوفانس.

أبقى العرب على التقسيمات الإدارية البيزنطية[١١٥]، وقسمت بلاد الشـــام أربـــع مقاطعات سميت أجنادا على رأس كل منها قائد وهي: جند دمشق(قاعدته دمشــق) وتبع له لبنان، وجند حمص، وجند الأردن(قاعدته طبرية) وتبع له أجزاء من لبنان الجنوبي ابتداء من نهر القاسمية باتجاه الجنوب، وجند فلسطين(قاعدته الرملة). ثــم نشأ جند قنسرين.

في زمن الخليفة عمر تبعت بعلبك ومدن الساحل، ما عدا صور، لولايـــة ابــي عبيدة ثم ليزيد[١١٦]. وكانت المناطق التابعة لجند الاردن في ولاية عمرو بن العــاص بعد طاعون عمواس، وتبعت باقي المناطق(السحل من عرقا إلى صيـــدا، وبـــلاد بعلبك والبقاع ووادي التيم وجبل لبنان) معاوية الذي سيتولى الشـــام كلـــه زمـــن عثمان[١١٧].

ونعرف من حكام أو عمال بعض المناطق مـــن لبنـــان: ســـفيان بـــن مجيـــب الازدي(حوالى ٢٤-٣٥هــ) الذي ولي قضاء بعلبـــك لمعاويـــة وتوفـــي حوالـــى ٥٠هــ[١١٨]، وتلاه على بعلبك روح بن زنباع الجذامي (٥٠-٦٠هــ) ومحمـــد بـــن هانيء (قبل١٠٠ هــ) واسماعيل بن معـــدي كـــرب(١٠٠-١٠١) ومحمـــد بـــن هانيء(بعد ١٠١ هــ) ومحمد بن عبيدة مولى سعيد بن العاص و يزيد بن روح(او رياح) اللخمي الذي نقل إلى دمشق بعد اسهامه في القضاء على ثورة عبدالله بـــن علي؛ وسعيد بن معاوية في ايام هشام بن عبد الملك الذي عزله وعين عبدالله بـــن نافع[١١٩]. وعرف من ولاة الخراج على بعلبك: عبدالله بن نافع زمن هشـــام ويقـــال

---

[١١٥] حتي، لبنان، ص٢٩٤.

[١١٦] يورد خليفة بن خياط ان الخليفة عمر بن الخطاب ولى ابا عبيدة، والاخيرولى يزيد على فلسطين وناحيتها وشرحبيل على الاردن وخالدا على دمشق وحبيب بن مسلمة على حمص ثم عزله، وعند وقوع طاعون عمواس ولى معاذا بعد موت ابي عبيدة ومات معاذ فاستخلف يزيد فمات فاستخلف اخاه معاوية، وولى عمرو على فلسطين والاردن ومعاوية علىدمشق وبعلبك والبلقاء. ط. دار الكتب العلمية ص٨٩. راجع ايضا المنبجي، المنتخب، ص ٥١.

[١١٧] ابو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو، **تاريخ ابي زرعة الدمشقي**، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٩٦، ص ٣٩. ابن خياط، تاريخ،ج١/ص١٥٧؛ ط. دار الكتب العلمية ، ص ٨٩. اليعقوبي، تاريخ،ج٢/ص١٧٦. الطبري، تاريخ،ج٥/ص٦٨-٦٩. ابن خلكان، **وفيات الاعيان**، تحقيق احسان عباس، ٨ مجلدات، دار الثقافة بيروت١٩٦٨. م٧/٢١٤. ابن ايبك الصفدي(ت ٧٦٤هــ)، **تحفة ذوي الالباب**، تحقيق احسان خلوصي وزهير الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٧، ج١/ص ٨٥. وفي ابن كثير كان بيد معاوية دمشق وبعلبك والبلقاء قبل توليته على الشام كله، البداية، ج٨/١٠٠.

[١١٨] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١/٣٥٢؛ تهذيب،ج ٦/١٨٥-١٨٧. الذهبي، تاريخ الاسلام،عهد معاوية، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٩٣، ص٦١. ابن ايبك الصفدي،خليل، **الوافي بالوفيات**، نشره بيرندر راتكه، بيروت ١٩٧٩، ج١٥ /٢٨٣.

[١١٩] الاصفهاني، الاغاني،ط. الشنقيطي،ج١/١٥٩، ج٦/١٣٥. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢١/٣٠٣؛ ج٦٥/١٧٦-١٧٧. الصفدي، تحفة، المصدر المذكور،ج١/ص٢١٤. تدمري، المرجع المذكور ص ١٧٩-١٨٢. نصرالله، المرجع المذكور، ج١/١٠٠-١٠٤.

دويد[120]. وعرف من عمال طرابلس: ابومسلم الثقفي[121] وسحيم بن مهاجر الرومي[122]. وكان اميرا على الساحل زمن يزيد بن عبد الملك، عبد الرحمن بن سليم ابو العلاء الكلبي[123].

وتوصل بعض اللبنانيين إلى مراكز مرموقة في الدولة الأموية، فثعلبة بن سلامة العاملي من جنوب لبنان حكم واليا على الأندلس.

على صعيد التسميات الداخلية اللبنانية، كانت المناطق الواقعة إلى شمال نهر الجعماني المعروف عند مصبه بنهر بيروت تعرف بجبال كسروان، لربما، نسبة إلى كسرى بسبب وجود عناصر فارسية استقرت في لبنان قبيل الفتح العربي- الاسلامي، ابان الصراع الفارسي- البيزنطي واحتلال الفرس للمنطقة قبل طردهم منها من قبل البيزنطيين. وهذه الجبال تعرف باسم "الخارجة" من نهر بيروت إلى نهر الكلب و" الداخلة" من نهر الكلب إلى نهر ابراهيم. اما المناطق الواقعة إلى جنوب نهر بيروت فتعرف بالاشواف او الشوف أي المناطق المرتفعة. ومنه المتن بين نهر بيروت ودرب المغيثة (عقبة ضهر البيدر) وجبل بيروت المعروف بالغرب (حيث توجد بلدة سوق الغرب)، وجبل صيدا او الشوف حصرا، ويفصل بين الغرب والشوف مجرى نبع الصفا-الدامور[124].

ب-صناعة الاسطول زمن معاوية

اثر غزو الروم للسواحل والمردة لجبال لبنان، اهتم معاوية بجمع الصناع والنجارين وترتيبهم في السواحل[125].

اعتمد معاوية على خبرة اللبنانيين في بناء أسطوله الذي كانت قاعدته عكا، ولم تنتقل إلى صور الا في مرحلة لاحقة. وقد قطعت أخشاب غابات لبنان لبناء هذا الأسطول. وحصن معاوية السواحل واستقدم الجنود وأقام الحاميات لمراقبة تحركات البيزنطيين والحراس للإنذار الذي كان يتم بواسطة اشعال النار في أمكنة معلومة، كما رأينا سابقا.

وفي عهد آخر الخلفاء الامويين، مروان بن محمد، رمم ميناء صيدا على يد زياد بن ابي الورد الاشجعي الذي كان يكتب لمروان عن النفقات وكان اسمه مكتوبا

---

[120] ابن عساكر، ج٢٥٩/٣٣.

[121] البلاذري،**فتوح**، ١٥٧/١. ابو نعيم الاصبهاني،٣١٥/٥. ابن الجوزي، **سيرة ومناقب عمر**،ص ١٠٨، نقلا عن تدمري،٢١٦.

[122] ابن عساكر ، **تاريخ دمشق**،١٢٠/١٥. تدمري، ٢١٨.

[123] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٤٠١/٣٤.

[124] الصليبي،منطلق، ص ٤٤-٤٥.

[125] البلاذري، فتوح، ١٤٠/١. ط. دار الكتب، ص١٢٤.

على ميناءي صور وعكا، ما امر باصلاحه امير المؤمنين مروان وجرى على يد زياد بن ابي الورد وقد تقلد ايضا للمنصور[١٢٦].

د-العمران

اذا ما استثنينا مشاكل المردة- الجراجمة، عرف لبنان نوعا من الاستقرار في عهد الامويين، أسهم في تحسين الوضع المعيشي للسكان. والدليل على ذلك عدم اندلاع ثورات محلية شعبية في العهد السفياني وفي قسم كبير من العهد المرواني. وعلى الرغم من ذلك، بالكاد يمكننا اعادة رسم صورة مدن لبنان في هذه الفترة. فهي تعيش حياة رتيبة داخل اسوارها، وتمارس فيها التجارة والصنائع المحلية الغذائية، بالاضافة إلى صناعة السفن وتقتات مما تقدمه لها الحقول المجاورة. وتقوم فيها فنادق وجوامع. واهمها مدينة عنجر التي ما زالت اثارها محافظة على شكلها الاموي. وجل ما يمكن رسمه من صورة هذه المدن، التي هي اشبه ما تكون ببلدات لا بأس بها، اكثر مما هي مدن، هو الآتي:

١-طرابلس

يبدو انه كان لطرابلس في عهد الوليد بن عبد الملك سور وابراج لها شرفات وباب للميناء جهة الشرق وباب على البحر وخندق وسور عند نهر طرابلس وكنيس لليهود في ظاهر المدينة وجامع في الميناء، كما كان فيها سجن من ايام معاوية[١٢٧]. واشتهرت طرابلس بعدة مباني منها: حصن ابي العدس او ابي القدس. وسوق كبير عند الدير وكنيسة في الجهة القبلية خارج المدينة، وحصن سفيان على بعد ميلين شرقي المدينة.

٢-بيروت

وفي بيروت كان يجاور المسجد دكاكين كانت تبيع الحلوى والخضار والمواد الغذائية[١٢٨]، وقد أوردنا لمعا من ذكرها في اشعار الخليفة الوليد بن يزيد.

---

[١٢٦] الجهشياري(ت ٣٣١هـ)، **الوزراء والكتاب**، دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨، ص٥٤.
Per.Combe, Sauvaget et Wiet, **Répertoire chronologique d'épigraphie arabe**. Inst.A.O., le Caire, 1931,T.I, p.29.

[١٢٧] تدمري لبنان من الفتح، ص ٢١٣.

[١٢٨] ابن عساكر، تاريخ دمشق المخطوط٢١/١٨١ نقلا عن تدمري، ص٢١١. ابن كثير،البداية والنهاية١٠/٩٦.

٣-صيدا
كان في صيدا جامع على اسم الخليفة عمر ومقام على اسم شرحبيل على تلة قرب صيدا.

٤-صور
وفي صور التي اعيد بناؤها على عهد عبد الملك بعد استيلاء البيزنطيين عليها زمن غزوة المردة في ٦٧٩/٥٩، نقل اليها هشام بن عبد الملك صناعة السفن واتخذ بها فندقا ومستغلا[١٢٩]. وبنى فيها الفرس مسجدا عرف باسم مسجد الفرس[١٣٠].

٥-عنجر
على صعيد العمران بنى الأمويون مدينة عنجر، التي كانت مصيفا لهم، ثم أصبحت مركزا سياسيا للأمويين. وقد شهدت عنجر نزاعا كبيرا بين ابراهيم بن الوليد الذي اعلن نفسه خليفة، بعد موت أبيه، ومروان بن محمد. وتمكن مروان من الإنتصار واستلم الخلافة.

اما مدينة عنجر فقد اسسها الخليفة الاموي الوليد بن عبد الملك في اوائل القرن الثامن الميلادي. ففي موقع على الطريق المؤدي من الشاطىء اللبناني إلى دمشق كانت تقوم مدينة قديمة تعرف باسم جرا"GERRHA". وبقرب عين ماء كانت تعرف باسم عين جرا التي اعطت الموقع اسمه الحالي.

تتألف المدينة الاموية التي بنيت من ركام المدينة القديمة، من سور عظيم مستطيل الشكل مدعم بابراج نصف دائرية، وتخترقه اربع بوابات محصنة تنفتح باتجاه الجهات الرئيسة الاربع. وتتصل ببعضها عبر شارعين رئيسين يقطعان المدينة إلى اربعة احياء. وتقوم على جانبي هذين الطريقين صفوف من الدكاكين، فيما ينتشر عدد من القصور والحمامات والساحات العامة والمجمعات السكنية ومسجد صغير في احياء المدينة الاربعة. ويبدو من خلال اسلوب البناء الذي يعتمد على تعاقب مداميك طوب الفخار والحجارة الكلسية، ان مهندسي عنجر قد تاثروا بالاسلوب البنائي البيزنطي، كما تاثر واضعو مخططها بمخططات المخيمات العسكرية التي كانت رائجة في العصور اليونانية والرومانية والبيزنطية. وكان

---
[١٢٩] البلاذري، فتوح ١٤٤/١. ط. دار الكتب، ص١٢٤-١٢٥.
[١٣٠] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر، بيروت ١٩٩٥، ج٦/ ٣٥٦.ويذكر ابن عساكر أن من ائمته ابراهيم بن اسحاق بن احمد ابو اسحاق المقرىء الذي روى عنه ابو عبدالله محمد بن علي الصوري.

لعنجر دورا تجاري مهم على تخوم الصحراء إلى جانب دورها كمركز راحة وصيد للخليفة الاموي ولبلاطه[131].

٦-بعلبك

كان في بعلبك جامع على اسم الخليفة عمر ومزار منسوب إلى السيدة حفصة زوج النبي، والصحيح مقام"ام حفص" اخت الصحابي" معاذ بن جبل" لان حفصة ماتت في المدينة المنورة[132] ، ومسجد ابراهيم في داخل القلعة[133]، ومسجد في راس العين على اسم الحسين[134] ، ومزار للسيدة خولة بنت الحسين[135]، والجامع القديم. وهذا الجامع قد بني من بقايا آثار بعلبك الرومانية.

ويقوم الجامع الاموي الكبير إلى الشرق من مدخل معبد جوبيتر الروماني الكبير ويتألف من بهو مربع يحيط به رواق ويتوسطه حوض ماء، كان في ما مضى مقببا. وتتألف قاعة الصلاة فيه من ثلاثة صفوف من الاعمدة وقد نقلت مع تيجانها من المعابد والبنى الرومانية. اما تاريخ بنائه فيرجع إلى بدايات العهد الاموي. وتشير بعض الدلائل إلى انه اقيم مكان الساحة الرومانية العامة ومن ثم كنيسة القديس يوحنا البيزنطية[136].

٧-جزين

ومن غريب الصدف، ان نقع في المصادر العربية على ذكر قرى معينة من لبنان، وهذا حال جزين التي يذكرها ابن عساكر في معرض كلامه على تشدد عمر بن عبد العزيز في منع بيع اراضي اهل الذمة إلى المسلمين حتى لا يسقط عنها الخراج ويدفع الملك العشر. ومما ذكره:"قال ابوزرعة: فحدثت بهذا الحديث عبد الملك بن الاصبغ من اصحاب الوليد ابن المسلم، فأخبرني ان عمر بن عبد

---

[131] الين لا روود ومارلين راشكا، باشراف الدكتور حسان سركيس، دليل **سهل البقاع**، منشورات وزارة السياحة في لبنان.

[132] ابن شداد(ت٦٨٤)، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة**، منشورات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق١٩٦٣، ج٢/ق٢٦٩/٢. الهروي، (ت٦١١هـ)، **كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق جانين سورديل-طومين، المعهد الفرنسي، دمشق١٩٥٣، ص ٩. الثعالبي، ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، ص ٣٥٩،١٩٩. تدمري، المرجع المذكور، ص ١٨٥.

[133] نصر الله، المرجع المذكور، ج٦٣٠/٢.

[134] نصر الله، المرجع المذكور،ج ٦٣٣/٢.

[135] نصر الله ٦٧١/٢. تدمري، ص١٨٦.

[136] نصر الله، المرجع المذكور، ج٦٤٢/٢. **بعلبك**، دليل وزارة السياحة اللبنانية، نص د. حسان سركيس، بيروت ١٩٩٨.

العزيزلم يمت عن ضيعة بقيت في يده غير بدا وجزين بارض بعلبك، وانه اورثها عشرا. وعدلها على ذلك ابو جعفر المنصور فصارت بايدي ورثة عمر"[١٣٧].

وورد ذكر لبنان في شعر لأبي دهبل:

وان شكرك عندي لا انقضاء له ما دام بالهضب من لبنان جلمود

وكان قد بدأ بشطر البيت في مدحه لابن عمه، حتى سمع رجلا من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقال له ما لبنان، فقال جبل باشأم فأتمم نصف البيت ما دام بالهضب عن لبنان جلمود[١٣٨].

هـ-الاقتصاد

١- الانتاج الحيواني

تميزت بعلبك بحلواها وعسلها، كما راينا في روايات الفتوح، وقد بقيت متميزة به، واصبحت حلواها مضرب مثل[١٣٩].

٢-النقود

تميزت بعلبك عن سائر المدن اللبنانية بضرب العملة الاموية فيها، وعليها اسم بعلبك. وهذه النقود من القرن الهجري الاول ويظهر على وجه منها" لا اله الا الله" وتحتها اسم بعلبك، وعلى الوجه الاخر" محمد رسول الله" [١٤٠]. وكان معاوية في مطلع عهد خلافته قد صادر دراهم بيزنطية، وسك دراهم يظهر على وجهها هرقل وابنه وعلى الوجه الثاني حرف M وفوقها الصليب واسم هليوبوليس، ثم اصدر دراهم عليها وجه معاوية مع عبارة امير المؤمنين وعلى الوجه الاخر " محمد رسول الله" واسم بعلبك [١٤١].

و-الثقافة

ظهر من لبنان عدد من المفكرين كالإمام الأوزاعي، والوليد بن يزيد البيروتي، والشاعر عدي بن رقاع العاملي، وكانت ابنته سلمى شاعرة ايضا وكذلك اخوه

---

[١٣٧] ابن عساكر، تاريخ، ط. المنجد، ج١/ص ٥٨٨. ط. دار الفكر، ج٢/٢٠٠. ولعلها جبرين بين دمشق وبعلبك حسبما ورد في حاشية ط. دار الفكر.

[١٣٨] الاصفهاني، الاغاني، ط. الشنقيطي، مصر١٩٠٥، ج٦/١٥٧-١٥٨.

[١٣٩] راجع بالاضافة إلى رواية الواقدي المذكورة سابقا، ابن حنبل ،احمد، **كتاب الورع**، تحقيق زينب قاروط، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣، ص ٨٥. تدمري المرجع المذكور، ص ١٨٦.

[١٤٠] فيليب حتي، لبنان في التاريخ، ص ٢٩٥

[١٤١] نصر الله، المرجع المذكور، ج١/٩٩.

يزيد[142]، وهو افضل من صور واقع عز الدولة الاموية زمن الخليفة الوليد بن عبد الملك، اذ قال في قصيدة فيه:

اعمرت ارض المسلمين فأقبلت	وكففت عنها من يروم فسادها
وأصبت في ارض العدو مصيبة	عمت اقاصي غورها ونجادها
ظفرا ونصرا ما تناول مثله	احد من الخلفاء كان ارادها
فاذا نشرت له الثناء وجدته	جمع المكارم طرفها وتلادها[143]

ونذكر من بعلبك ايضا، كلينيكوس مخترع النار الرومية في ٦٧٣-٦٧٤م[144].
انتشرت اللغة العربية حيث حل العرب وبقيت اللغة الآرامية اوالسريانية مستعملة، لمدة طويلة، شفاها وكتابة عند السكان المحليين.
وهناك اجتهاد في أن السكان في الاطراف اللبنانية عرفوا العربية قبل الفتح[145].

رابعا-نهاية الحكم الاموي للبنان

كان سهل البقاع مسرحا للصراع بين مروان بن محمد وسليمان بن هشام بن عبد الملك في عام ١٢٧هـ/٧٤٥م. فجرت معركة بينهما في عنجر انتصر فيها مروان قرب نهر الليطاني واسفرت عن ٢٠٠٠٠ الف قتيل[146]. وبويع بالخلافة[147] ورمم صيدا وصور وعكا[148].
وثار اهل الشام[149] ثم اهل بعلبك على مروان فقاتلهم وهدم سور المدينة وقضى وشوه العديد من سكانها[150].

---

[142] الاصفهاني، الاغاني، ط. الشنقيطي، مصر ١٩٠٥، ج٨/١٧٢-١٧٧، ج١٧/١٦٤. مكي، المرجع المذكور،ص ٥٧. واشتهر العديد من الذين يحملون لقب العاملي في الفترة الاموية ومنهم: بكار بن بلال العاملي الراوي للاخبار، والحسن بن محمد بن بكار وهو مصنف لتاريخ لم يصلنا، واخوه هارون الراوي، وعدي بن الرقاع وهو الشاعر المشهورالمذكور اعلاه، واشتهر في بلاط الخليفة الوليد بن عبد الملك، راجع السيد محسن الامين، خطط جبل عامل،ص ٥٢-٦٠.

[143] راجع القصيدة في محسن الامين ، المرجع المذكور، ص ٥٧.

[144] Theophanes, op. cit. p.53.

[145] الصليبي، منطلق، ص٣١.

[146] الطبري، تاريخ، ج ٩/ص٤٦-٤٧. اليعقوبي، ج٢/ص ٣٣٧. العيون والحدائق، لمؤرخ مجهول، ج٣/ص ١٥٥. ابن عساكر ، تهذيب، ج٦/ ص ٢٨٨. ابن كثير، البداية،ج٩/١٩.يجعل تيوفانس المعركة في ٧٤٣-٧٤٤م بعد موت يزيد وتركه الخلافة لاخيه ابراهيم. فسار مروان إلى حمص ومنها إلى Garis وهي تحريف لفظة خلقيس اي عنجر التي تقع بالقرب من دمشق وبالقرب من الانتي ليبان اي سلسلة لبنان الشرقية.Theophanes, . op. cit. p. 109.

[147] الطبري،تاريخ،ج٩/ص١٢٧. المنبجي، المنتخب، ص٩٨.ابن عساكر، تهذيب، ج٦/٢٨٨.

[148] الجهشياري، الوزراء، ص٨٠.

[149] الطبري، تاريخ،ج٩/ص ٤٧-٤٨،٥٤-٥٥.

وعندما اعلنت الثورة العباسية سار صالح بن علي، عم السفاح، في اثر مروان إلى الشواطىء اللبنانية ومنها إلى مصر حيث قتله في عام ١٣٢هـ/٧٥٠م منهيا بذلك حكم بني امية.[151] ثم سار عبدالله بن علي إلى بعلبك فعين عليها يزيد بن روح اللخمي حاكما وبسط سلطته ايضا على عنجر وأفل عائدا إلى دمشق[152] بعدما دانت مدن لبنان للسلطة العباسية الجديدة.

اسباب كثيرة أسهمت في سقوط الدولة الاموية بأيدي العباسيين ومنها: الصراعات الدينية-السياسية بين الفرق، والانقسام القيسي- اليمني، والصراع الفارسي -العربي وعدم التشدد في فرض الاسلمة على النظام العام. كانت المصاعب الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والدينية التي واجهت الامويين اكبر من ان تستوعبها دولة، أشبه ما تكون بقبيلة موسعة، اعتمدت سياسة تمييز الجيش والادارة بالعنصر الشامي عن غيره من عرب واعاجم فاثارت نقمة اهل المقاطعات الاخرى عليها. وشملت المفاضلة المميزات الاقطاعية وارض الصوافي. لذلك، أسهمت "الارستقراطية" وقيادات عسكرية وكبار الملاكين في الثورة؛ كما أسهم فيها الفلاحون والحرفيون الذين اغرتهم الدعاية العباسية بالاشاعات التي بثتها عن عزمها تخفيض الضرائب. ولعل الصراع مع شيعة علي والخوارج كان الاكثر فعلا في الانشقاق. وأسهم التفاف شيعة علي والعباسيين والفرس حول الشعار الغامض " الرضى من آل محمد"، او آل البيت في تكوين كتلة فاعلة من الناقمين الذين لهم جذورهم وامتداداتهم التي أسهمت في فرض اسس كيان الدولة الاموية معتمدين في ذلك الكتمان من جهة ودعاية تستنكر "كفر" الامويين وتحملهم تبعة جميع الفساد المادي والروحي المنتشر في المجتمع من جهة اخرى. لقد تمحورت المعارضة للامويين حول محورين: الرغبة في المساواة والقيام باصلاحات اجتماعية-اقتصادية، والتعلق العاطفي بعائلة علي. ولم يكن الاسلام الاول، الذي لم تكن عقائده قد تبلورت بعد، ليرضي الاضطرابات الفكرية. ففي نهاية القرن الاسلامي الاول كانت فكرتان تتصارعان: الاولى ترى الخلافة تمثيلا للرسول على قاعدة الشورى، والثانية متأثرة بالفرس وتعطي الخلافة طابعا مقدسا سيطبع الدعاية الشيعية والعباسية. وعندما تحققت الثورة العباسية كانت ترتكز على ثلاثة اسباب اساسية: الصراع حول مفهوم الدولة، وبين الملكية والتيوقراطية، وبين الفكر العربي السامي والفكر الايراني الآري. فلم يكن استبدال الامويين بالعباسيين مجود

---

[150] المنبجي، ص ١٠٤. يورد تيوفانس الحدث في سنة٧٤٥-٧٤٦، ويجعل الثورة شاملة دمشق كما ذكرنا وهليوبوليس أي بعلبك وهو دائما ما يذكرها في نصوصه باسمها القديم، وحمص. Theophanes, op. cit. p. 112.

[151] الطبري، ج٩/ص١٢٣، ١٣٠، ١٣٣-١٣٧. Theophanes, op. cit. p. 114.

[152] الطبري، تاريخ،ج٩/ص١٣٠. المنبجي، المنتخب،ص١٠٦-١١٥. ابن كثير، البداية، ج١٠/ ٣٧.

انقلاب سلالي ، بل ثورة بكل معنى الكلمة. ولم تكن ثورة عرق ضد عرق، بل عرب ضد عرب، ومن هنا فهي انقلاب على مفهوم الدولة الذي مارسه الامويون؛ وانقلاب على المفاهيم الاجتماعية والاقتصادية. ومع ان التنافس العرقي أسهم في اذكاء الثورة، فان عدم الرضى على عدم المساواة بين العرب وغير العرب كان المحرك الرئيس. وعندما ستنجح هذه الثورة سيحدد الدين هويتها لا العرق، وستنشأ طبقات جديدة في المجتمع[١٥٣].

كان معاوية وعبدالملك يصطافان في بعلبك احيانا[١٥٤]، وكان للخلفاء الامويين حضور في لبنان، وكانت عنجر مركز اقامة لبعض الخلفاء، وللبنان دور ما في العهد الاموي. فماذا سيبقى للبنان من دور وأي حضور للخلفاء سيبقى فيه في العهد العباسي؟.

---

[١٥٣] الشرق العربي في القرون الوسطى، المرجع المذكور، ص ٩، ٥٩-٦١. راجع ايضا حول أسباب **سقوط الدولة الاموية**، نقولا زياده، " نقلة الدولة من الامويين الى العباسيين"، **عربيات**، **حضارة ولغة**، دار الريس، لندن ١٩٩٤، ص١٠٠ -١٠٣. Elisséeff,op.cit.p.118-124.

[١٥٤] زياده، " المراكز الادارية والعسكرية في بلاد الشام في العصر الاموي"، في **عربيات**، ص٩٨.

الفصل الثالث

لبنان في العهد العباسي

مقدمة: وصول العباسيين إلى السلطة

اندلعت في العام ١٢٩/ ٧٤٧م الثورة العباسية في مقاطعة خراسان بقيادة ابي مسلم الخراساني، فسقطت المقاطعة بيد الثوار، ثمّ سقطت مدينة الكوفة في العراق في عام ٧٤٩م. وفي اواخر ذلك العام بويع ابو العباس(١٣٢-١٣٦/٧٤٩-٧٥٤)، المنتسب إلى العبّاس عمّ النبي محمد، بالخلافة في مسجد المدينة المذكورة، متخذا لنفسه لقب السفاح.

وفي عام ١٣٢/٧٥٠م التقت قوات الثوار العباسيين، بقيادة عبدالله بن علي ابن عمّ السفاح، بقوات الخليفة الأموي مروان بن محمد على ضفة نهر الزاب، احد فروع دجلة، فكان النصر حليف العباسيين الذين زحفوا بإثر مروان إلى دمشق، فاحتلوها في ١٣٢هـ/٧٥٠م[1]، وانهوا عهد الأمويين في الشرق.

كان ابو العبّاس اولّ خليفة عباسي، ولكّنه لم يحكم طويلا، فخلفه اخوه ابوجعفر المنصور(١٣٦-١٥٨/٧٥٤-٧٧٥م) الذي بنى في ١٤٥/٧٦٢مدينة بغداد، او مدينة السلام التي عرفت ايضا بالمدينة المستديرة، عاصمة للخلافة الجديدة، فكان الباني الفعلي للدولة العباسية.

اولا- الأوضاع السياسية في لبنان في العهد العباسي

لم يمرّ انتقال السلطة من الأمويين إلى العباسيين بخير على لبنان. فاثر سقوط الدولة الأموية في منتصف القرن الثالث الهجري/ ٧٥٠م، سيعرف لبنان ثورة هي ثورة المنيطرة. وسيكون لشخصية دينية اسلامية دور كبير في مهاجمة السلطة العباسية بسبب استعمالها للعنف.

أ-لبنان في عهد ابي جعفر المنصور

١-انتقال السلطة وأثره في بلاد الشام

عندما استقرّ الأوزاعي ببيروت، انتزع العباسيون السلطة من الأمويين الذين أبادوا معظمهم ونقلوا العاصمة إلى الكوفة فبغداد. فضعف موقع دمشق ولبنان وبلاد الشام عامة اقتصاديا، وإجتماعيا، بعدما كان مركز الثقل السياسي والإجتماعي والإقتصادي، فيها، في عهد الدولة الأموية. وفي مطلع العهد العباسي، كانت ولاية الشام ومصر ولاية واحدة، وعليها صالح بن علي(ت ٧٦٤م)، ابن عمّ السفاح والمنصور. وبقي حفداء صالح يتوارثون حكم بلاد الشام ومصر مدّة طويلة من الزمن[2].

---

[1] الشرق العربي، المرجع نفسه، ص ٧٢-٧٣.

[2] الصليبي، منطلق، المرجع المذكور، ص ٥٣.

أبقى الخلفاء العباسيون الأوائل على نظام الأجناد الذي كان معمولا بـه زمن الأمويين، وحصّنوا السواحل، وشحنوها بالمقاتلة، وربما كان سبب ذلك كثرة غارات البيزنطيين على البلاد الإسلامية، وبخاصة في عهد قسطنطين الخامس(٧٤٠-٧٧٥م). ولكن هذا الإهتمام لم يؤدّ إلى تحسّن الأوضاع العسكرية كما كانت في عهد بني أميّة. كما لم يؤد إلى ذلك عمل الامام الأوزاعي على تشجيع المرابطة في الساحل بتخصيص الاعطيات لأهله [٣].

وزاد في الإنهيار الإقتصادي، في البلاد الشامية، تحوّل مسالك التجارة عن بلاد الشام ومصر إلى بلاد فارس والعراق. فالتبدّل الكبير الذي طرأ على انتقال السلطة من دمشق إلى بغداد، كان في توجّه الدولتين: فالأمويون كانوا متوجهّين بشكل اساسي إلى امور وشؤون المتوسط، بينما توجّه العباسيون إلى الشرق. الخليفة العباسي كان آسيويا، تجارته تتوسّع في الخليج العربي-الفارسي وبحر الهند. و"امبراطوريته" تكبر باتجاه آسيا الوسطى، بينما كانت تضعف سلطته في اسبانيا والمغرب وحتى في مصر. وموقفه من الامبراطورية البيزنطية كان موقفا دفاعيا، فالصوافي كانت مجرّد حركة تجدّد الجهاد المقدّس من دون فعالية مهمّة [٤]. وكان التفكّك قد بدأ يعمّ الأرياف منذ أواخر عهد الأمويين، فتسبب ذلك بهجوم البدو على المناطق الزراعية وتحويلها إلى مراع للمواشي. وعبثا حاول العباسيون وقف ذلك في عهد المنصور، والرشيد(١٧٠-١٩٣/٧٨٦-٨٠٩ م) والمأمون(١٩٨-٢١٨/٨١٣-٨٣٣ م)، وقد حاول المنصور، وكذلك المأمون لاحقا، ضبط مساحة الأرض المملوكة، وهو ما يعرف ب "الروك" وذلك تسهيلا لعمل مسح الأرض لجباية الخراج والعشر. فاصطدم هؤلاء بمقاومة البدو، وبمقاومة أصحاب الأملاك الزراعية المتخوفين من زيادة الضرائب [٥].

الاجواء المعادية للمسيحيين بدأت في ٧٥١-٧٥٢ م، عندما اقدم الفاتحون الجدد على قتل العديد منهم، واستمرت هذ الاجواء العدائية مع الضرائب التي فرضها المنصور في ٧٥٧م على المسيحيين، حتى على الذين يكونون معفيين منها عادة، كالرهبان و ثروات الكنائس [٦]. وهذا، وغيره ما قاد إلى مجموعة ثورات في ارجاء الخلافة العباسية، كان من ابرزها ثورة المنيطرة.

---

[٣] الرازي،عبد الرحمن، **الجرح والتعديل** ، ط. اليماني، حيدر آباد ١٩٥٢، ج ١/ ١٩٣- ١٩٥. تدمري، **لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية**، جروس برس، طرابلس -لبنان،١٩٩٢،ص ٢٤.

[4] Hans Putman, **l'église et l'Islam sous Timothée I (780-823)**. Dar Al-Machreq, Beyrouth 1986, p.5.

[٥] الصليبي، المرجع المذكور، ص٥٥ .

[6] Theophanes, op. cit. p. 116,119.

٢_ ثورة المنيطرة

١ً -وقائع الثورة

سبق ثورة المنيطرة وصول البيزنطيين إلى طرابلس وإلى اللاذقية بطريق البحر في سنة ١٤٠هـ/ ٧٥٨م[٧]. فلعلّ هذا الغزو هو الذي شجّع اهالي المنيطرة وجوارها على الثورة.

وكان الدافع المباشر إلى هذه الثورة: سياسة الضرائب التي اعتمدها الخليفة المنصور سنة ٧٥٨ ، والجور والتضييق اللذان مارسهما عمّاله على الناس كلّهم، بحيث ابتلى الاهالي بالعوز وقلّة الدراهم؛ ويشير ابن عساكر إلى انّ أنباط جبل لبنان كانوا يتذمّرون من اسماعيل بن الازرق والجزري الذي كان على خراج بعلبك ويتعمّد قهرالناس. ولذلك امسك الناس في البدء عن قتال هؤلاء الانباط بسبب هذا التذمّر. ولكن عندما كثروا وبدأ سبي بعض قرى البقاع تغيّرت الامور [٨]،بعد تعديل ما تحلّه الدولة من عائدات مالية من الاراضي أي الخراج ولا سيّما لدى الأنباط النصارى.

محاولة الروك الأولى التي قام بها ابو جعفر المنصور أثارت النصارى في جبل لبنان. فتقدّم أهالي جبة المنيطرة في عام ٧٥٩-٧٦٠بشكوى ضدّ عامل بعلبك بشأن الخراج، أي الضرائب على الأرض، فلم يلقوا منه آذانا صاغية. وصادف أن الروم كانوا قد نزلوا بعسكرهم في طرابلس، كما ذكرنا، فتشجع أهالي جبّة المنيطرة، وقاموا بأعمال التحدّي ضدّ عامل بعلبك، هذا في الوقت الذي كان فيه صالح بن علي العباسي والياً على بلاد الشام[٩].

اول اشارة إلى هذه الثورة نجدها عند المؤرخ البيزنطي تيوفانس، الذي يذكر أنّه" في سنة ٧٦٠ قام في لبنان شخص يدعى تيودور (يعطيه الكاتب صفة السوري او السرياني) بثورة ضدّ العرب في القرى الواقعة خارج هليوبوليس(بعلبك). ففرّ العديد من الجهتين، ولكن اخيرا خسر وكلّ اللبنانيين الذين كانوا معه قتلوا[10]". هذه الرواية تجعل الثورة في جوار بعلبك، ولعلّ ذلك في قرى جبل لبنان القريبة من بعلبك، وتعطي اسما لقائد الثورة، تيودور، هو غير اسم القائد الذي ستقدّمه الروايات العربية اللاحقة، ومصيرا لهذا القائد مختلف عن المصير الذي سنعرفه وهوالقتل .

وتلي اشارة تيوفانس رواية لهذه الثورة نجدها عند ابن سلاّم(ت٢٢٤هـ) الذي يقول في معرض كلامه على خروقات اهل الذمّة للعهد:" وقد كان نحو من هذا

---

[٧] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨/٢٦٧. التهذيب ٥/٣٤١، ٣٤٥.
[٨] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨/٢٦٧.
[٩] الصليبي، المرجع المذكور، ص٥٥ -٥٦.
[10] Theophanes, op. cit. p. 121.

قريبا الآن في دهر الأوزاعي بموضع بالشام، يقال له: جبل اللبنان، وكان به ناس من اهل العهد فأحدثوا حدثا، وعلى الشام يومئذ صالح بن علي، فحاربهم واجلاهم فكتب اليه الأوزاعي، فيما ذكر لنا محمد بن كثير عنه برسالة طويلة، فيها.

"قد كان من اجلاء اهل الذمّة، من اهل جبل لبنان، مما لم يكن ممالأ عليه خروج من خرج منهم، ولم تطبق عليه جماعتهم، فقتل منهم طائفة، ورجع بقيتهم إلى قراهم، فكيف تؤخذ عامة بعمل خاصة؟ فيخرجون من ديارهم وأموالهم؟ وقد بلغنا انّ من حكم الله جلّ وعزّ انّه لا يؤخذ العامة بعمل الخاصة، ولكن يأخذ الخاصة بعمل العامة، ثمّ يبعثهم على اعمالهم فأحق ما اقتدى به ووقف عليه حكم الله تبارك وتعالى واحقّ الوصايا بأن تحفظ وصية رسول الله وقوله: من ظلم معاهداً او كلّفه فوق طاقته فأنا حجيجه. من كانت له حرمة في دمه فله في ماله والعدل عليه مثلها. فانهم ليسوا بعبيد فتكونوا من تحويلهم من بلد إلى بلد في سعة، ولكنهم احرار اهل ذمّة، يرجم محصنهم على الفاحشة، ويحاصّ نساؤهم نساءنا من تزوجهنّ منا القسم، والطلاق، والعدّة سواء، " ثمّ ذكر رسالة طويلة[11].

نستخلص من هذا النصّ انّ استحلال دم النصارى في جبل لبنان هو نتيجة خرق ما لشروط الذمّة.

ويبدو انّ المؤرخين المتأخرين كابن عساكر، سيقدمون رواية لا تتطابق مع ما جاء عند تيوفانس وابن سلام، كما انّهم عظّموا تصوير الامور ونسبوا، كما سنرى، إلى الاحداث وقائع، بعضها يضعف تصديقه.

وتجمّع أهالي المنيطرة وجوارها حول شاب يدعى بندار، وحوّلوه ملكا عليهم. فتحصّن بندار في القرية ولبس التاج، ورفع "راية الصليب"[12]، واخذ هو وجماعته يغيرون على البقاع حيث أوقع جيش العباسيين الهزيمة بهم، ثم لحقهم إلى المنيطرة وأخذ حصنهم. ففرّ بندار إلى طرابلس وهرب مع الروم، (وهذا ما يرجّح كونه من الروم لا من الموارنة). وإثر ذلك أصدر الوالي صالح بن علي أمرا بتهجير أهالي المنيطرة وجوارها وتشتيتهم في البلاد، وعفا بعد ذلك عن قسم منهم[13]، ولكن الاكثرية بقيت مشرّدة[14].

وقد اخبر البلاذري: "خرج بجبل لبنان قوم شكوا عامل خراج بعلبك، فوجّه صالح بن علي بن عبدالله من قتل مقاتلتهم وأقرّ من بقي منهم على دينهم وردّهم إلى قراهم واجلى قوما من اهل لبنان[15]". اما رواية ابن عساكربالتفصيل فتقول:

---

[11] ابن سلام، الاموال، المصدر المذكور، ص١٨٢-١٨٣.

[12] ابن عساكر، ناريخ دمشق، ج١٨/٢٦٧.الصليبي، المرجع المذكور، ص٥٦.

[13] البلاذري فتوح،ج ١٩٢/١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨/٢٦٧، والتهذيب، ٥/ ٣٤، ٧/ ١٩٠.

[14] الصليبي، المرجع المذكور، ص٥٦.

[15] البلاذري، فتوح ١٩٢/١.

" ومن الوقائع في زمن رياح (رياح بن عثمان بن حيّان... والي دمشق لصالح بن علي) انّ الروم دخلت اطرابلس، ثمّ ظهر في لبنان رجل من اهل المنيطرة، شاب ممتلىء الجسم وذلك سنة اثنتين او سنة ثلاث واربعين ومائة، وسمّى نفسه الملك ولبس التاج واظهر الصليب، واجتمع عليه انماط(انباط) جبل لبنان وغيرهم، ثمّ استفحل امرهم فسبوا بعض قرى البقاع، فقتلوا المسلمين واخذوا ما وجدوا، وكتب بندار الملك إلى اهل بعلبك يعلمهم بمصيرهم ويأمرهم بقتالهم، فتأهبوا وقاتلوهم في اسفل جبل لبنان، ثمّ اظهروا الهزيمة فامعنوا في الطلب، فلما بعدوا عن الجبل كرّت عليهم خيل بعلبك قتلوا منهم مقتلة عظيمة وانهزم بقيتهم. ثمّ انّهم هاجموهم في قلعتهم فظهروا عليهم واحتلوها منهم. وهرب بندار إلى بلاد الروم، فكتب حينئذ صالح بن علي يأمر باخراج من بقي من الجبل وتفريقهم في بلاد الشام وكفورها يعني قراها[١٦]". ومن خلال كتاب تاريخ دمشق، نجد انّ الحصار لم يقتصر على جند بعلبك بل شارك فيه جند دمشق ومتطوعة وتجارا وجند الساحل. ويضيف: " وهرب بندار في جماعة إلى ارض الروم...جماعة في الهوى فتحصّنوا وبقيت بقية فردوا بافرادهم[١٧]".

هذه الاحداث هي التي دفعت الأوزاعي إلى كتابة رسالته المذكورة آنفا والتي يكرّر مضمونها البلاذري كما رأينا.

قصة بندار هذا، نجد لها صدى في قصة لابن القلاعي عن ملك بسكنتا الثائر الذي استدرجه المسلمون إلى سهل البقاع وقتلوه في قبّ الياس:

سكن الملك في بسكنتا	وارسل عساكر في بغته
نهب البقاع في فرد نكته	وقتل رجاله مع النسوان
وطلع وسكن في قب الياس	ورتّب عساكر مع حرّاس
البقاع تحت حافر خيله انداس	وطلعت اخباره للسلطان
بعت له خلعة مع قصّاد	اطمنّ واكل معهم وزاد
وعساكر وراهم بتتجرّد	كبسوه في تلك الاوطان
قتلوه وانقتل من العساكر	وانتقل كتير من الاوخار
واعطون في قب الياس نار	وملكون البقاع من تلك الان[١٨]...

واذا قابلنا رواية البلاذري وموقف الأوزاعي برواية ابن عساكر عن الثورة يتبين لنا انّها كانت ثورة دفاعية برأي البلاذري والأوزاعي وعدائية هجومية برأي

---

[١٦] ابن عساكر تهذيب تاريخ دمشق، ج٥/ص ٣٤٤. ونجد المعلومات نفسها تقريبا مع تفاصيل زائدة في تاريخ دمشق، ج١٨/ ٢٦٧-٢٦٨.

[١٧] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٨/٢٦٨.

[١٨] ابن القلاعي، **حروب المقدّمين**، نشر قرألي،ص ١٣ . ط. الجميّل، **زجليات ابن القلاعي**، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢، ص٩١.

ابن عساكر. والارجح انها كانت ثورة لاسباب اقتصادية، ولم تكن شاملة الجماعات كلّها من سكان الجبل[19].

٢ً-نتائج ثورة المنيطرة: حركة الإسكان

يبدو انّ الولاة العباسين، بعد ثورة المنيطرة، عمدوا إلى ابعاد نصارى لبنان عن المناطق المسيطرة على الدروب الجبلية التي تربط الساحل بالداخل. فحثّوا جاليات من المسلمين على التوطن بها[20].

فلحماية السواحل من التهديد الدائم للبيزنطيين، عمد العباسيون، بحسب رأي مراجع متأخرة جدا، إلى تشجيع بعض القبائل العربية علىالسكن في لبنان. فلبّى الدعوة التنوخيون الذين استقروا بوسط لبنان، في المناطق الجبلية القريبة والمطلة على بيروت. وسيلعب الأمراء التنوخيون بكامل عشائرهم ، وعلى رأسها الإرسلانيون في بادىء الأمر، ثمّ البحتريون لاحقا، دورا مهمّا في هذه المنطقة. وقد سهّل عملية استقرارهم بوسط لبنان أنّه كان قليل السكّان[21].

ويعيد احد المصادر اصل هؤلاء إلى اليمن، ومنه انتقلوا إلى الحيرة حيث يجعلهم من نسل الملوك المناذرة اللخميين. ومن الحيرة انتقلوا إلى المعرّة حيث تصاهروا مع آل معن وكانوا في صراع مع الفرس فانتقلوا نتيجة ذلك مع اثنتي عشر طايفة(اي عشيرة) إلى المعرّة. ومن المعرّة سيرحلون بقيادة اميرهم المنذر بن النعمان بصحبة المعنيين إلى بلدة تيروش وسيسكن آل معن في دير القمر والامير شهاب في حاصبيا والامير رسلان في حصن ابي الجيش بوادي التيم ومنها سينتقل إلى سنّ الفيل، و سيسكن الملك(الامير) المنذر في حصن سرحمول(بلدة اعبيه). وكان ذلك قبل مجيء الاسلام على حدّ زعم هذا المصدر. كما انتقل ايضا إلى لبنان آل فوارس وعزايم وعبدالله وخطير وحصن وكاسب وشجاع ونمر وشرارة وبحتر ونبا الكسرواني ومطوع ومعضاد وابو اللمع وغيرها. وانتشرت هذه العشائر في المتن والغرب والجرد والشوف[22].

امّا رواية احد المراجع التاريخية، من القرن التاسع عشر، فتذكر انّ ابا جعفر المنصور طلب في ٧٥٨م من الامير المنذر بن مالك ومن اخيه الامير ارسلان ان تقيم عشائرهما في المناطق الخالية من لبنان، وبالذات في جبال بيروت لقهر المردة وتملّك بلادهم. وقد اشتهر من الإرسلانيين في العهد العباسي الأمير مسعود، الذي تخبر الحكايات المتأخّرة جدّا في الزمن، أنّ الخليفة المأمون اضاف إلى امارته

---

[19] مكي، المرجع المذكور، ص٦٤.

[20] ابن القلاعي، المصدر نفسه،ص ١٢.

[21] قواعد الاداب حفظ الانساب، لمؤرخ مجهول، تحقيق الياس القطّار ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت١٩٨٦، ص٣٥. فهذا ما يوحي به نصّ الكتاب الذي يشير إلى انّ البلاد كانت ' شايعة" عند وصول عشائر التنوخيين اليها.

[22] قواعد الاداب، المصدر المذكور ، ،ص١٦، ٢٧-٣٢.

ولاية صيدا ومقاطعة صفد. وكان لحفيده الأمير النعمان دور كبير في الدفاع عن بيروت ضدّ البيزنطيين والمردة، فنهض الامير ارسلان بسوابق العشيرة إلى وادي التيم، ونزل بحصن ابي الجيش منتظرا قدوم اخيه بباقي العرب . وكان قدوم المنذر في عام ٧٥٩م فانتقل الاميران إلى المغيثة ثمّ تفرّقا في جبال بيروت. فاستوطن المنذر في حصن سلحمور(قرب عبيه) وارسلان في سنّ الفيل وحسّان بن خالد بن مالك في اعبيه. وتفرّق باقي المقدمين، وعددهم اثنا عشر في البلاد. ثمّ انتقل مسعود بن ارسلان بعد موت ابيه من سنّ الفيل إلى الشويفات[٢٣].

ثورة المنيطرة هذه، هي جزء من سلسلة ثورات جاءت نتيجة اقصاء قسم من الارستقراطية العربيةعن الحكم ، وانحلال دور الشام لصالح العراق. فقامت ثورتا ابي الورد والسفياني، واصيب الطالبيون والعلويون بخيبة امل كبيرة عندما شعروا بأنّ العباسيين جيّروا التحالف الذي كان قائما بينهم زمن الأمويين لصالحهم فقط. ومن ابرز ثورات الطالبيين : ثورة كلّ من محمد النفس الذكية واخيه ابراهيم[٢٤].

هذه الثورة، ذات الطابع المسيحي البحت، كان لها مثيلاتها عند المسلمين، في عهد الرشيد والامين(٨٠٩-٨١٣) والمأمون والمعتصم(٨٣٣-٨٤٢ م)، ولم تكن فقط انتفاضات شعبية ضدّ جور العباسيين بل رفض لكل ما هو عباسي[٢٥]. فالعباسيون لم يفلحوا في استمالة اهل بلاد الشام إلى جانبهم. فكانت المنطقة في حالة رفض للعباسيين. وبلغت نقمة الناس على العباسين قول احدهم للمنصور" الله اعدل من ان يجمعك علينا والطاعون" ، فأمر المنصور بقتله فورا[٢٦]. وهذا ما حدا بالخليفة المتوكل(٢٣٢-٢٤٧/٨٤٧-٨٦١ م) للتفكير بنقل العاصمة، إلى دمشق، لعلّه يفلح في التخفيف من غلوائهم[٢٧].

وهذا ايضا مايفسّر اقبال بلاد الشام على تقبّل الخوارج، إلى حدّ ما، وعلى التشيعّ إلى حد كبير الذي طغى على الوجود السنيّ منذ القرن التاسع الميلادي. وكان على رأس المتشيعين سكان العديد من المناطق اللبنانية على المذهب الاثني عشري- الامامي، وعلى مذاهب الإسماعيلية والقرمطية والنصيرية ثم الدرزية لاحقا. وكان القرامطة منذ ٩٠٢م قد حاولوا الاستيلاء على لبنان ففشلوا رغم فتكهم بأهل بعلبك. وبقي هؤلاء يهددون بلاد الشام حتى نجاح الدولة الفاطمية باقصائهم عنها في٩٧٧م، مخلفين وراءهم العديد من المحبّذين لهم في وادي التيم والاشواف

---

[٢٣] الشدياق، **كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنان**، نشر فؤاد افرام البستاني، جزءان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠، ص ٤٩٥-٤٩٦.

[٢٤] الاصفهاني، ط. الشنقيطي، ج١٧/١٠٩. ولمزيد من التفاصيل، الشرق العربي، المرجع المذكور، ص ٨٣.

[٢٥] لامنس، سوريا(بالفرنسية)، ص١٣١-١٣٣، الصليبي، المرجع المذكور، ٥٩.

[٢٦] حتي، المرجع المذكور، ص٣٢٧ لامنس، المرجع المذكور، ص١٣١.

[٢٧] الصليبي، المرجع المذكور،٥٩.

وبجوار حلب[28] . وهذا ما يوضح إلى حدّ ما انتشار المذهب التوحيدي الدرزي في هذه الأرجاء. ويبدو انّ التشيّع كان قد بدأ ينتشر في بلاد الشام بشكل واضح بعد عهد المتوكّل العباسي، زمن احمد بن طولون الذي دانت له البلاد من مصر إلى بلاد الشام[29] .

ب-لبنان من عهد المهدي(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م) حتى العهد الطولوني ٢٦٤هـ/٨٧٨م

عرفت بلاد الشام في هذه الفترة كثرة الغزوات [30] من دون ان نتأكد ما اذا شاركت فيها الموانىء اللبنانية.

على صعيد الأوضاع المحلية، تخبر مراجع من القرن التاسع عشر انّ الخليفة المهدي سار في ١٦٣هـ/٧٨٠م إلى القدس ومعه الاميران التنوخيان المنذر وارسلان، فهاجم المسيحيون الساحل بين طرابلس وصيدا، فاقتصّ منهم الاميران وانتصرا عليهم في موقعتي نهر الموت(عند بلدة جديدة المتن) وفي انطلياس. ثمّ جرت في ١٧٤هـ/٧٩١م موقعة في سنّ الفيل انتصر فيها عليهم مسعود بن ارسلان ابن اخّ الامير المنذر المذكور[31] . وفي السنة نفسها ٧٩١م اشتدّت العصبية القبلية في بلاد الشام فشهدت المناطق اللبنانية صراعا بين القيسية واليمنية و لا سيّما في البقاع[32] .

وعلى صعيد الأوضاع الخارجية تخبر المراجع المتأخرة ايضا انّ الروم اغاروا على بيروت سنة ١٨٤هـ/٨٠١م واسروا اربعة من الامراء التنوخيين الذين تمّ فداؤهم سنة ٨٠٤م[33] . واستمرت هذه الصراعات الخارجية زمن هارون الرشيد مع غزوه الروم انطلاقا من الثغور البحرية[34] .

١-الثورة السفيانية

وكان للبنان نصيبه من الصراعات داخل بلاد الشام، اذ شهد فصولا من الثورة التي عرفت بالسفيانية التي سعت لاحياء الخلافة السفيانية الأموية. فقد جرت هذه الحركة في ١٩٥-١٩٨هـ/٨١٠-٨١٣م، ابّان الصراع بين الامين والمأمون،

---

[28] الصليبي، المرجع المذكور،٥٩.

[29] الصليبي، المرجع المذكور، ص ٦٢.

[30] مثلا غزوة في عهد المهدي سنة١٦٠ و١٦١هـ. الطبري، ابو جعفر، **تاريخ الأمم والملوك**، ١٣ جزءا، دار القاموس الحديث، بيروت(لا تاريخ) ج٩/ ص٣٣٤، ٣٤١. ابن عساكر،تاريخ دمشق ج٣٤/٣٤٠.

[31] الشدياق، المرجع المذكور، ٤٩٦/٢.

[32] اليعقوبي، تاريخ، ج ٤٠٩/٢-٤١٠. الطبري، تاريخ،ج١٠/ص٥٢. ابن عساكر، تهذيب تاريخ دمشق ج١٨٠/٧،١٨٢،١٨٤، تاريخ دمشق ١١٠/٣٥-١١١ .

[33] الشدياق، المرجع المذكور،ج ٤٩٦/٢.

[34] البلاذري، فتوح، ج١ /١٩٣.

وتزعّمها علي بن عبدالله بن خالد بن يزيد بن معاوية الذي عرف باسم ابي العميطر. والعميطر كنية الحرذون. فقد اعلن عليّ المذكور نفسه المهدي، وبويع بالخلافة في دمشق في ذي الحجة سنة ١٩٥هـ، في خلافة الامين، وقال انّه ابن شيخي صفين: الامام علي ومعاوية، لانّه ابن نفيسة بنت عبيدالله بن العباس بن علي. وقد مشت معه اليمنية، ووقفت في وجهه القيسية، فانتقم منها انتقاما شديدا. وعندما دعا لنفسه بالخلافة قوي على عامل دمشق، واخرجه منها، واعانه الخطلب بن وجه الفلس مولى بني امية، الذي كان قد تغلّب على صيدا، فسيطرت هذه الحركة على صيدا والجنوب والبقاع وبعلبك والسواحل وحمص وقنسرين ووادي التيم ودمشق وكانت مصر معها. ولمّا لم تقف إلى جانبه القيسية اعمل فيها القتل. وانتهت حركته بسرعة بسبب النزاع بين الفرعين السفياني والمرواني، عندما زاحمه على ادّعاء الخلافة مسلمة من نسل عبد الملك بن مروان[٣٥].

هذه الاحداث لم توقف اندفاع القبائل التنوخية للمجيء إلى لبنان في عهد المأمون، كما ذكرنا. وتخبر المراجع المتأخرة، من القرن التاسع عشر، انّ المأمون استعان بهؤلاء لمحاربة الخارجين عليه في مصر[٣٦]. وترجّح احدى الدراسات انّه زار اطراف لبنان الشرقية في اثناء زيارته جبل حرمون وعنجر[٣٧].

وفي عهد المأمون جاء عبدالله بن طاهر إلى الشام لهدم حصونه وهدم صور والمعرّة في ٢٠٩[٣٨].

٢-ثورة المبرقع

وما كاد لبنان يلملم آثار ثورة ابي العميطر حتى انغمست بعض مناطقه في ثورة المبرقع عندما شارك جنوب لبنان في سنة ٢٢٧هـ/٨٤٢م في هذه الثورة في عهد الخليفة المعتصم(٢١٨-٢٢٧/٨٣٣-٨٤٢). والمبرقع(ابو حرب اليماني) هو تميم ابو حرب من اللخميين القائمين في غور الاردن، استقطب اليمنيين ومنهم بنو عاملة في الجنوب، واعتمد في ثورته على الفلاحين. ومشاركة الفلاحين في الجنوب تعكس عدم رضى على السياسة الاقتصادية التي اتبعها العباسيون. وقد تمكّن العباسيون من القضاء على ثورته، مستغلين زمن حرث الارض وانكفاء

---

[٣٥] الطبري، تاريخ،ج١٠/ص ١٥٥. ابن عساكر، تهذيب ج ١٧١/٥. تاريخ دمشق ج٣٥/١١٠و٣٨/١٠٥، ٣٥٥ ٤٥/٥١٨،٥٣١ . ابن كثير ج١٨٩/١٠. الصفدي، تحفة، ج١/ص ٢٥١-٢٦٦. النويري، نهاية، ج٢٢/ص ١٦٦. مكي، المرجع المذكور، ص٧١. وحول علاقة خالد بن يزيد جدّ هذا الثائر ومسألة بداية الحركة السفيانية، راجع الاغاني لابي فرج الاصفهاني، ط. الشنقيطي، مصر ١٩٠٥، ج١٦/٨٥.

[٣٦] الشدياق، المرجع المذكور،ج٢/٤٩٧.

[٣٧] تدمري، المرجع المذكور، ١٦١-١٦٢

[٣٨] الحموي، محمد بن علي(القرن السابع/الثالث عشر)، **مختصر سير الاوائل والملوك ووصيلة العبد المملوك**، مخطوط رقم ١٥٠٧، المكتبة الوطنية في باريس، ص ١٧٣.

الفلاحين إلى ارضهم، وبالتالي ضعف عديد مؤيديه بسبب ذلـــك، فـــانقضوا عليـــه وانهوا حركته[39].

٣-خروج ابن شيخ على سلطة العباسيين

ولم يمض ربع قرن على هذه الاحداث، حتىشهد جنوب لبنان وصيدا خروجـــا على سلطة العباسيين مع سيطرة حاكم جنديّ فلسطين والاردن احمد بن عيسى بـــن شيخ بن الشليل الربعي الشيباني عليه في منتصف القرن الثـــالث هجـــري حتـــى اواخر القرن الرابع الهجري/القرن العاشر الميلادي. فقد امتنع ابن شيخ عن مبايعة الخليفة المعتزّ(٢٥١-٢٥٥/٨٦٦-٨٦٩) وفرّ إلى مصر سنة ٢٥٢هــ . وبعـــد ان صفح عنه المعتزّ عاد إلى حكم البلاد مستوليا على فلســـطين والاردن ودمشـــق، متمنّعا عن ايصال الاموال إلى الخليفة وساعيا لاحتلال مصر . فأوكل الخليفة امره إلى ابن طولون الذي طرده من مصر، كما انّ أماجور التركي حاكم دمشق، تـــابع الحرب ضدّه وهزمه، فهرب ابن شيخ إلى صور وتحصّن بها، ثمّ عينّ واليا علـــى ارمينيا سنة ٢٥٧هــ. ورغم انتقاله إلى ارمينيا بقيت اسرته في جنوب لبنان تـؤدي دورا سياسيا في المنطقة. وتخبر مراجع القرن التاسع عشر انّ الامـــير التنوخـــي النعمان تولّى بيروت بعد حركة ابن شيخ ، وكلّف بردّ هجمات البيزنطيين وغزوات النصارى من الجبل[40].

وكما جنوب لبنان، عرفت عكار احداثا جساما، ومعـــارك بيـــن اهـــل حمـــص وعاملها محمد بن اسرائيل الذي هرب إلى عكار ليحارب احد الزعمـــاء الثـــائرين المدعو ابن عكار فقتل وتمكّن ابن اسرائيل من استعادة حمص[41].

وسط هذه الاجواء غير المستقرّة، كان الاتراك يشقوّن طريقهم للتحكّم بالســـلطة العباسية، وسينجحون في ذلك في القرن التاسع الميلادي، مما سيسمح لهم بتشـــكيل سلالات شبه مستقلّة، في مناطق كثيرة من ارجاء الخلافـــة، ومنـــها بـــلاد الشـــام ومصر.

ج-لبنـــان فـــي العـــهد الطولونـــي(٢٦٤-٢٩١هـــ/٨٧٨-٩٠٣م والعباسي مجدّدا ٢٩١-٣٣٠هـ/٩٠٣-٩٤١م وحركة القرامطة

تفسّخت الدولة العباسية، فقامت دويلات في قلبها، وعلى اطرافها، لاسباب عـــدّة سياسية وعسكرية. فبسبب سيطرة الاتراك على الخلفاء، اضطر هؤلاء إلـــى منـــح قوادهم حكم الولايات، حتى غدا معظم الولاة من الاتراك الذيـــن ســـعى بعضـــهم،

---

[39] اليعقوبي ، تاريخ، ج٢/٤٨٠. الطبري،تاريخ، ج١١/ص٥. ابن كثير، البداية،ج١٠/٢٤٧.مكي، المرجع المذكور، ص٧٢.

[40] الشدياق، المرجع المذكور، ٢/٤٩٩.

[41] اليعقوبي،تاريخ،ج ٢/٥٠٥. تدمري، لبنان من الدعوة العباسية، ص ٦٢.

بسبب ضعف السلطة المركزية، إلى الاستقلال. هذه السياسة افسحت المجال امام الحكّام المحليين للاستيلاء على مقاطعاتهم، كالحمدانيين مثلا، الذين بارك الخليفة بدعتهم، فاستغلّ القرامطة الوضع واقاموا دويلتهم. وضعف نفوذ العرب، وخصوصا بعد تنفيذ كتاب الخليفة المعتصم إلى عامله على مصر بحلّ الجيوش العربية من ديوان الجيش. فغدا معظم ولاة مصر وعمالها من الاتراك. وكان الولاة الاتراك يبقون في بغداد او سامراء ويرسلون نوابا عنهم إلى ولاياتهم شرط ان يرسلوا المال المطلوب. وكان منهم احمد بن طولون الذي بدأ فيها نائبا لوالي مصر. وعندما ارسل الخليفة المعتمد(٢٥٦-٢٧٩/٨٧٠-٨٩٢) العباسي إلى ابن طولون يستعجله دفع الخراج اجابه: " لست اطيق ذلك والخراج في يد غيري". وبدهائه استمال اليه الخليفة الذي اقرّه على الولاية وضمّ اليه سوريا وفلسطين ولبنان، ثمّ استقلّ سنة ٢٦٤/ ٨٧٧[٤٢].

اعلن احمد ابن طولون، التركي الاصل، الذي كان واليا على مصر، استقلاله بها ورفضه سلطة خلافة بغداد، مستغلاّ الصراعات في البلاط العباسي، وضعف موقف الخليفة بسبب ثورات الزنج، فضمّ إلى حكمه بلاد الشام اجمع، ومن ضمنها المناطق اللبنانية، حتى انطاكية ، وقد ساعده على ذلك كونه كان مسؤولا عن مراقبة السواحل وحمايتها. وكان سكّه للعملةالذهبية، وعليها اسمه إلى جانب اسم الخليفة، ايذانا باستقلاليته. وبفضل عدم ارساله الضرائب إلى بغداد وصرفها في المنطقة، عرفت دولة ابن طولون ازدهارا اقتصاديا[٤٣].

عمد ابن طولون إلى تحصين السواحل [٤٤]، واكمل ابنه خمارويه الامر نفسه، وبخاصة في طرابلس[٤٥]. وطبعا، كان لبنان كباقي المنطقة مسرحا لصراع بين الطولونيين والعباسيين، و لا سيما في عهد خمارويه الذي انتصر عليه الموّفق العباسي في فلسطين فانهزم إلى مصر . ثمّ وقع الصلح بين المعتضد وخمارويه وتزوج ابنة الاخير. فظلّ لبنان بيد الطولونيين، الذين اقرّ العباسيون حكمهم على

---

[٤٢] الشرق العربي، ص ١٣٥، ١٣٧-١٣٨.

[43] Elisséeff, op. cit. p. 194-195.

يشير احد المصادر المتأخرة إلى ان حكم ابن طولون شمل مصر والشام والفرات والمغرب، الاسحاقي، محمد بن عبد المعطي(١٠٣٢/١٦٢٣)، **لطائف اخبار الدول**، مخطوط رقم ١٥٦٢، المكتبة الوطنية في باريس، ص ١٨٦.

[٤٤] البلوي، **سيرة احمد بن طولون**، تحقيق كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، ص ١٨٤، ٣٥١. الصفدي، تحفة، ج١/ص٣١٣-٣٢٣. اليافعي، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، ٤ اجزاء،دار الكتاب الاسلامي، ط. ٢، القاهرة ١٩٩٣، ج٢/ص ١٨٣.

[٤٥] اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧.

مصر والشام مع الخليفة المعتضد العباسي في ٢٨٦هـ/٨٩٩م على زمن هارون بن خمارويه بن طولون[٤٦].

كاد لبنان يستكين للراحة في ظلّ الطولونيين، عندما فاجأته حركة القرامطة، التي ظهرت في ٢٨٨هـ/٩٠٢م،[٤٧] وهم الفرقة الشيعية الإسماعيلية المنتسبة إلى احد دعاة الإسماعيلية حمدان بن الاشعث المعروف بحمدان قرمط[٤٨]، يدعون إلى تحقيق عدالة اجتماعية "اشتراكية".

سار القرامطة باتجاه دمشق فجرت معركة بينهم وبين طغج الفرغاني، عامل الطولونيين في دمشق، في وادي القردان والافاعي من اعمال دمشق في رجب ٢٨٩هـ/. ثمّ حاصر هؤلاء دمشق. وبعد ذلك، عندما وصلت القوات المصرية، جرت المعركة بين القرامطة، بقيادة يحيى بن زكرويه، وبين عسكر الطولونيين في كناكر وكوكبا على مسيرة يوم من دمشق، في غرّة شهر رجب من سنة ٢٩٠هـ في البقاع الغربي وقتل يحيى[٤٩]. وخلف الحسن بن زكرويه اخاه يحيى، فهاجم حمص وحماه وحلب وضرب الدينار باسمه واباد اهالي بعلبك، حتى لم يبق منهم الاّ اليسير، ثم سار إلى سلمية وقتل من بها من بني هاشم وكلّ ما وجده فيها من انسان وحيوان[٥٠]، وكان في ذلك يريد القضاء على أي اثر للاسماعليين وائمتهم.

---

[٤٦] **العيون والحدائق في اخبار الحقائق**(مؤلف مجهول)، تحقيق نبيله عبد المنعم داود، الجزء الرابع- القسم الاول مطبعة النعمان، النجف-العراق، ١٩٧٢، والجزء الرابع-القسم الثاني مطبعة الارشاد- بغداد١٩٧٣،ج٤/ق١، ص١٣٧-١٣٨. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ ص ١٨٦، ١٩٤. الاهوال، الحسين، غربال الزمان، المخطوط رقم١٥٩٣، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٩٧. الشرق العربي، ص ١٣٧-١٤١.

[٤٧] من اهمّ المصادر التي تتكلم على القرامطة: الطبري،في تاريخه المعروف بالامم والملوك، والعيون والحدائق، والمسعودي، وابن مسكويه والمقريزي وابن الاثير وابن العبري واليافعي، مرآة الجنان، ونجد العديد من النصوص عنهم في الشرق العربي، المرجع المذكور، ص١٥٢-١٧٠. وقد جمع سهيل زكار اغلب نصوص المؤرخين عنهم في كتابه، **اخبار القرامطة** كما سنشير إلى ذلك في الحواشي التي تلي. راجع ايضا ميكال يان دي خويه، **القرامطة**، ترجمة وتحقيق حسني زينه، دار ابن خلدون بيروت ١٩٨٦.

[٤٨] الطبري، تاريخ، ج١١/ص٣٣٧-٣٣٩. **العيون والحدائق**، تحقيق عمر السعيدي، المعهد الفرنسي بدمشق ١٩٧٢،ج٤/ص ٢٩٨- ٢٩٩، ط . داود، ج٤/ق١، ص١٢٥-١٣٠. الدواداري، كنز الدرر، تحقيق بيرند راتكه، ٩ اجزاء، المعهد الالماني، القاهرة ١٩٨٢، الدرّة، ج٦/ ٤٤-١٠٧.سهيل زكّار، تاريخ اخبار القرامطة، جمع وتحقيق لمصنفات كلّ المؤرخين الاتية اسماؤهم عن القرامطة:(ثابت بن سنان-علي بن عبيدالله العباسي العلوي- النيسابوري-عبدالله الهمذاني-ناصر خسرو-محمد بن مالك -الجوزي-الازدي-ابن العديم-النويري-المقريزي-الخزرجي)١٩٨٠، ص ١٠.

[٤٩] المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٣٨. العيون والحدائق، ط. داود، ج٤/ق١، ص١٨٠-١٨١،١٨٣-١٨٤. الصفدي، تحفة، ج١/ص٣٣٢.الدواداري، كنز، تحفة، ج٦/٧٢. اليافعي، مرآة الجنان،ج٢/ص٢١٨.الحموي، مختصر سير الاوائل، المخطوط المذكور، ص١٧٩. الصليبي، المرجع المذكور، ص ٦٠.

[٥٠] المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٣٨. الطبري، تاريخ، ج١١/ص٣٨٧؛٣٨١. العيون والحدائق، ط. داود، ج٤/ق١، ص١٨٢-١٨٤. تاريخ اخبار القرامطة، ض٢٨٠،٢٩١. الذهبي(٧٤٨هـ)، **تاريخ الاسلام**، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٣، ص ٨. المقريزي، **اتعاظ الحنفا**، ط.

ومما جرى في بعلبك انّ القرامطة استباحوا اهلها وقتلوا الذراري، ولم يبق شريف لشرفه، ولا صغير لصغره ولا امرأة جميلة لمحرمها، وقتلوا اهل الذمّة، وفجرّوا بالنساء[٥١]. ويورد الطبري خبرا عن نسخة كتاب احد عمّال صاحب الشامة يتكلم فيه على مدينة افامية ويذكر نزول شخص، يتهمه بانّه مارق يدعى سبك عبد مفلح، على مدينة عرقا في زهاء الف رجل، ولذلك أوكل جواسيس بالتوجّه إلى ناحية عرقا لمعرفة اخبار هذا الخائن للقضية القرمطية[٥٢]. واخيرا انتصر العباسيون والطولونيون على الحسن في نواحي شيزر واعدم في اوائل سنة ٢٩١/٩٠٣[٥٣].

وكان تأثير القرامطة واضحا في وادي التيم والشوف. والدليل على ذلك، بحسب زعم احد المراجع الدرزية، أسماء بعض القرى في لبنان التي تعود إلى أسماء في بلاد القرامطة: عين دارا، العبادية، اعبيه، المختارة، ديركوشه وغيرها[٥٤].

ومع عودة العباسيين في ٩٠٣م إلى حكم المنطقة، عاد الصراع مجددا بين البيزنطيين وسواحل بلاد الشام. وانطلق من الساحل المذكور ليو الطرابلسي ليغزو سالونيكا في اليونان. وقام ليو المذكور مع دميان الصوري باسقاط الدولة الطولونية في مصر سنة ٢٩٢هـ/٩٠٤م. وليو نصراني المولد من مدينة اتاليا (انطالية)، سباه المسلمون، واصبح غلاما، في طرابلس، لزرافة احد حجّاب الخليفة المتوكل الذي كان عاملا على طرابلس بعد هربه من سامرّاء اثر مقتل الخليفة المذكور. لقب ليو بالطرابلسي نسبة إلى اقامته في طرابلس. وكان قائد الاسطول البحري الاسلامي. اما دميان فنصراني ايضا، اسره المسلمون وتربّى في طرسوس، ونسب إلى صور لقيادته اسطولها، ثمّ لاحقا الاسطول العباسي. واشتهر ليو بغزوته لانطاليا وسالونيكا في ٩٠٤م، واسقاط الدولة الطولونية كما مرّ معنا. وكان دميان قد غزا قبرص سنة ٩١٠م، والحق مع ليو الهزيمة بالوزير البيزنطي هيميريوس

دار الايتام، نشره هوغو بونز بنسخة وحيدة في فلسطين ١٩٠٩، ص ١١٦-١١٧. ابن شاكر الكتبي، **فوات الوفيات**، تحقيق احسان عباس، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت ١٩٧٣، م٢/٦١. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ص ٢١٨،٢٢٢. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/٧٢. الحموي، مختصر سير الاوائل، المخطوط المذكور، ص ١٧٩. دي خويه، المرجع المذكور، ص٥١-٥٢.

[٥١] اخبار القرامطة(كتاب بغية الطلب) ص٢٨٠،٢٩١.

[٥٢] الطبري، تاريخ، ج١١/ص ٣٨٥.

[٥٣] الطبري، تاريخ، ج١١/ص٣٨٠. المسعودي، التنبيه والاشراف، ص٣٣٨-٣٣٩. العيون والحدائق، ج٤/ق١، ص ١٨٥-١٨٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٢٩١-٣٠٠، ص ٨. المقريزي، اتعاظ، ط. بونز، ص ١١٩. اخبار القرامطة، ص٢٨١-٢٨٦. دي خويه، المرجع المذكور،ص٥٢.

[٥٤] سليم ابو اسماعيل، **الدروز**، بيروت ١٩٥٥،ص ١٨١. يذكر انيس فريحه انّ عين دارا مشتقة من Andaris وتعني عين البيوت والمساكن. والعبادية من جذر سام يفيد الشغل والفلاحة، ومجازا العبادة. واعبيه، تعني الاحراج الكثيفة، وفي العامية"عبي" أي كثيف. ودير كوشه، تعني الرهبان الجماعة المنقطعة للعبادة. راجع انيس فريحه، **معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية**، مكتبة لبنان، ص ٧٤، ١١٢، ١٢٢.

قرب كريت سنة ٩١٠-٩١١م بعدما كان المذكور قد احرز نصرا كبيرا على الاسطول الاسلامي سنة ٩٠٦م، وغزا ساحل الشام سنة ٢٩٨هـ/٩١٠م[٥٥].
وقد استفادت المدن اللبنانية كثيرا في العهد الطولوني،وكثر جشع تجارها [٥٦]

د-لبنان في العهد الإخشيدي(٣٣٠-٣٥٨هـ/٩٤١-٩٦٩م)

بعد سقوط الدولة الطولونية عادت سلطة العباسيين إلى بلاد الشام، ولكنّهم وقعوا في خطأ اسناد ولاية مصر إلى محمد طغج، احد قادة الطولونيين السابقين الذي لم يلبث ان استقلّ بها.

ففي سنة ٣٣٠هـ/٩٤١م، اعلن والي مصر، محمد طغج الملقب بالاخشيد (بياض الشمس)، استقلاله عن الخلافة العباسية، فضمّ بلاد الشام اليه فأقرّه عليها الخليفة العباسي المستكفي(٣٣٣-٣٣٤/٩٤٤-٩٤٦)[٥٧]. فقد ولاه المقتدر(٢٩٥-٣٢٠/٩٠٨-٩٣٢) دمشق فسار اليها، ولم يزل بها إلى ان ولاه القاهر بالله(٣٢٠-٣٢٢/٩٣٢-٩٣٤) مصر في شهر رمضان سنة ٣٠١هـ. ثمّ ضمّ اليه الراضي بالله(٣٢٢-٣٢٩/٩٣٤-٩٤٠) الجزيرة والحرمين، وغير ذلك من البلاد المذكورة بعد سلسلة حروب مع محمد بن رائق انتهت بصلح معه في ذي القعدة ٣٢٨هـ، ثمّ ضمّ اليه المتقي لله(٣٢٩-٣٣٣/٩٤٠-٩٤٤) الشام والحجاز وغير ذلك[٥٨]. وشهدت البلاد نزاعا بين دولة الحمدانيين الشيعة الامامية في حلب والإخشيديين السنّة. ففي سنة ٣٣٣هـ/٩٤٤م سار سيف الدولة الحمداني إلى حمص يريد دمشق، والتقى جيشا الاخشيد وسيف الدولة في الرستن حيث كان النصر للاخير، فاستولى على بعلبك والبقاع وحاصر دمشق بعدما كتب إلى اهلها كتابا وعسكره مقيم في ظاهر بلدة عنجر. ثمّ دخل المدينة التي تآمر بعض اهلها عليه، فمنعوه من العودة اليها وطلبوا مساعدة الاخشيد، الذي استعادها[٥٩]، فتركها سيف الدولة، ثمّ التقى الجيشان في قنسرين، وذلك لان الاخشيد اختار المسالمة، فبدأ التفاوض بين الاثنين الذي آل

---

[٥٥] راجع تفاصيل كثيرة عن ليو ودميان في تدمري، **لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية**، جروس برس طرابلس،١٩٩٢م، ص ٧٧-١٣٢.
[٥٦] الصليبي، المرجع المذكور، ص ٦٣.
[٥٧] **العيون والحدائق**(مؤلف مجهول)، ج٤/ ص ٣٩٩-٤٠٢، ٤٦٠-٤٦١؛ ط. داود، ج٤/ق٢، ص١٣٦، ١٤٠-١٤٤، ١٥٧، ١٦١. الكندي، **كتاب الولاة والقضاة**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨، ص٢٨٦- ٢٩٠.

[٥٨] اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ص ٣١٤. Marius Canard,**Sayf al- Dawla**,p p.26-30.
[٥٩] الهمداني، محمد بن عبد الملك، **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق البرت كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط.٢ بيروت ١٩٦١، ج١/١٤٦. ابن العديم، **زبدة حلب**، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق، ١٩٥١، ج١/ص ١١٣-١١٩. اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ص ٣١٢.
Canard,op.cit.,p. 26-30.

الامر إلى اعطاء سيف الدولة البلاد الواقعة بين جوسية وحمص وما وراءها، ويكون للاخشيد من دمشق إلى آخر اعمالها، وتكون فاطمة ابنة الاخشيد زوجة لسيف الدولة؛ وكان هذا الصلح بسبب تعاظم الهجمات البيزنطية على البلاد. وطبعا، كانت مدن لبنان من نصيب الاخشيد[٦٠]. ولم يمنع هذا الصلح سيف الدولة من الاغارة على عرقا في سنة ٣٢٤هـ[٦١]. وفي عهد الحسن بن عبيدالله بن طغج ورد القرامطة إلى دمشق ووقعت الحرب بينهم وبين الحسن سنة ٣٥٧ هـ فكان نصيب الاخير الهزيمة[٦٢].

وشهد لبنان، على زمن الاخشيديين، حملة بيزنطية بقيادة الفسيلفس نقفور فوكاس Niképhoros Phokas(٩٦٣-٩٦٩) سنة ٣٥٧-٣٥٨هـ/٩٦٨م، وكانت الدولة الاسلامية ضعيفة بسبب تنافس الفاطميين والاخشيديين والبويهيين والحمدانيين على اقتسامها. وصل نقفور إلى حلب فمعرّة النعمان فكفرطاب فشيزر فحماة فحمص التي اخذ منها رأس القديس يوحنا، فعرقا في لبنان ، فأسر اهلها بعد حصارها تسعة ايام، واخذ خلقا ومالا كثيرا، واسر امير طرابلس ابا الحسن احمد بن نحري الارغلي، الذي كان قد طرده اهل طرابلس منها لجوره، وكان موسرا، ثمّ وصل إلى طرابلس فحاصرها برّا وبحرا ولم يفلح بأخذها ، فخرّب القرى والمدن في جوارها، وفي ساحل اللاذقية، وبعد رحيله عاد المسلمون إلى عرقا فسكنوها[٦٣]. ويذكر الهمداني، انّه اخذ من بلدان الساحل مائة الف شاب وشابة[٦٤]!.

وما ان ارتاح الاخشيديون، نسبيا، من الصراع مع البيزنطيين، حتى كان الفاطميون يعدّون العدّة للإجهاز عليهم، بعد وفاة كافور، الخصي الاسود الذي كان قد اغتصب السلطة وحكم باسمهم، عندما ارسل الخليفة الفاطمي المعزّ قائد جيشه، جوهر الصقلي، إلى مصر فقضى على الحكم الاخشيدي سنة ٣٥٨هـ/٩٦٩م. ومن مصر ارسل احد قوّاده جعفر بن فلاح للسيطرة على بلاد الشام، فدانت له مدن

---

٦٠ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/١٤٧. ابن الاثير، **الكامل في التاريخ**،ط. محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٧، ج٧/٢٠٣. ابن العديم، المصدر المذكور، ج١/ص ١١٣-١١٩ اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ص ٣١٢. تدمري، المرجع المذكور، ص١٣٥.
Canard, op. cit.,p.26-3o.

٦١ الانطاكي، سعيد بن يحيى، **تاريخ الانطاكي**، المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس-لبنان، ١٩٩٠،ص ٨٣.

٦٢ الانطاكي، تاريخ، المصدر نفسه، ص ١٢٨.دي خويه، المرجع المذكور، ص٥١.

٦٣ الانطاكي، تاريخ،ص ١٢٥-١٢٧. الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/٢٠١. ابن الاثير، الكامل،ج٧/٣١٣. ابن العديم، زبدة، ج١/ص١٥٨. ابن العبري، تاريخ، ص٦٦.ابن شدّاد، الاعلاق، ج٢ -ق٢/٩٣. ابن كثير، البداية، ج١١/٢٢٦-٢٢٧. النويري، نهاية ،ج٢٣/ص١٩٦-١٩٧. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٣٥١-٣٨٠هـ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي ١٩٩٣، ص٣٢. يوسف الدبس، من تاريخ سوريا، المرجع المذكور، نقلا عن شدرانس وزاناراس وبولس الشماس، م٥/٣٩٤-٣٩٥.اسد رستم، كنيسة مدينة الله انطاكية، المرجع المذكور، ج٢/١٥٢.

٦٤ الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/ص٢٠.

لبنان، ودخل دمشق في ٣٦٠هـ/٩٧١م[٦٥]. وكانت صور اولى المدن التي سقطت بيد الفاطميين[٦٦].

ثانيا -الأوضاع الادارية والاجتماعية والعمرانية والدينية والثقافية والاقتصادية

أ-التقسيمات الادارية

جمع ابو العباس واخوه المنصور بلاد الشام ومصر في ولاية واحدة، وعيّنا ابن عمّهما صالح بن علي(ت ٧٦٤م) حاكما عليهما، وبقي الحكام العباسيون من سلالة صالح هذا يتولون امر الشام ومصر مدّة من الزمن[٦٧].

كانت صور تابعة لجند الاردن كما في العهد الأموي. وبها دار الصناعة وهي حصينة[٦٨]. وصور منبرها إلى دمشق وخراجها إلى الاردن[٦٩].

اما باقي المناطق في لبنان فكانت تابعة لكورة دمشق واقليمها: مدينة بعلبك والبقاع، اقليم لبنان(أي الجبل)، كورة جونية، كورة طرابلس، كورة جبيل، كورة بيروت، وكورة صيدا[٧٠]. ويذكر المقدسي عرقا وكامد اللوز وعجرموش كمدن مهمة[٧١]. ويورد ابن الفقيه الهمذاني انّ دمشق مدينتها الغوطة وكورها: سنير وجبيل وبيروت وصيدا وسهل البقاع، والسواحل منها: صيدا وبيروت واطرابلس وعرقا وصور. اما كور الاردن: طبرية... وكورة صور[٧٢].

لايسعنا ذكر كلّ الذين كانوا عمالا على المدن والكور اللبنانية، ونتوقف عند اشهرهم:

-زرافة وليو وقد اتينا على ذكرهما.

-عبيدالله بن خراسان الذي ذكره المتنبي في مدائحه عند زيارته المدينة[٧٣].

-محمد بن رائق الذي تولىّ الشرطة في بغداد ثمّ قيادة الجيش في عهد الخليفة الراضي ثمّ عمالة مناطق فضمّ اليه الشام بما فيه لبنان سنة ٣٢٧هـ/٩٣٨[٧٤].

---

[٦٥] تدمري، المرجع المذكور،١٣٩. الشرق العربي، المرجع المذكور، ص ٢٦٣-٢٦٤-١٤١.

[٦٦] الانطاكي، تاريخ،ص ١٤٤-١٤٥ .

[٦٧] الصليبي، المرجع المذكور، منطلق، ص ٥٣.

[٦٨] اليعقوبي، البلدان، ص ٣٢٧. ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، ويليه كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، دار المدينة، نقلا عن طبعة دي غويه ،ليدن، بريل ١٨٨٩ ص ٧٧، ٧٨، ٢١٩.

[٦٩] ابن الفقيه الهمذاني، البلدان،ط. صادر ، ص١٠٥.

[٧٠] ابن خرداذبه، المسالك، ص ٧٧، ٢١٩،٧٨.

[٧١] المقدسي، **احسن التقاسيم**،ط.مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧، ص ٤٤.

[٧٢] ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ط.صادر ،ص ١١٦،١٠٥.

[٧٣] **ديوان ابي الطيّب المتنبي**، نشر مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي، مصر ١٩٣٦، ج١٨٥/٢.

-ابراهيم بن كيغلغ الذي ولاّه الخليفة المقتدر على صيدا والسويدية واللاذقية وجبلة[75]. واسحاق بن ابراهيم بن كيغلغ، من العهد الاخشيدي، وهو الذي هجاه المتنبي[76].
-بدر بن عمار، الذي كلّف بحكم الساحل وجند الاردن، وكان مركزه بصور[77].

ب-الأوضاع الاجتماعية

١- اوضاع اهل الذمّة

١ً-في عهد المنصور

اتخذت في ظلّ حكم المنصور (٧٥٤-٧٧٥) اجراءات تمييز ضدّ المسيحيين فتعرضوا فيها لحقبة سوداء ولكل انواع التنكيل. ويسرد المؤرخ البيزنطي تيوفانس(ت ٨١٨) قائمة بمثل هذه الاجراءات ومنها: سنة ٧٥٧: حظر بناء كنائس جديدة ونشر الترانيم خارج جدران الكنيسة ومجادلة المسلمين.
سنة٧٥٨: اخضاع الرهبان للجزية.
سنة ٧٦٠: اقصاء النصارى عن الكتابة في ديوان بيت المال ثمّ اعادتهم اليه.
سنة ٧٦٧: امر بنزع الصلبان عن قبب الكنائس، وباقامة الشعائر الدينية ليلا ومنع تعلمّ آلاداب النصرانية.
سنة ٧٧٠: امر بحلق اللحى وباعتماد قلانس طول الواحدة منها ذراع ونصف.
سنة ٧٧٣: امر بوسم اليهود والنصارى بالحديد الحامي، فهرب هؤلاء إلى الاراضي البيزنطية نتيجة لذلك[78].
والمقصود هنا بالادآب النصرانية اليونانية. وقد مسّت هذه الاجراءات المناطق التي كانت سابقا للبيزنطيين، كما انّ الخوف من أصحاب الفتن في هذه المناطق كان يسوّغ هذه الاجراءات. واذا كان لا سبيل لانكار الاذلال في مثل هذه الاجراءات، فالعلامات المميزة لم يكن لها وظيفة غير تلك التي يدّل عليها لفظها، ولم يكن المنصور بالمسلمين ارفق[79].

---

[74] الصولي، ابي بكر محمد(ت٣٣٥هـ)، **اخبار الراضي بالله**، نشر هيورث، ط. الصاوي، القاهرة ١٩٣٦، من ص٣٨ إلى ٢٦٠ وبخاصة ٢٢٦- ٢٣٠. المسعودي، مروج، ج٤/٢٨١؛ ج٥/٢٣٢، ٢٤٣، ٢٦٩، ٢٧١. الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/١١٧.
[75] ابن شاكر الكتبي، فوات الوفيات، م١/٤٣. الكندي، الولاة والقضاة، ص٢٩٠.
[76] ديوان المتنبي، تحقيق السقا، ج٢/٣٥٩-٣٦١. ابن خلكان، وفيات الأعيان، تحقيق احسان عباس، ٨ مجلدات، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨، م ٥/٦٣.
[77] ديوان المتنبي، ط. السقا، ج٢/٣٨١-٣٨٢.
[78] موريس فييه، **احوال النصارى في خلافة بني العباس**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٠، ص٥٨-٥٩.
[79] فييه، المرجع نفسه، ص ٥٩.

الاجراءات التي تنسب إلى خلافة المهدي(١٥٨-١٦٩هـ/٧٧٥-٧٨٥م)تبيّن انّ عددا منها يرقى إلى عهد المنصور[٨٠].

وعلى هامش هذه العلائق الذميّة، يستوقفنا الدور الشديد للكنيسة في هذه الآونة في ممارسة سلطتها على رعيتها. ففي ٧٥٥ اعلنت الكنيسة كلّها الحرم على نيكيتا اسقف هليوبوليس(بعلبك)[٨١].

٢ً-في عهد الرشيد

اول تنظيم لاحوال اهل الذمّة يعود إلى القاضي ابي يوسف يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الانصاري، المستشار القانوني لجعفر البرمكي، والذي خلع عليه الخليفة الرشيد لقب قاضي القضاة، لاول مرّة في الاسلام، وكلّفه تأليف كتاب في القانون هو كتاب "الخراج"، وفيه يعالج الاحوال الواجبة في معاملة المسيحيين. ويطلعنا النصّ على مقدار ما يجب ان تدفعه كلّ طبقة من طبقات المجتمع النصراني: الصيارفة وتجار النسيج واصحاب الضياع والتجار والاطباء يدفعون ٤٨ درهما في السنة. امّا التجار الصغار واصحاب الحرف كانت جزيتهم بين ٤٨ و٢٤ درهما سنويا. امّا العمّال فيدفعون ١٢ درهما[٨٢]. ولم يكن يسمح للمسيحيين بالاقامة في مدن المسلمين واسواقهم. ويسمح بترميم الكنائس ويحظر احداث أي منها. كما يجب ان لا تظهر الصلبان في العلن. ويفاجئنا الكتاب بفصل ينطوي على اذلال في معالجة لباس اهل الذمّة وزيّهم اذ يوصي بين العام ٧٨٦و ٧٩٨م، في خلافة الرشيد، بان لا يترك احد منهم يتشبّه بالمسلمين في لباسه ولا في مركبه ولا في هيئته الخ...فعندما تصلبّت العقيدة تطورت هذه الاجراءات التمييزية المذلّة على صعيد المعاملة اليومية وفي التحيّة والشراء والبيع والزواج والوصاية والارث[٨٣].

وفي رمضان ١٩١هـ/نيسان٨٠٧ اصدر الرشيد اوامره من الرقة بهدم الكنائس بالثغور، واخذ اهل الذمّة، حتى في بغداد، بمخالفة هيئة المسلمين في لباسهم ومركوبهم[٨٤]، ولكن جبرائيل بختيشوع جرّه إلى إبطال ذلك. وكان سبب حنق الرشيد الهزيمة التي اوقعه فيها نقفور قيصر الروم سنة ٨٠٦م[٨٥].

٣ً-في عهد المأمون والمعتصم

المأمون(١٩٨-٢١٨هـ/٨١٣-٨٣٣) صرف كلّ من كان في خدمته من الذميين وسجن الفين وثمان مائة منهم، تطبيقا للآية القرآنيةالتي تقول:"ايها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى، اولياء، بعضهم اولياء بعض، ومن يتولهم منكم

---

[٨٠] فييه، المرجع نفسه، ص ٧٢.

[81] Theophanes, op. cit. p. 118.

[٨٢] فييه، المرجع نفسه، ص٨٦.

[٨٣] فييه، المرجع نفسه، ص٨٧.

[٨٤] الطبري، تاريخ،ج١٠/ص ١٠٠.

[٨٥] فييه، المرجع نفسه، ص ٩٤.

فانه منهم". وفي عام ٢٢٣هـ/٨٣٨م سعى ابو داوود بن المعتصم(٢١٨-٢٢٧هـ/٨٣٣-٨٤٢م) الذي يعدّه ميخائيل السوري " عدوّ النصارى" إلى استصدار امر من ابيه يحظّر الاحتفالات الكنسية وما يرافقها[٨٦].

٤ً-في عهد المتوكل

في شوال سنة ٢٣٥هـ/١٨ نيسان -١٦ ايار ٨٥٠ م امر المتوكل"بأخذ النصارى واهل الذمّة كلّهم بلبس الطيالسة العسلية والزنانير وركوب السروج بركب الخشب وبتصيير كرتين على مؤخرة السروج وبتصيير زرّين على قلانس من لبس منهم قلنسوة مخالفة لون القلنسوة التي يلبسها المسلمون وبتصيير رقعتين على ما ظهر من لباس مماليكهم مخالف لونهما لون الثوب الظاهر الذي عليه وان تكون احدى الرقعتين بين يديه عند صدره والاخرى منهما خلف ظهره وتكون كلّ واحدة من الرقعتين قدر اربع اصابع ولونهما عسليا ومن لبس منهم عمامة فكذلك يكون لونها لون العسلي ومن خرج من نسائهم فبرزت فلا تبرز الاّ في ازار عسلي وامر بأخذ مماليكهم بلبس الزنانير وبمنعهم لبس المناطق. وامر بهدم بيعهم المحدثة وبأخذ العشر من منازلهم وان كان الموضع واسعا صيّر مسجدا وان كان لا يصلح ان يكون مسجدا صيّر فضاء . وامر ان يجعل على ابواب دورهم صور شياطين من خشب مسمورة تفريقا بين منازلهم وبين منازل المسلمين ونهى ان يستعان بهم في الدواوين واعمال السلطان ...ونهى ان يتعلّم اولادهم في كتاتيب المسلمين ولا يعلّمهم مسلم. ونهى ان يظهروا في شعانينهم صليبا وان يشملوا في الطريق وامر بتسوية قبورهم مع الارض"[٨٧].

الظروف التي دعت إلى هذه الاجراءات غير واضحة، ولعلّها عائدة إلى تكاثر الذميين في الدواوين[٨٨].

وفي عهد المتوكل في ٢٤٠هـ الزم اهل الذمّة بتعليم اولادهم العبرانية والسريانية ومنعوا من العربية ونادى المنادي بذلك فأسلم منهم خلق كثير[٨٩].

٥ً-في عهد المقتدر(٢٩٥-٣٢٠هـ/٩٠٨-٩٣٢م)

ابعد النصارى واليهود عن كتابة الدواوين وفرض عليهم لبس الغيار وغيره من الاجراءات المعروفة[٩٠].

ويطرح موريس فييه Fiey مسألة الشروط العمرية، وصحة نسبتها إلى عمر بن الخطاب او إلى عمر بن عبد العزيز، وهو يرى انها وثيقة ترقى إلى القرن الرابع للهجرة لا إلى العهود الاولى للاسلام، وقد لا نجدها للمرّة الاولى، وفي صيغة اقلّ

---

[٨٦] فييه، المرجع نفسه، ص١١٨،١٢٨.

[٨٧] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص ٤٨٧. الطبري، تاريخ، ج١١/ص ٣٦.

[٨٨] فييه، المرجع نفسه، ص ١٤٠.

[٨٩] ابن الجوزي، عبد الرحمن بن علي، عجائب البدائع، المخطوط المذكور، ص ٢٥.

[٩٠] فييه، المرجع نفسه، ص ١٩٢.

تفصيلا، الاّ لدى ابن حزم الاندلسي. أليس من الممكن ان يكون النصّ قد خرج من بعض اروقة عصر المتوكّل ؟[91].

يخلص موريس فييه في تقييم عام لاوضاع النصارى في عهد بني العباس إلى ان شماتة النصارى السريان بدولة بني العباس لا تترك شكا في حقيقة مشاعرهم تجاه نظام تمييزي وظالم. يبدو ان المسيحيين لم يتعرضوا للاضطهاد الحقيقي، الا نادرا. لقد عانوا آثار الاحداث التي كان وراءها مسيحيون. ومن أهمّ العوامل التي ادت إلى ضمور وجودهم الضغط الاجتماعي والاقتصادي والتمييز ومعاملتهم كهامشيين من دون تكافؤ فرص وحقوق المساواة في المواطنية. ومفهوم اهل الذمّة الشرعي (غير القرآني)الذي احلّ محلّ مفهوم اهل الكتاب، انما هو مفهوم ساساني[92].

ج- الأوضاع العمرانية

١-صورة لبنان

صورة لبنان، كما تَصوّرها مؤرّخو وكتّاب العصر العباسي، كانت صورة لها قدسيتها. فهو احد جبال الجنّة واحد الجبال التي تحمل العرش يوم القيامة واحد اربعة او خمسة جبال بني منها البيت الحرام[93]. وانّ البيت الحرام بني من خمسة احجار، واحد منها من لبنان[94]. ويصفون لبنان بجبل العبّاد والابدال[95]. كما يصفونه بجبل الثمر والفواكه وعيون الماء العذب[96]. وقد تغنّى به العديد من شعراء العصر العباسي كأبي تمّام والبحتري وابن الزبير والمتنبي واحمد الضبّي وابي الفتوح مصور البيني[97].

---

[91] انظر وجهة نظر فييه المهمّة جدا، المرجع نفسه، ص ١٤١-١٤٢.

[92] فييه، المرجع نفسه، ص٣٨٣-٣٨٦.

[93] الطبري تاريخ، ج١/ ص٦٢. ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١١٢ . ابن عساكر ، تارخ دمشق، تحقيق المنجّد، ج٢/ ص ١٢٠-١٢٤؛ ط. دار الفكر، ج٢/٣٤٧-٣٥٠؛ تهذيب، ج١/ ص ١٠٥،١٩، ٢٣٩-٢٤٠.

[94] الطبري، جامع البيان عن تأويل القرآن، دار المعارف بمصر، ج٣/٥٧-٥٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر،ج٢/٣٤٧.

[95] ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١١٢ . ولم تكن صفة الابدال مقتصرة على جبل لبنان، بل كان هؤلاءء ايضا في جبل اللكام، ويشير إلى ذلك العديد من المؤرخين والجغرافيين العرب، ومنهم المقدسي، احمد بن محمد بن شهاب الدين، **كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**، مخطوط رقم ١٦٦٧، المكتبة الوطنية في باريس، الذي يذكر ان في الشام يوجد الابدال وسكناهم بجبل اللكان ويقال اللكام وبجبل لبنان، ص ١٨.

[96] ابن الفقيه الهمذاني، البلدان، ص١١٢ .

[97] ابو تمّام ، **ديوان الحماسة**، مصر ١٩٥٥، ج٢/ص ٥٢٥. الزبير ابن بكّار ، **جمهرة نسب قريش**، القاهرة ١٣٨١هـ، ج١/ص ٢١٧. ديوان المتنبي، ط. صادر بيروت، ص ١٢٦. الشتري، النضيرة في محاسن اهل الجزيرة ، دار الثقافة١٩٧٠، ص ٨٨-٨٩.

اعتمد اسم لبنان كمدلول جغرافي [٩٨]، وقد ورد معنا اسم لبنان وجبل لبنان في نصوص البلاذري وغيره. وقال عنه ابوالفرج الاصفهاني: سمعت رجلا من الحاج في الموسم يذكر لبنان، فقلت: ما لبنان؟ فقال : جبل بالشام[٩٩]. وذكر الثعالبي، انّ جبل اللكام هو من الشام يتّصل بحمص ودمشق ويسمّى هناك لبنان ثمّ يمتدّ من دمشق فيتصل بجبال انطاكيا والمصيصة ويسمى هناك اللكام[١٠٠]. وبالنسبة إلى ابن الفقيه الهمذاني: " جبل العرج الذي بين المدينة ومكّة يمضي إلى الشام ويتصل بلبنان من حمص" [١٠١]. وذكر الاصطخري " وبين ثغور الشام وثغور الجزيرةجبل اللكام... هو جبل داخل في بلد الروم... إلى ان يجاوز اللاذقية ثمّ يسمى جبل بهراء وتنوخ إلى حمص ثمّ يسمّى جبل لبنان" [١٠٢]، وسنرى لاحقا خريطة ابن حوقل التي تظهر جبل لبنان ومدن لبنان الساحلية.

ووصف العرب تفاح لبنان، كما سنرى ذلك لاحقا، ووصفوا لبنان. فقال البحتري:

تلفت من عليا دمشق ودوننا   للبنان هضب كالغمام المعلّق[١٠٣]

وقال الشاعر الحسن بن زين الدين الشهيد المشهور بالشامي:

لا يسكن الوجد ما دام الشتات ولا   تصفو المشارب لي الا بلبنان[١٠٤]

ويقول الشاعر احمد بن حسين بن حيدرة المعروف بالخراساني الطرابلسي:

ولا تعتبوني اذا خرجت مغاضبا   فمن بعض ما بي ساحل الشام يغضب

وكيف التلذاذي ماء دجلة معرقا   وامواه لبنان الذ واعذب[١٠٥]

وكان لبنان حاضرا في اشعار المتنبي

ففي قصيدة يمدح فيها الحسين بن اسحاق التنوخي يقول:

بيني وبين ابى على مثله   شمّ الجبال ومثلهنّ رجاء

وعقاب لبنان وكيف بقطعها   وهو الشتاء وصيفهنّ شتاء

لبس الثلوج بها علىّ مسالكى   فكأنّها ببياضها سوداء[١٠٦]

---

[٩٨] يمكن تتبع مفهوم مصطلح لبنان من خلال اطروحة دكتوراه للدكتور انطوان خوري حرب نوقشت باشرافي في جامعة الروح القدس ، ونشرت بعنوان: **لبنان ، جدلية الاسم والكيان عبر ٤٠٠٠ سنة**، منشورات مؤسسة التراث اللبناني، بيروت٢٠٠٠.

[٩٩] ابو الفرج الاصفهاني، **كتاب الاغاني**، ورد ذكر ذلك في الكلام على المدن في العهد الأموي.

[١٠٠] الثعالبي، ابو منصور عبدالله(ت٤٢٩هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، مصر ١٩٦٥، ص ٢٣٣.

[١٠١] الهمذاني، البلدان، ط. ليدن، ص٢٥،٢٩٥. راجع ايضا ص١٢٣ .

[١٠٢] الاصطخري، ط.دار صادر، ص٥٦ .

[١٠٣] حرب، المرجع المذكور، ص ١٥٧ .

[١٠٤] حرب، المرجع المذكور، ص١٥٧ .

[١٠٥] حرب، المرجع المذكور، ص١٥٧.

وفي قصيدة يمدح بها عبيدالله بن خراسان الطرابلسي يقول في مطلعها:

اظبية الوحش لولا ظبية الانس ... لما غدوت بجد في الهوى تعس

ثمّ ينهيها بقوله الذي يمدح به طرابلس:

لوكان فيض يديه ماء غادية ... عزّ القطافي الفيافي موضع اليبس

اكارم حسد الارض السماء بهم ... وقصرت كلّ مصر عن طرابلس[107]

ويمدح بدر بن عمار الذي ورد اليه كتاب باضافة الساحل إلى سلطته، فتستحوز مدينة صور على المديح ايضا:

نهنىّ بصور او نهنئها بك ... وقل للذي صور وانت له لكا

وما صغر الاردن والساحل الذي ... حبيت به الاّ إلى جانب قدركا[108]

وذكر ابو الفرج الاصفهاني نبيذ بيروت فقال:

سبيئة من قرى بيروت صافية ... عذراء او سبئت من ارض بيسان[109]

وطبعا كان لاسحاق بن كيغلغ، الذي حكم طرابلس، نصيبه من شعر المتنبي، ولكن هجاء[110].

واورد العماد الاصفهاني شعرا للبحتري يقول فيه:

وتعمّدت ان تطل ركابي ... بين لبنان طلعا والسنير

شرفات على دمشق وقد ازهى ... بها بياض تلك القصور[111]

وقال فيه الزبير ابن بكار في معرض رثاء احدهم:

لو كان لبنان زال لهاضه ... وزلزل من لبنان فرع ومنكب[112]

٢-وصف المدن

لا نجد عن مدن لبنان في هذه الفترة الاّ وصفا سطحيا لا يساعد على اعادة ترميم صورة المدينة، التي نشتمّ من وصف الجغرافيين لها انّها كانت اقرب إلى البلدة الكبيرة منها إلى المدينة. وهذه المدن كانت تعيش وسط اسوارها في حقول المزروعات التقليدية وتمارس فيها بعض الحرف والصناعات الغذائية. واليك ما تقدّمه المصادر من معلومات ضحلة عن هذه المدن:

---

[106] **ديوان ابي الطيّب المتنبي**، نشر مصطفى السقا وغيره، طبعة البابي، مصر ١٩٣٦. ج١/١٨.

[107] ديوان المتنبي، المرجع نفسه، ج٢/١٨٥-١٩٠.

[108] ديوان المتنبي، المرجع نفسه، ج٢/٣٨١-٣٨٢.

[109] ابو الفرج الاصفهاني، دار الكتب المصرية،ج٢/٢٥٦، ٢٦٠.

[110] ديوان المتنبي، المرجع نفسه، ج٢/٣٥٩-٣٦١.

[111] العماد الاصفهاني، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ط. فيصل، دمشق ١٩٦٨، ص٢٦ حاشية ١٠.

[112] الزبير بن بكار، جمهرة نسب قريش، المصدر المذكور، ج١/٢١٧.

-عرقا، حصينة داخل الحصن مزارع[113].

-طرابلس مدينة عامرة، ذات نخل ، وقصب سكر وخصب. وهي حصينة واجلّ من بيروت وصيدا[114]. يعيش اهلها تعايشا لا تفرقة فيه بين مسلم ومسلم ونصراني او يهودي[115].

-جبل لبنان كثير الاشجارو الثمار. يتعبّد عنده اقوام بنوا لانفسهم بيوتا من القش، وفيه القصب الفارسي والمرسين. واخصاصا من القصب والحلفاء يلقونه بالماء حتى يحلو ثمّ اذا جفّ طحنوه وخبزوه واخلطوا عليه شيئا من شعير، وبه معدن حديد[116]. وقد اوردنا سابقا ذكر المسعودي لوجود الموارنة في جبل لبنان[117]. وفي الجبل العيون العذبة واشجار كثيرة تشتمل على الثمرات ولا سيّما التفاح اللبناني... والابدال يتقوتون منها ومن السمك[118].

-جونيه من اعمال طرابلس وبها محدّثون مسلمون[119].

-بيروت، مدينة خصبة وبها من النخل وقصب السكّر والغلات المتوافرة وتجارات البحر عليها دارّة واردة وصادرة. حصينة، جيدة الاهل مع منعة فيهم من عددهم وصلاح في عامة امورهم. وهي فرضة بعلبك وبها يرابط اهل دمشق وسائر جنودها. وليسوا كأهل دمشق في جفاء الاخلاق وغلظ الطباع[120]. ويقال ان زبيدة زوجة هارون الرشيد امرت بجرّ المياه إلى بيروت بالقناطر الرومانية التي لا تزال تحمل اسمها[121].

-صور ، دار الصناعة حصينة ومن أحصن الحصون التي على شاطىء البحر، عامرة خصبة، يدخل اليها من باب واحد على جسر واحد، ونصفها الداخل حيطان ثلاثة بلا أرض، تدخل اليه المراكب كلّ ليلة، ثمّ تجرّ السلسلة، ولهم ماء يدخل في قناة معلّقة. وهذه المياه تحصر (لعله يقصد حصر البول). وهي منيعة يستدير الحائط حول مينائها. وبها صنائع ولهم خصائص، ومنها اكثر سكر الشام، وفيها مزارع قصب كثيرة. ومنها الخرز والزجاج المخروط والمعمولات[122]. ولها مكاييل خاصة

---

[113] المقدسي، احسن التقاسيم، ص ٤٤.

[114] الاصطخري، مسالك، ط.صادر ص ٦١. الاقاليم، ص ٣٢-٣٥. المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم، ص ١٤٠ .

[115] ابن عساكر، تهذيب، ج٤/ص ٢٣٤.

[116] المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم،ص١٥٨،١٦٢.

[117] المسعودي، التنبيه والاشراف، ص١٤٧.

[118] الثعالبي، ثمار القلوب، ص٣٠٤.

[119] ابن عساكر، تهذيب، ج٢/ص ٦٧.

[120] ابن حوقل، كتاب صورة الارض، جزءان،ط.صادر نقلا عن ط. ليدن ١٩٢٨،ج١/ص١٧٥-١٧٦.

[121] مكي، المرجع المذكور، ص٧٥.

[122] الاصطخري، مسالك، ط.صادر،ص٥٩.الاقاليم، ص ٣٢-٣٥. المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم ص١٤٢. ابن حوقل، صورة،ط.صادر،ج١/ص١٧٤.

بها كالقفيز ٣/٢ المدّ في ايليا، والصاع مكيال للقمح.كيلجة ايليا صاع ونصف صوري[١٢٣]. وكما ذكرنا سابقا عن العهد الأموي كان للفرس في صور مسجدكان امامه في العهد العباسي ابراهيم بن اسحاق بن احمد المقرئ[١٢٤].

-جبل عاملة، ذو قرى نفيسة، واعناب واثمار وزيتون والسعتر، وعيون المطر تسقي المزروعات، يطلّ على البحر ويتصل بجبل لبنان، وفيه خير العسل[١٢٥].

-الجش(حاليا من القرى التي تحتلها اسرائيل)، قرية قريبة من القصبة، موضوعة بين أربعة من الرساتيق قريبة من البحر[١٢٦].

-بعلبك، مدينة كثيرة الخير والغلاّت والفواكه الجيدة. واهلها ليسوا كأهل دمشق من جفاء الاخلاق وغلظ الطباع. ومنها الملابن[١٢٧]. وفيها مزارع وعجائب معسدن الاعناب[١٢٨]، وهي بنظر المقدسي اشدّ اقاليم الشام بردا[١٢٩]. وداخلها الاجنة والبساتين[١٣٠]. وفي باب تعداده الثغور البحرية يأتي قدامة بن جعفر على ذكر حصن الصرفند وعدلون[١٣١]، مما يعني انّه كان لهما دور معين. وفي معرض ذكره المدن الساحلية، يذكر ابن حوقل، بالاضافة إلى ما ذكر اعلاه، كلا من الجيّه والناعمه وجونيه والماحوز(أي الصفرا) وانفه والقلمون، واللبوه في البقاع[١٣٢] مما يشير إلى ان هذه المدن كان لها دور لا يزال مغمورا.

د-الأوضاع الدينية

١-الإمام الأوزاعي ومذهبه

هو ابوعمرو عبد الرحمن بن عمر بن محمد، المعروف بالأوزاعي، نسبة إلى قبيلة أوزاع، من عرب اليمن، أو سبي اليمن المتوطنين بلاد بعلبك في عهد عبد الملك بن مروان. كانت ولادته ببعلبك سنة ثمان وثمانين للهجرة، ومنشؤه بالبقاع، ثمّ نقلته أمّه إلى بيروت، وكان فوق الربعة خفيف اللحية به سمرة. تنقّل بين مختلف أقطار الشرق الإسلامي طلبا للعلم، واستقرّ أخيرا ببيروت، وعاش فيها إلى أن

---

[١٢٣] المقدسّي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم،ص ١٤٢،١٥٨.
[١٢٤] ابن عساكر، تاريخ، ج٦/٣٥٦.
[١٢٥] المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم، ص١٤١،١٥٨.
[١٢٦] المقدسي، احسن التقاسيم، ط. مخزوم، ص١٤٢.
[١٢٧] ابن حوقل، صورة الارض، ط.صادر،ص١٧٥. المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم،ج١/ص١٥٥.
[١٢٨] المقدسي، احسن التقاسيم، ط. مخزوم، ص ١٤٠.
[١٢٩] المقدسي، احسن التقاسيم، المصدر نفسه، ص١٥٣.
[١٣٠] اليعقوبي، بلدان، ص٣٢٥.
[١٣١] قدامة. ط.ليدن،ص٢٥٥.
[١٣٢] ابن حوقل، صورة الارض،ج١/ص ١٦٥-١٦٦.

توفي سنة سبع وخمسين ومائة(١٥٧هـ/٧٧٤م.) في أواخر عهد أبي جعفر المنصور. ودفن في محلة " حنتوس" التي ستحمل اسم الأوزاعي في ضاحية بيروت الجنوبية. درس الأوزاعي على يحيى بن كثير وسمع من الحسن البصري وابن سيرين. سمع في البصرة من قتادة وفي الكوفة من عامر الشعبي وفي مكة من بن ابي رباح وفي المدينة من ابن شهاب الزهري ومن نافع المدني وفي دمشق من المكحول الشامي وغيرهم. وكان له اتصالات بالامام مالك بن أنس والإمام سفيان الثوري، وكانت له مناقشات مع ابي حنيفة. وكان اماما محدّثا متخصصا بالسنة النبوية، وفقيه مذهب من اهل الحديث لا من اهل الرأي[١٣٣] ولم يكن قدريا[١٣٤]. وينسبه الذهبي إلى سبي السند ويشير إلى قول البخاري انّه لم يكن من الأوزاع بل نزل فيهم[١٣٥].

كان الأوزاعي إمام أهل الشام وعالمهم في زمانه. قيل أنّه أجاب في سبعين ألف مسألة شرعية. وروي عنه ستون الف مسألة. وافتى وهو بعمر خمس وعشرين سنة. وكان أمره في الشام أعزّ من أمر السلطان، واعتبر عالم الأمة، واستمرّ مذهبه قرابة قرنين من الزمن حتى منتصف القرن العاشر الميلادي، وآخر من عمل بمذهبه القاضي احمد بن جندلم(والصحيح ابن خرّام)[١٣٦]. اسس مدرسة فقهية سنيّة خاصة به، اعتمدت سننها في المشرق العربي طيلة قرنين من الزمن كما في الاندلس قرابة نصف قرن قبل ان تهيمن عليها مدرسة الشافعي. فقد تراجع مذهب الأوزاعي في الاندلس، بعد وصول عبد الرحمن الداخل بن معاوية بن هشام الأموي اليها[١٣٧]، اثر القضاء على الأمويين والمذبحة التي حلّت بهم ولم ينج منها الاّ عبد الرحمن.

كانت سلطته تفوق سلطة الخليفة. وعندما مرّ المنصور في بيروت سمع الأوزاعي يخطب في المسجد فأعجب به كثيرا. وقد استشاره بعد ذلك في بعض

---

[١٣٣] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، وهو يورد العديد من احاديث الأوزاعي ، ومن سماعه بخاصة عن مكحول. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥/١٤٧،١٥٤،١٥٧. ابن خلكان، وفيات، م٣/١٢٧-١٢٨. الذهبي، تاريخ الاسلام حوادث ١٤١-١٦٠، ط. ١٩٩٣، ص٤٨٣-٤٨٥. **تاريخ الخلفاء**، لتلميذ لليافعي، مخطوط رقم ١٥٩٤، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٦٥. راجع الأوزاعي بالتفصيل في الدراسة القيّمة لصبحي المحمصاني، **الأوزاعي وتعاليمه الانسانية والقانونية**، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧٨.

[١٣٤] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، ص٨٦.

[١٣٥] الذهبي، حوادث ١٤١-١٦٠، ص٤٨٤-٤٨٥.

[١٣٦] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، ص ٩٣ وغيرها. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٣٥/١٤٧. ابن خلكان، وفيات، م٣/١٢٧-١٢٨. ابن كثير، البداية، ج١٠/٩٤،٩٧. صالح بن يحيى، **تاريخ بيروت**، ص ١٣. الاهوال، الحسين، غربال الزمان، مخطوط رقم ١٥٩٣ ، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٥٤. تدمري، المرجع المذكور، ٢٣٠-٢٤٤. الصليبي، المرجع المذكور، ص ٥١-٥٣.

[١٣٧] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص١٣.

الامور[١٣٨]. وكان كما ورد في المصادر رأسا في العلم والعمل بارعا في الكتابة والترسّل. عالم الامة مجتهدا في العبادة يمضي الليل يصلّي[١٣٩].

استقرّ في بيروت حيث امضى اكثر وقته هو وعائلته واهله، معطيا للمدينة المذكورة، بوجوده فيها، مجدا جديدا في حقل القانون يضاف إلى مجدها السابق في عهد البيزنطيين في القانون الروماني.

تحوّل منزله الذي كان قائما في المحلة المعروفة ب " سوق الطويلة"، حيث يظنّ انّه سكن وحيث كرّست لاحقا قاعة على اسمه نتيجة لذلك، إلى مدرسة ومكان للعبادة، يؤمّه الناس من كلّ حدب وصوب للتعلّم منه وايجاد الفتاوى التي تجيب عن تساؤلاتهم؛ او طلبا للعدالة بواسطة رسائل يوجّهها إلى النافذين.

رفض الأوزاعي تبّوأ اعلىمناصب القضاء، ومارس حيادا تاما تجاه السلطات المتعاقبة والشيع الاسلامية.

اشتهر الأوزاعي بصفاته العلمية والخلقية: فكان تقيا، فاضلا،كريما، شريفا، متسامحا، كبير القلب والعقل، شغوفا بالعدالة والحرية ومدافعا مستميتا عنهما.

كان هذا الإمام انسانيا في تعليمه وفي مواقفه في الدفاع عن المضطهدين من غير دينه، وبرز ذلك بوضوح في دفاعه عن النصارى بوجه جور العباسيين، ولا سيّما منهم صالح بن علي الذي هجّرهم من ديارهم في جبل لبنان الاوسط اثر حادثة بسكنتا وثورة بندار.

ترك الأوزاعي آثارا مكتوبة كثيرة لم يصلنا منها الاّ ما بقي في متون كتب التاريخ والفقه[١٤٠].

عارض الأوزاعي الحكم العباسي، وهرب مختبئا منهم في جبل الجليل[١٤١]، وحاول العباسيون القبض عليه على يد والي الشام، اوقتله، مستغلّين فرصة الثورة في المنيطرة، ولكنه تردد في تحقيق ذلك خوفا من غضب اهل الشام[١٤٢]. وعندما استقرّ عبدالله بن علي في دمشق وكان في قمة الغطرسة بعد النصر، حاول استدراجه، في ظلّ اجواء مرعبة، إلى الجواب عن اسئلة تتعلّق بما فعله العباسيون بالأمويين ، بدمائهم واموالهم. فاحسن الأوزاعي الجواب من دون ان يعطي لعبدالله

---

[١٣٨] فيليب حتي، المرجع المذكور، ص ٣٢٨.

[١٣٩] اليافعي، مرآة، ج١/ص ٣٣٣

[140] Sobhi MAHMASANI, in **Le livre et le Liban,** PUB. De C. ABOUSSOUAN, UNESCO, PARIS, pp. 78-79.

وللمحمصاني دراسة في الأوزاعي هي من اهم ما كتب عنه:**الأوزاعي وتعاليمه الانسانية والقانونية**، بيروت ١٩٧٨ .

[١٤١] ياقوت، معجم البلدان ١٥٨/٢.ابن عساكر، تاريخ دمشق المخطوط، ١٣٧/٤٥، نقلا عن تدمري،ص١٢.

[١٤٢] ابن عساكر،تاريخ دمشق، ١٩٩/٢٣، نقلا عن تدمري، المرجع المذكور، ص٣٥.

تبريرا لما فعله العباسيون. وعندما حاول الأخير استدراجه اليه بتوليته على رئاسة القضاء رفض بلباقة[١٤٣].

مات مختنقا من الفحم الذي ادخلته له زوجته إلى الحمام في الشتاء. وعند وفاته حمله المسلمون إلى مثواه الأخير وسط مشاركة النصارى واليهود[١٤٤].

و لسنا نعرف بين فقهاء المسلمين من اظهر نبل العاطفة ما اظهره الأوزاعي في دعوته إلى الأخوّة الانسانية. فانّ معاصره العراقي ابا حنيفة(ت٧٦٩هـ)الذي يعتبر مذهبه من أكثر المذاهب الاسلامية سماحة، قد تغاضى عن قطع النخيل وغيره من الاشجار عند مقاتلة المشركين، ولكن الأوزاعي منع عملا كهذا. كان ابو حنيفة يحرّم اكل اللحم اذا كان من ذبح مرتدّ، وكان مرتدّا ذميّا، ولكنّ الأوزاعي كان يحلله. ولم يقرّ الأوزاعي بقتل الرهائن، الخ[١٤٥].

وكان الأوزاعي متقدّما على غيره من أئمة الاسلام في ما يخصّ سيرة النبي فقد سئل :" اكلّ ما جاءنا عن النبي نقبله؟ فقال: نقبل منه ما صدّقه كتاب الله عز وجلّ، فهو منه، وما خالفه فليس منه"، فقيل له: " انّ الثقات جاؤوا به. قال: فان كان الثقات حملوه عن غير الثقات؟[١٤٦]".

٢- إنتشار التشيّع في لبنان[١٤٧]

في العهد العباسي وبنتيجة الاضطهاد الذي لقيه الشيعة، هرب هؤلاء باتجاه سوريا ولبنان ومن بينهم فرقهم المتنوعة : الإسماعيلية والقرامطة والشيعة الإمامية والنصيرية واخيرا الدروز.

١ً-الإسماعيلية

تنتسب إلى الامام اسماعيل بن الامام السادس جعفر الصادق الذي توفي على حياة ابيه جعفر. واعتبر اسماعيل آخر الأئمة المنظورين، وتلته سلسلة من الأئمة غير المنظورين، الذين يتلقون الدعوة والوحي الالهي من إمام إلى آخر. وهؤلاء

---

[١٤٣] ابن عساكر،تاريخ دمشق المخطوط،٢٣/ ١٢٧نقلا عن تدمري، ص١٥. ابن كثير، البداية،ج١٠/٩٥-٩٦.ابن حجر، تهذيب التهذيب، ط. حيدر آباد١٣٢٦،ج ٢٣٨/٦-٢٤٢.

[١٤٤] ابن عساكر، تاريخ دمشق ، ج٣٥/ ٢٢٢،٣٧٥.ابن خلكان، وفيات، م١٢٧/٣-١٢٨. اليافعي، مرآة الجنان، ج١/ص ٣٣٣. تاريخ الخلفاء لتلميذ لليافعي، مخطوط رقم١٥٩٤، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٦٥. ابن كثير، البداية، ج٩٧/١٠. الرازي عبد الرحمن(ت٣٢٧)، ، الجرح والتعديل، ج١٩٣/١-١٩٥ . النووي، تهذيب الاسماء، ق١/ج٢٩٨/١-٣٠٠ . الحموي، محمد بن علي (القرن السابع/الثالث عشر)، مخطوط مختصر سير الاوائل والملوك ووصيلة العبد المملوك، مخطوط رقم ١٥٠٧، المكتبة الوطنية في باريس، وهو يعتبر الأوزاعي فقيها مصريا شاميا،ص ١٧١. تدمري، المرجع المذكور، ٢١٩.

[١٤٥] حتي، المرجع المذكور، ص٣٢٨-٣٢٩ .

[١٤٦] ابو زرعة، تاريخ، ط. دار الكتب، ص ٩٧.

[١٤٧] حول الوجود الشيعي في لبنان وبعض معتقدات فرقه، يراجع كتابنا **نيابة طرابلس في عهد المماليك**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٩٨.

الاسماعيليون يعملون على تأويل القرآن الكريم، وقد انقسموا عدّة شيع كان من بينها بالدرجة الاولى القرامطة والفاطميون الذين وحدهم من بين فرق الشيعة تمكنّوا من تأسيس دولة و"امبراطورية"[١٤٨]. فبعد موت جعفر الصادق في العام ١٤٨هـ/٧٦٥م بقي قسم من شيعته مؤيدا لحق ابنه اسماعيل وذريته في الإمامة رغم انّ الأخير توفي على حياة والده، مما جعل جعفر يعطي الامامة إلى ابنه موسى الكاظم. وقد ذهب بعض المشايعين لاسماعيل إلى انه لم يمت وأنه سيعود ليظهر كقائم وكمهدي، وكان آخرون يقولون بإمامة ابنه محمد[١٤٩]. الفرقة الاولى تعتقد بان جعفر اعلن وفاة ولده اسماعيل تقيّة منه لحمايته، وهي تسمّى ب "الإسماعيلية الخالصة"، والفرقة الثانية وتعرف ب "المباركية" وتعترف بأن محمد بن اسماعيل هو صاحب الحقّ الشرعي، وقد عيّنه في ذلك جعفر الصادق بنفسه. فعند وفاة محمد بن اسماعيل نحو ١٧٩هـ/٧٩٦م في اثناء خلافة هارون الرشيد، انقسم المباركية قسمين: قسم الاغلبية الذين رفضوا وفاة محمد وقالوا انه حيّ سيعود في المستقبل القريب وهو الامام السابع والاخير، وقسم اعترف بوفاة محمد وجعلوا الإمامة في ذريته، وهو ما سيقول به عبدالله (المهدي) المؤسس للفاطميين. ومع الوقت توافق قادة الإسماعيلية الخالصة وقسم الاغلبية من المباركية على انّ الوقت قد حان لاعلان مهدية محمد بن اسماعيل الذي حلّ محلّ ابيه كمهدي[١٥٠].

وليست لدينا معلومات مهمّة عن هذه الفترة الممتدّة من نشوء الإسماعيلية إلى القرن التاسع ميلادي. اذ ستظهر الإسماعيلية كتنظيم ثوري سرّي له نشاط محموم. فمنذ عام ٨٧٧-٨٧٨م بدأت الدعاية الإسماعيلية تزدهر على يد حمدان قرمط، يساعده في ذلك صهره عبدان، ودعي تلامذته قرامطة[١٥١]. وكانت الدعوة تمتد في بلاد فارس وجوارها على يد ابن حوشب وابي عبدالله الشيعي في المغرب التي وصل اليها في ٨٩٣[١٥٢]. و عندما اسس ابو سعيد الجنابي، تلميذ حمدان قرمط، دولة قرمطية في البحرين، كانت الدعوة الإسماعيلية تنتظم في قيادة مركزية واحدة موقعها الاهواز ثمّ البصرة، وفيما بعد في سلمية في سوريا. وكان الجميع يقرّون بأنّ محمد بن اسماعيل هو الإمام الذي اختفى والذي سيعود كقائم لحكم العالم. وبغياب الإمام كان زعماء الحركة يدعون انفسهم حجّة[١٥٣].

---

[148] R.Mantran,**l'expansion musulmane**, Paris 1969,p.184. Hamadé. op.cit.p.15.

[١٤٩] الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد كيلاني،جزءان،دار صعب، بيروت١٩٨٦، ج١/ص١٦٧، ١٩١.

W.Madelung, "Isma iliyya", **E.I.2**,t.IV,p.206.

[١٥٠] ايمن فؤاد سيّد، **الدولة الفاطمية في مصر**، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط ٢، ٢٠٠٠، ص ٩٥-٩٧

[151] Madelung, Ibid.

[152] Ibid, pp.206-207.

[153] Ibid, p.206-207.

في العام ٨٩٩م، عندما تسلّم عبيدالله المهدي زعامة الحركة في سلمية وقع انشقاق في الحركة بسبب مطالبة عبيدالله بالإمامة لنفسه ولأجداده، فنزع حمدان وعبدان دعمهما عنه، واغتيل عبدان على يد داع يدعى زكرويه. وكان عبيدالله يشكّ في صدق نوايا زكرويه، فترك سلمية، وسافر سرا إلى رقادة حيث سيؤسس الخلافة الفاطمية في ٩١٠م[١٥٤].

ينبغي التمييز في دراسة عقائد الإسماعيلية بين دعوتهم القديمة ودعوتهم الجديدة. وسيقتصر كلامنا على ومضات من الدعوة القديمة لأن الاخرى ستكون موضوع دراسة في جزء آخر عن فترة المماليك.

وقد لوّن الإسماعيلية عقائدهم ببعض كلام الفلاسفة فقالوا في الله انه لا نقول هو موجود، ولا موجود، ولا عالم ولا جاهل، ولا قادر ولا عاجز، وكذلك في الصفات جميعها. وهو ليس بقديم ولا محدث، بل القديم امره، وكلمته، والمحدث: خلقه وفطرته[١٥٥].

ابدع الله بالامر العقل الاول الذي هو تام بالفعل، ثمّ متوسطه ابدع النفس التالي الذي هو غير تام، وكان الانسان متميزا عن سائر الموجودات بالاستعداد الخاص لفيض الانوار[١٥٦]. وهذه النظرية دخلت إلى معتقدات الإسماعيلية في القرن العاشر الميلادي بتأثير النيو افلاطونية[١٥٧]. وفي العالم العلوي عقل، ونفس كليّ وحكمه حكم الشخص الكامل البالغ، ويسموّنه الناطق، و النبي، نفس مشخّصة، وهو كلّ ايضا، وحكمه حكم الطفل الناقص المتوجّه إلى الكمال، ويسمّونه الاساس، وهو الوصي[١٥٨]. فالتاريخ يتألف من حلقات. وفي كلّ حلقة سبعة عصور، وكلّ عصر يبدأ بنبي ناطق يحمل رسالة موحى بها. والناطقون الاول كانوا: آدم، نوح، ابراهيم، موسى، عيسى ومحمد. ولكل ناطق رجل اساس او صامت، كانت مهمته الكشف عن باطن الرسالة الالهية وسبعة ائمة. وكلّ امام سابع من كلّ عهد يصل إلى المرتبة العليا ويصبح ناطق العهد فاسخا شرع الناطق السابق ليعلن شرعا جديدا. وفي عهد النبي محمد، الامام علي كان الاساس. ومحمد بن اسماعيل هو الامام السابع. وعندما سيعود هذا الاخير سيكون سابع ناطق، القائم او المهدي وسينسخ شرع الاسلام، وستكون رسالته هذه المرّة محتوية على الوحي الكامل

---

[١٥٤] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص ١٩٥-١٩٨.

Ibid, p.207.

[١٥٥] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص ١٩٢-١٩٣.

[١٥٦] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص ١٩٣.

[157] Madelung,op.cit.p.212-213.

[١٥٨] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ ص ١٩٣-١٩٤.

لحقائق الباطن من دون وحي ظاهر. وخلال غيبته تحلّ محلّه اثنتا عشـرة حجّـة، ويأتي بعد الحجة هرم من الدعاة[١٥٩].

ولما تحرّكت الافلاك والطبائع بتحريك النفس والعقل، كذلك تحرّكـت النفـوس والاشخاص بالشرائع بتحريك النبي والوصي في كلّ زمان دائرا على سبعة سـبعة حتى ينتهي إلى الدور الاخير، ويدخل زمن القيامة، وترتفع التكـاليف، وتضمحّـل السنن والشرائع[١٦٠].

وهذه الحركات الفلكية والسنن الشرعية هي قائمة لتبلغ النفس إلى حال كمالـها. وكمالها بلوغها إلى درجة العقل واتحادها به، ووصولها إلى مرتبته فعلا. وذلـك هو القيامة الكبرى، فتنحلّ تراكيب الافلاك والعناصر والمركبات وتتصل جزئيـات الحق بالنفس الكليّ وجزئيات الباطل بالشيطان المظلّ المبطل[١٦١].

وما من فريضة وسنّة وحكم من الاحكام الشرعية: من بيع واجارة وهبة ونكـاح واطلاق وجراح وقصاص وديّة وله وازن من العالم. ولكل حرف وازن من العالم، وطبيعة يخصّها[١٦٢].

فعن هذا صارت العلوم المستفادة من الكلمات التعليمية غـذاء للنفـوس، كمـا صارت الاغذية المستفادة من الطبائع الخلقية غذاء للابدان. وقد قدّر الله ان يكـون غذاء كلّ موجود مما خلق منه. فعلى هذا الوزان صاروا إلى ذكر اعداد الكلمـات والآيات، وان التسمية مركّبة من سبعة واثني عشر. ودعوا الناس إلى امام في كـلّ زمان يعرف موازنات هذه العلوم ويهتدي إلى مدارج هذه الأوضاع والرسوم[١٦٣].

٢ً-القرامطة

وهم إسماعيلية متطرفون، قاموا بعد فشل الدعاية الإسماعيلية، وانتشرت دعوتهم بين الاوساط الفلاحية، واتخذت شكل الثورة الفلاحية المسلّحة في ٨٩٠م، وكان لهم تأثير كبير في السكّان في سوريا ولبنان[١٦٤].

في سنة ٢٦١هـ/٨٧٤م دخل حمدان قرمط في المذهب الاسماعيلي، وتولى امر الدعوة في مسقط رأسه في سواد الكوفة وعاونه في ذلك زوج اخته عبدان، وقـام بنشر الدعوة في جنوب فارس حيث نجح بضمّ ابي سعيد الجنابي اليه[١٦٥].

---

[159] Madelung, op.cit.p.212.

[١٦٠] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص١٩٤.

[١٦١] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص١٩٤ .

[١٦٢] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص١٩٤.

[١٦٣] الشهرستاني، المصدر المذكور، ج١/ص ١٩٥ .

[١٦٤] كرد علي ،خطط، المرجع المذكورة، ج١/١٨٠-١٨٣،١٩٧-١٩٩.. Mantran,op.cit.p.185-186 Hamadé,op.cit.,p89-90.

[١٦٥] سيّد، **الدولة الفاطمية**، المرجع المذكور، ص٩٧. راجع ايضا ميكال يان دي خويه، القرامطة، ترجمة وتحقيق حسني زينه،دار ابن خلدون، بيروت١٩٨٦.ص١٥-٣٨.

ومثّلت الدعوة الإسماعيلية في هذا الزمن، في النصف الثاني من القرن الثالث هـ/التاسع م حركة موّحدة تبشّر بقرب ظهور محمد بن اسماعيل كمهدي. وكان لحمدان قرمط مراسلات مع رئاسة الدعوة في سلمية، ولكن عندما تولى عبدالله بن الحسين(الذي سيحمل تسمية الامام المهدي فيما بعد) رئاسة الدعوة المركزية، لاحظ حمدان انّ عبدالله بدأ يحوّل في بعض معتقدات الإسماعيلية فيما يخصّ الامامة. فارسل حمدان صهره عبدان إلى سلمية للوقوف على حقيقة الامر، فعلم من خلال لقاءاته مع عبدالله انّه بدلا من اعلان مهدية محمد بن اسماعيل كما ذكرنا، فان الرئيس الجديد يدعو لإمامته هو وإمامة اسلافه الزعماء السالفين. وفور انّ تلقى حمدان ما يجري من تغييرات قرّر قطع صلته بالرئاسة المركزيةورئاسة الدعوة في سلميّة. وبعد فترة اختفى حمدان وقتل عبدان على يد احد الموالين للسلمية. وقبل التغييرات المذكورة كان رؤساء الدعوة يتولون مرتبة الحجة اوالنواب الكاملين للامام الغائب، ولكن بعد ذلك حوّل عبدالله مرتبتهم إلى ائمة فقط. فكان ذلك اول انقسام خطير في الدعوة الإسماعيلية[١٦٦].

اعتمدت الدعوة القرمطية على تضحيات مالية من قبل المنضوين اليها، من رجال ونساء، بحيث انّه من المؤكد انهم كانوا يدفعون خمس ما يدخلون. وقيل كلّ ما يدخلون. فقد اعتمد حمدان قرمط على ضرائب كان يزيد مقدارها إلى ان وصل إلى الخمس المذكور، وذهب ابعد من ذلك لتحقيق الالفة إلى دعوة اتباعه إلى جمع اموالهم في موضع واحد، ويصرف ذلك عليهم مشتركا بحيث لم يبق بينهم فقير. وكان في كلّ قرية يختار رجلا يكلّف بجمع الاموال وتفريقها. وذهبت كتابات بعض المؤرخين إلى ان القرامطة غالوا في مبدأ الالفة إلى حدّ دعوا فيه إلى الاختلاط بين النساء والرجال لتحقيق الاتحاد الاخوي[١٦٧].

٣ً-الشيعة الإمامية- الاثنا عشرية

الشيعة الإمامية، هم الذين يعترفون بالأئمة المتحدرين من موسى الكاظم ، احد اولاد الإمام جعفر، وينتظرون عودة الإمام المنتظر في آخر الزمان، وهو الإمام الثاني عشر الذي اختفى بطريقة مجهولة. واتباع الشيعة الامامية، أقرب الشيعة إلى السنّة ولا يمارسون التطرّف الذي اشتهرت به الفرق المنبثقة من الإسماعيلية.

هناك العديد من الدراسات المسهبة في عقيدة الشيعة الاثني عشرية وممارساتها الدينية، و سنتوقف فقط عند ابرز الركائز العقائدية عندها انطلاقا من بعض المراجع والمصادر لأخذ فكرة اوليّة عن الموضوع وهي: إمامة علي-عصمة الإمام-التقية(الممارسة السرّية) للشعائر الدينية-زواج المتعة[١٦٨]. وكما يقول

---

[١٦٦] سيّد، المرجع المذكور، ص٩٨-٩٩.دي خويه، المرجع المذكور،١٥-٣٨.

[١٦٧] دي خويه، المرجع المذكور، ص٣٤-٣٦.

[168] Mantran,op.cit.p.184. Hamadé,op.cit.p.19.

القلقشندي : الشيعة هم الذين شايعوا عليا بن ابي طالب، وقالوا بإمامته وخلافته نصّا ووصاية: امّا جليا او خفيا، وانّ الإمامة لا تخرج عنه وعن بنيه الاّ بظلم من غير ذلك الإمام، او بتقيّة منه لغيره[١٦٩]. وبالاضافة إلى ذلك يذكر الشهرستاني ان الإمامة لا تخرج من اولاده، وهي ليست قضية مصلحية تناط باختيار العامة وينتصب الإمام بنصبهم، بل هي قضية اصولية، وهي ركن الدين... ويجمعهم القول بوجوب التعيين والتنصيب، وثبوت عصمة الانبياء والأئمة وجوبا عن الكبائر والصغائر، والقول بالتولي والتبريّ قولا وفعلا، وعقدا، الاّ في حال التقيّة[١٧٠].

حتى العهد الطولوني، برز التشيّع في سوريا من خلال انموذجين: الإسماعيلية والقرامطة. امّا الشيعة الاثنا عشرية فبدأوا بأداء دورهم في آخر هذه الفترة في لبنان. فبعد استقرار الفاطميين في مصر في اواسط القرن العاشر الميلادي، انقسم الشرق بين الإسماعيلية، عقيدة الفاطميين، والامامية عقيدة الامراء الحمدانيين، زعماء سوريا الشمالية في اواخر القرن التاسع الميلادي. وفي لبنان كان التنافس على اشدّه بين الإسماعيلية والامامية والنصيرية، الذين سيتنافسون لاحقا مع الدرزية منذ عهد الخليفة الحاكم[١٧١]. والفترة التي سبقت مجيء الصليبيين، كانت العهد الذهبي للشيعة اذ انتشروا في اكثر ارجاء لبنان، الاّ في المناطق الجبلية الشمالية حيث للموارنة[١٧٢] وللملكيين وجود مميّز.

٤ً-النصيرية

شيعة تنتسب إلى محمد بن نصير الفهري(من نهاية القرن التاسع م). عقيدته تغالي في تأليه الإمام علي الذي تعتبره تجسّدا لله على الارض. ويؤمن اتباعه بالتناسخ ويؤّولون القرآن شأنهم في ذلك شأن كلّ الباطنية. ويحللون انفسهم من بعض الفرائض الاسلامية[١٧٣].

يخصص النصيريون كلمة إمام للأئمة الاثني عشر من الشيعة الامامية. ولهؤلاء مميزات خصوصيةعن بقية البشر من حيث المزايا الروحية. فهم معصومون عن الخطايا وهم مصدر الارادة الالهية بدون وحي ولا واسطة. وعلم الباطن مختصّ بهم. ولكل من الأئمة الاثني عشر بابه، فمثلا الإمام علي بابه سليمان الفارسي،

---

[١٦٩] القلقشندي، صبح الاعشى في صناعة الانشا، ١٤ جزءا، القاهرة١٩٦٣، ج١٣/ص٢٢٦.

[١٧٠] الشهرستاني،المصدر المذكور، ج١/ ١٤٩ .

[171] Hamadé,op.cit.pp.93,97,122,150.

[١٧٢] جواد بولس، المرجع المذكور. Hamadé,op.cit .pp.151-154

[173] Ibn Battuta,**Voyages d'Ibn Battuta**,4t.Paris MDCCCLIII,T.I pp.176-177.. E.Perroy en collaboration avec Cl.Cahen, **Histoire générale des civilisations**, Le Moyen -Age, 2ème éd.,Paris1957. M.Hamadé, op.cit.p.21.

فيليب حتي، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ترجمة كمال يازجي، بيروت١٩٥٨، ص٢٢٠-٢٢١.
وللاستزادة من المعلومات التفصيلية عن النصيرية يراجع كتابنا: **نيابة طرابلس في عهد المماليك**.

والإمام الثاني عشر الاخير حسن العسكري بابه هو ابو شعيب محمد بن نصير الفهري او النميري. وباختفاء الإمام العسكري في دهليز سامراء بقيت صفة الباب مع محمد ابي شعيب المذكور(ت ٢٥٤هـ/٨٦٨م)، وتتتابع الأبواب حتى السيد الحسين بن حمدان الخصيب او الخصيبي (ت ٩٥٧/٨٧٨م) فجرت محاولات لتوحيد الإسماعيلية والنصيرية فشلت وزادت من الفرقة بين الاثنين. وقبر الخصيبي شمال حلب ويعرف باسم قبر الشيخ يابراق. وكان للعلويين مركزان مهمان دينيا: الاول في حلب والثاني في بغداد اقفل بعد غزو هولاكو، ثمّ انتقل مركز حلب إلى اللاذقية. وللخصيببي كتاب مهمّ هو "الهداية الكبرى"[١٧٤].

اتخذ النصيريون الباب مرجعا لهم، ولكنهم تفرقوا بين عدّة ابواب، ثمّ انحلّت التشكيلات الدينية وتفرّقت على مراكز دينية متعدّدة يرأسها مشايخ[١٧٥].

اجتهادات كثيرة حاولت تقديم شروح لاشتقاق كلمة نصيرية، ولكن اقربها إلى التصديق انّها مشتقة من انتسابها إلى ابن نصير. وفي الاساس كان النصيرية يحملون اسم النميرية نسبة إلى لقب ابن نصير ثمّ منذ الخصيببي حملوا التسمية المعهودة[١٧٦].

ومن طلائع الذين عرّفوا بهذه الفرقة النوبختي، الذي يتهّم ابن نصير بادّعاء النبوة وبانّه مرسل من الامام العسكري ويقول بالتناسخ وبربوبية الامام علي[١٧٧].

في رأس الكون عند النصيرية نجد الامام عليّ، وتحت الوهيته نجد عالما روحانيا من كائنات سماوية ينبثق منه او يفيض عنه بشكل تراتبي عدّة مقامات، اولها الاسم، وهو محمد وثانيها الباب، وهو سليمان الفارسي ثمّ باقي اهل المراتب من المقامات السبع. وتحت هذا العالم نجد العالم الظلماني حيث الاجسام، وفي الاسفل العالم الظلماني الكبير المتشكّل من كلّ الاضداد للعالم النوراني. والهبوط من العالم الاعلى يتمّ بسبع مراحل والارتقاء اليه يمرّ بسبع مراحل ايضا[١٧٨].

وللنصيرية شروح في مسألة الوحي وفي تعليم العقيدة ولهم اعيادهم الخاصة بهم فضلا عن الاعياد الاسلامية المتعارف عليها[١٧٩].

---

[١٧٤] محمد ابن غالب الطويل، **تاريخ العلويين**، قرضه ونقده الاستاذ العارف الشيخ عبد الرحمن الجند، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٦، ص ١٨٢-١٨٥،١٩٦-١٩٩،٢٠٠-٢٠٨. ابو موسى الحريري، **العلويون النصيريون**، بيروت١٩٨٠، ص١٩-٢٢،٢٤-٢٦،٢٠٩-٢١٠.

[١٧٥] الطويل، المرجع نفسه، ص ٢٠٩-٢١٢،٢٣٥-٢٣٦.الحريري، المرجع نفسه،ص٣٥-٣٦.

[١٧٦] نجد هذه الاجتهادات في كتابنا المذكور اعلاه عن نيابة طرابلس، ص٢٣٣. راجع ابن العبري،تاريخ الزمان، ص ٤٥-٤٦.القلقشندي، **صبح** ، ج١٣/١٥٠-١٥١،٢٤٩."L.Massignon, "Nusairi **E.I.**I,T.IV,p.1030,

[١٧٧] الشهرستاني،المصدر المذكور، ج١/١٨٨.

[١٧٨] .Massignon, op.cit.p.1031. راجع ايضا الحريري، المرجع المذكور، ص ٣٩-٤٢.

[١٧٩] راجع هذه المسائل في كتابنا: **نيابة طرابلس في عهد المماليك**، المذكور اعلاه.

٣-القضاة والعلماء الدينيون

عرف لبنان العديد من القضاة ورجال الحديث والحفّاظ والأعلام والعلماء والأئمة والفقهاء. ولكنّ اكثرهم لم يترك اثرا مهما، في نظرنا، يستحّق التوقف عنده بالتفصيل الاّ فيما ندر[١٨٠]. ونجد عنهم معاجم تفصيلية يمكن الرجوع اليها[١٨١].

ومن الذين تركوا اثرا يذكر خيثمة بن سليمان القرشي الاطرابلسي[١٨٢] (٢٥٠-٣٤٣هـ) ومن مصنّفاته:

المنتخب من فوائده_ فضائل الصحابة_ فضائل الصدّق _ الرقائق والحكايات_ احاديثه بالظاهرية[١٨٣]. ومن اساتذة خيثمة من اللبنانيين في علم الحديث احمد بن محمد بن الزبير بن عبد السلام، ابو علي الاطرابلسي، المعروف بشقير[١٨٤]، ومن المحدثين عنه في لبنان احمد بن علي ابو بكر الاطرابلسي المعروف بابن ابي

---

[١٨٠] ومن محدثي طرابلس الحسين بن محمد بن احمد ابو عبدالله قاضي طرابلس. ومن اهل جونية احمد بن محمد بن عبيد السلمي (بن عبد السلام)الذي حدّث بجونية من اعمال طرابلس من ساحل دمشق، ومحمد بن احمد بن محمد بن عمرو البغدادي وقيل الواسطي-البزاز نزيل جونية وامامها وخطيبها وجونية من ناحية اطرابلس من اعمال دمشق. وفي جبيل اخطل بن مؤمل ابو سعيد، وفي بيروت اسحاق بن حماد النميري، واحمد بن العباس بن الوليد، وابو العباس العري، وموسى الصباغ امام مسجد بيروت او جامع ورد، ومكحول البيروتي، محمد بن عبد السلام، ابو عبد الرحمن(ت٣٢١)، واحمد بن مكحول محمد، ابو علي البيروتي(النصف الثاني من القرن الثالث هـ). وفي مشغرا: ابو الجهم بن طلاب(ت ٣١٩هـ). والوليد بن مزيد وابنه العباس قاضي بيروت وحفيده احمد. ومن نزلاء بيروت الذين ارتبطوا بالأوزاعي، الهقل بن زياد الدمشقي كاتب الأوزاعي وتلميذه وحامل علمه. ومن المحدثين ببعلبك عبد الحميد بن حملد، وابو الوليد الذي روى عنه سويد بن عبد العزيز قاضي بعلبك. ومن القضاة في بعلبك سويد بن عبد العزيز وابومحمد السلمي(اخر القرن الثاني هـ) وعلي بن العباس ابي الجنّ.وفي صورابراهيم بن ابي داود البرلسي الصوري.(النصف الثاني من القرن الثالث هـ) وحميد بن محمد بن نصي، ابو الحسن التميمي، امام جامع بعلبك(مطلع ق الرابع هـ). ومحمد ووالده الحسن وجده ذكوان البعلبكي وغيره من آل ذكوان. ابو زرعة،تاريخ، ط. دار الكتب، ص٥٩، ٦١،٦٤، ٧٤، ٨٠،٩٣-٩٤ ،٩٤،٩٩ ، ١٠٥، كما نجد هذه الاسماء واسماء اخرى في صفحات اخرى في ابي زرعة ط. دار الكتب. ابن عساكر، تاريخ،ج٥/٤٠٥؛ ج٧/٣٦٤؛ ج٨/٢٠٣؛ ج٣٤/٤٠٤؛ ج٣٥/١٤٧ ؛ج٤٣/٩؛ ج٥١/١١٧-١١٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ١٧١-١٨٠، ص٣٩١-٣٩٢؛ حوادث١٩١-٢٠٠، ص١٨،٢٠؛حوادث ٢٥١-٢٦٠، ص١٩٠؛حوادث ٢٦١-٢٨٠، ص٦١؛ حوادث٢٩١-٣٠٠، ص٥٠،حوادث٣٠١-٣١٠، ص٣١١؛حوادث ٣٢١-٣٣٠، ص٣٠٢، ٣١٥؛ حوادث ٣٣١-٣٥٠، ص٤٦٣؛ حوادث ٣٥٠-٣٨٠، ص ٤٥٤،٥٩٩. تدمري، لبنان من قيام الدعوة العباسية، ص ٢١٢،٢١٥-٢١٦،٢٣٠،٢٣٢-٢٣٣،٢٩٥-٢٩٦. نصرالله، المرجع المذكور، ص ٣٣١-٣٣٢، ٣٤١، ٣٦١، ٤٧٠.

[١٨١] من يهمّه الاطلاع على هذه الناحية فليراجع د. عمر تدمري الذي يقدّم قاموسا مفصّلا لهؤلاء الاعلام. ص ٢٠٣-٣١٤ .

[١٨٢] ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ط. الشنقيطي، ج٣/١١٨. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر ١٩٩٥،ج٥/٢٢٩.

[١٨٣] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٠٥-٢٠٧ .

[١٨٤] ابن عساكر، تاريخ، ج ٥/١٠٧-١٠٨، ١٧٦. تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص ٢٠٣.

السنديان[١٨٥]. ويستوقفنا المحدث احمد بن محمد بن عبيد السلمي(ت٣٦٠هـ) الذي حدّث بجونية من اعمال طرابلس من ساحل دمشق الذي حدّث عن اسماعيل بن حصن بن حسّان الجبيلي والعباس بن الوليد البيروتي. كما يستوقفنا محمد بن احمد البغدادي الواسطي البزاز(اواسط القرن الرابع هـ/العاشر م) الذي كان نزيل جونية وامامها وخطيبها[١٨٦]. وفي هذا اشارة إلى التحولات في الخريطة السكانية التي عرفها لبنان، وتبيان تبعية جونية الادارية إلى عمل طرابلس.
واشهرهم قاطبة الامام الأوزاعي.

٤-الزهّاد والعبّاد

اشتهرت جبال لبنان انّها موطن مفضّل للنساك والحبساء في التاريخ المسيحي. فقد كانت رائحة الصلاة وبخور العبادة ينسابان من الأودية والمغاور، وما اكثر القديسين الذين أنتجهم لبنان، بعضهم عرف وبعضهم الاخر لا يزال مجهولا الاّ من ربّه.

وقد تنبّه المسلمون لموقع لبنان كأرض صالحة للزهد والتعبّد فكثر فيها النسّاك والزهّاد والابدال والمتصوّفة من المسلمين. فمنذ زمن الصحابة كان لبنان مشدّ الزهّاد حتى قال في ذلك احد الصحابة انّه يفضّل التخلّص من ماله والعيش في لبنان:" ثمّ لحقت واديا من وديان لبنان فعبدت الله حتى اموت[١٨٧]". وقد لفت وجود الزهّاد في جبل لبنان العديد من الكتاب والجغرافيين المسلمين. وقد امّ هذه الجبال للزهد مسلمون من امصار متعددة من مصر وخوزستان وخرسان وكرمان في بلاد فارس والعراق والهند[١٨٨]. ومن المتصوفة المشهورين الذين أمّوا لبنان نجد ابراهيم بن ادهم[١٨٩]، الذي صحبه في صغره الإمام الزاهد والمحدّث محمد بن المبارك الصوري(من مواليد ١٥٣ في صور)[١٩٠]. كما جاء اليه احمد بن عطاء، ابو عبدالله الروذباري شيخ الصوفية الذي اقام بصور وتوفي في ٣٦٩هـ في قرية منواث من عمل عكار ودفن في صور[١٩١]. وعبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان الشامي[١٩٢].

---

[١٨٥] ابن عساكر، تاريخ،ج٥/٤٩.
[١٨٦] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٥/٤٠٥؛ ج٥١/١١٧-١١٨.
[١٨٧] ابن سعد، الطبقات، ج٤/ص٢٧١ .
[١٨٨] راجع هؤلاء الزهّاد مع تفاصيل عن حياتهم في تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص ١٦٥-١٨٩.
[١٨٩] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر١٩٩٥، ج٦/٣٦٦. تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص ١٧٠.
[١٩٠] ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٣٨١. تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص ١٨٧.
[١٩١] ابن عساكر، تاريخ،ج٥/٢٣، ج٧/٨٠، . تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص١٧٦.
[١٩٢] ابن عساكر، تاريخ، ج٧/٢٢١. تدمري، لبنان من قيام الدولة العباسية، ص ١٨١.

وعن قداسة هذا الجبل يورد الطبري ان آدم بنى البيت من خمسة اجبل منها جبل لبنان[١٩٣]. وقد وصف ابن عساكر قداسة جبل لبنان عدّة مرّات[١٩٤].

هـ-الأوضاع الثقافية

١-الشعراء والأدباء

شهد لبنان قيام نشاط شعري وادبي لم يصل اعلامه إلى مستوى المتنبي وابي فراس الحمداني وابن الرومي والبحتري وغيرهم من اعلام الحضارة العربية. ومن هؤلاء الشعراء:

في طرابلس: ابي علي بن ابي سمرا[١٩٥]. احمد بن منير بن احمد بن مفلح ابو الحسن الاطرابلسي. وكان والده شاعرا ايضا[١٩٦]. توفيق بن محمد بن زريق الاطرابلسي الذي كان جدّه في عهد الطائع لله[١٩٧].

في صور: ابوعمّارة الصوري[١٩٨]. ابو منصور الصوري[١٩٩]. عبد الصمد بن علي الصوري[٢٠٠]. ابو القاسم الصوري[٢٠١].

وفي بعلبك: حسان بن ابان البعلبكي، من زمن المتوكّل[٢٠٢].

٢-العلماء الزمنيون

اشتهر منهم كلّ من:

- **قسطا بن لوقا البعلبكي** : نصراني من بعلبك عاش في اواسط القرن الثالث الهجري التاسع الميلادي(ت٩١٢).

الطبيب والفيلسوف والمهندس والموسيقي وعالم الفلك والرياضيات. كان ملمّا باليونانية والعربية والسريانية وقد سافر إلى بلاد الروم في طلب المخطوطات ثمّ استقرّ به المقام في بغداد مركز الحياة الفكرية آنذاك ومركز الترجمة والنقل. ترجم

---

[١٩٣] الطبري، **جامع البيان عن تأويل آي القرآن**، دار المعارف بمصر، ج٣/ص ٥٧-٥٨. راجع ايضا تاريخه، ط. دار القاموس ،بيروت،ج١/ص٦٢ .

[١٩٤] ابن عساكر، ط . المنجّد، ج٢/ص،١٢٠،١٢٣-١٢٤.

[١٩٥] ابن عساكر، تهذيب،ج١/٤٢٠-٤٢١.

[١٩٦] ابن خلكان، وفيات، م١/١٥٦-١٦٠.

[١٩٧] ابن عساكر، تهذيب، ج٣/ص٣٦٣ .

[١٩٨] الثعالبي، يتيمة الدهر،ج١/ص٣٨،٢٥١ .

[١٩٩] الثعالبي، يتيمة الدهر،ج١/٣٨-٣٩، ٢٢٠ .

[٢٠٠] الثعالبي، يتيمة الدهر، ج١/٨٤-٨٥ .

[٢٠١] ابن ظافر الاسدي، بدائع البدائه، ج٣/ ٣٥١. التنوخي، القاضي ابو علي المحسن(ت٣٨٤هـ) **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، الصورة الثانية من نسخ الكتاب في باب صفحات من المخطوطات، ج١ ط. عبود الشالجي،١٩٧١.

[٢٠٢] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج١٢/٣٧٥. تهذيب ج٤/ص ١٢٣-١٢٤.

العديد من الكتب إلى العربية. انما اشتهر اولا واخيرا كمترجم من اللغة اليونانية واليه يعزون ترجمة ما لا يقلّ عن ١٧ كتابا، وقد الّف ٦٩ كتابا، ومات في ارمينيا[٢٠٣].

ومن مؤلفاته: المدخل إلى الهندسة. والمدخل إلى الهيئة وحركات الافلاك والكواكب. و الفرق بين النفس والروح. و المدخل إلى المنطق. وكتاب السياسة. وشرح مذاهب اليونانيين. وقوانين الاغذية. وشكوك كتاب اقليدس. والحمام. والفردوس. واستخراج المسائل العددية وغيرها...

-**تيوفيل بن توما الرهاوي**(ت٧٨٤م): منجّم، مترجم ومؤرّخ. ماروني من جبل لبنان. رئيس المنجمّين عند المهدي العباسي. وله كتاب جيد في التاريخ نقل عنه المؤرخون ولم يصلنا. ومن المؤرخين الذين نقلوا عنه، اغابيوس المنبجي (من القرن الرابع هـ/العاشر م)، بحيث كان المصدر الاساسي لمعلوماته، وقد اختصره على ما يبدو. نقل الياذة هوميروس من اليونانية إلى السريانية بغاية ما يكون من الفصاحة، وبعض كتب ارسطو، وهو الذي جعل صورة الحركات السريانية الخمس على شبه صورة الحركات اليونانية في ترجمته لكتاب هوميروس كي لا تختلف كتابة الأعلام في اللغتين، فتابعه على كتابة صور الحركات على هذا النحو السريان، الاّ النساطرة[٢٠٤].

-**قيس الماروني**: يرد ذكره عند المسعودي وله كتاب حسن في التاريخ انتهى بتصنيفه إلى خلافة المكتفي[٢٠٥]، نشرت مقاطع منه على يد المستشرق نو الفرنسي[٢٠٦]. ولا ندري ما اذا كان قيس من لبنان او من ارجاء بلاد الشام.

و-الأوضاع الاقتصادية

١-الكوارث الطبيعية

لم تسجّل المصادر التاريخية الكثير من الكوارث، وكان اهمها الآتي:سنة ٢٤٥هـ/٨٥٩م ضرب الزلزال سواحل الشام وتدمّرت اللاذقية وانطاكية[٢٠٧]. وهذا ما دفع الخليفة المتوكل إلى اعادة ترميم السواحل وحصونها[٢٠٨].

---

[٢٠٣] حتي، المرجع المذكور، ص ٣٣٠. تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٩٤ .

[٢٠٤] المنبجي، المنتخب ،المقدمة، ص ٧. ابن العبري، مختصر، ص ١٢٧. الدبس، المرجع المذكور، م٥/٢٩٧-٢٩٨. جان موريس فييه، احوال النصارى، المرجع المذكور، ص٦٨-٦٩.

[٢٠٥] المسعودي، التنبيه والاشراف، ص ١٤٨.

[٢٠٦] الدبس، المرجع المذكور، م٥/٣٦٨-٣٦٩.

[٢٠٧] اليعقوبي، تاريخ، ج٢/ص ٤٩١. الطبري، تاريخ،ج١١/ص٥٧. السيوطي، **كتاب كشف السلسلة عن وصف الزلزلة**، مخطوط رقم ٥٩٢٩، دار الكتب الوطنية في باريس، ص ١٠.

[٢٠٨] البلاذري، فتوح، ج١/ ص ١٤٠، ١٩٣.

تخبر الروايات انّه سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٢م انخسفت قطعة عظيمة من جبل لبنان وسقطت بالبحر[٢٠٩] ولا ندري عن اي كتلة تتكلّم.

٢-الزراعة

١ً-المزروعات

اشتهر لبنان بتفاحه الذي تغنّى به العديد من الشعراء، وكان يحمل إلى العراق[٢١٠] وإلى الشام ويعتبر اعجوبة. وذكر الثعالبي انّ التفاح اللبناني موصوف بحسن اللون وطيب الرائحة ولذاذة الطعم[٢١١].وقد وصفه ابو نواس بقوله:

سلاف دنّ اذا ما الماء خالطها   فاحت كما فاح تفاح بلبنان [٢١٢]

وفي قصيدة بعنوان مصروع وسكران يقول ابو نواس:

واحجار المجانيق   لنا تفاح لبنانا[٢١٣]

وقد استوحاه المتنبي في غزله فقال:

شاميةطالما خلوت بها   تبصر في ناظري محياها

حيث التقى خدها وتفاح لبنا   ن وثغري على حمياها[٢١٤]

وقال ابن خفاجة الاندلسي:

وشاق إلى تفاح لبنان نفحه   وهيهات من ارض الجزيرة لبنان

وقال ايضا

اغار لخديه على الورد كلما   بدا، ولعطفيه على اغصن البان

وهبني اجني ورد خدّ بناظري   فمن اين لي منه بتفاح لبنان[٢١٥]

واورد المسعودي شعرا منسوبا لابي نواس غنيّ على عهد المستكفي وفيه:

ورأى الورد عسكرين من الصفر   فنادى، فجاء ه الجلنار

واستجاشاتفاح لبنان لما   حميت من وطيسها الاوتار[٢١٦]

---

[٢٠٩] ابن الجوزي، ابو الفرج(ت٥٩٧)،المنتظم في تاريخ الامم والملوك، تحقيق محمود ومصطفى عطا،ط. اولى دار الكتب العلمية بيروت ١٨،١٩٩٢ جزءا، ١٦ مجلدا ، حوادث سنة ٣٠٠هـ ج١٣/ص ١١٥. النويري، نهاية ج٢٣/ص ٣٨. ابن كثير، البداية،ج١١/٩٩. ابن تغري بردي، النجوم،ج٣/ص ١٨٠.

[٢١٠] ابن الفقيه الهمذاني، ط.صادر،ص ١١٧. القزويني، **آثار البلاد واخبار العباد**، ص ٢٠٨. الثعالبي، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، ص ٢٣٢. الحميري، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تحقيق احسان عباس، ص ٥٠٨.

[٢١١] الثعالبي، ثمار القلوب ، ص ٣٠٤.

[٢١٢] **ديوان ابي نواس**، الخمريات، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٧١، ص ١٨٧.

[٢١٣] ديوان ابي النواس، الخمريات، ص١٩٣.

[٢١٤] **العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب**،دار صادر بيروت ، م٢/ص ٤٤٦.

[٢١٥] **ديوان ابن خفاجه**، مصر ١٢٨٦هـ ، ص ١٢٨-١٢٩.

[٢١٦] المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة بربيه دو مينار المنقحة والمصححة من شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية،بيروت١٩٧٤،ج٥/ص٢٥٧.

وكما كان الزيتون في القديم، وفي زمننا هذا، كان في القرون الوسطى مـــورد رزق مهمّ، وقد ذكره المقدسي في جبل عامل[٢١٧]. واشتهر النبيذ في جبـــل لبنـــان وقرى بيروت والبقاع[٢١٨].

٢ً-التحولات في العالم الريفي[٢١٩]

في العهد الأموي نشأ نظام لملكية الارض وضع الأرياف تحت رحمة المـــدن. ومنذ القرن العاشر وضع العسكريون يدهم على الأرياف مما ولّد ازمة اقتصاديـــة عميقة. وما نعرفه عن ملكية الارض يأتي من الدراسات الفقهية التي تصف انواع الاملاك بشكل نظري، لا عملي كما هو الواقع على الارض فعليا.

-أرض العشر

يعترف الاسلام شرعا بنوعين من الارض: الملكية الفردية في شـــبه الجزيـــرة العربية والملكيات العامة للامة في الاراضي المفتوحة. والذين يتملكون هذه الارض يدفعون للدولة من انتاج أرضهم الزكاة التي توازي العشر تقريبا.

-أرض الخراج

الارض التي عاهد المسلمون اهل الكتاب عليها هي ارض الخراج. ومن الناحية القانونية لم يحتفظوا بالملكية الكاملة التي اصبحت ملكية الامة، ولكنهم ينعمون فيها بشبه ملكية كاملة من حيث حقهم في البيـــع والشـــراء والارث، ويدفعـــون عنـــها الخراج، الذي تتغير نسبته بحسب المناطق، وكان ازود من العشر. ومـــع تزايـــد اعتناق قبل السكان المحليين الدين الاسلامي، وحتى لا تخفّ الجباية على الارض، كرّست الارض التي صنّفت ارض خراج زمن الفتوحات ارضا تدفع الخراج، مهما تغيّرت هوية مالكها دينيا على أن تخضع لديوان الخراج، بغض النظر عما آلت اليه ملكية الارض، وما اذا صارت لمسلم او لغير مسلم. وكان معنى ذلك منع تحويـــل الارض الخراجية إلى عشرية حتى ولو اسلم صاحب الارض بعد الفتح، او اشتراها مسلم، أعربيا كان او غير عربي.

-أرض الصوافي والقطائع

---

[٢١٧] المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم، ص ١٤١.

[٢١٨] ابو الفرج الاصفهاني، الاغاني، ج٢/ ص ٢٥٦، ٢٦٠. البكري، معجم ما استعجم ج١/ ص ٢٦٣.

[٢١٩] هذه المواضيع الاقتصادية اجاد في دراستها المستشرق كلود كاهن في كتبه ودراساته وكان فاتحة الاتجاه الجدّي في الدراسات الاقتصادية الاجتماعية في الحضارة العربية. راجع بهذا الخصوص:

Cl.Cahen," l'évolution de l'iqta' du IV au XIIIe .s". in, **Annales, ESC**. 1953. "L'évolution sociale du monde musulman face à celle du monde chrétien jusqu'au XIIe,s.", in **Cahiers de civilisation médiévale**,1958 et 1959. Day'a et ikta' , in **E.I.2. L'Islam, des origines au début de l'empire ottoman** Bordas, 1980, pp39-42,79-81.

Ducellier et autre, **Le Proche -Orient médiéval**, Hachette, 1978, pp129-133.

راجع ايضا في **التراث الاقتصادي الاسلامي**، تقديم الفضل شلق، ويتضمن نصوص مسألة الخراج لابي يوسف ولغيره، دار الحداثة، بيروت ١٩٩٠، ص١٥-٨٢.

والأرض التي جلا عنها اهلها او تركت زمن الفتح اضحت ملكا للدولة، وحملت اسم الصوافي ووزعت قطائع على اشخاص مسلمين يتصرفون بها لزمن غير محدود كأنها ملك لهم مع ما يتوجب عليهم من احيائها ودفع العشر عن انتاجها.

-الضيع

والأرض الملك والقطائع تدفع الزكاة، أي العشر، ولذلك تدعى ارض العشر وارض الضيع وتتبع لديوان الاراضي.

-الوقف

ويعترف الشرع بنوع آخر من الارض هو الوقف: وقف الارض لصالح عام او لذرية ما مقابل تقديم خير ما من حاصل الانتاج. ويمنع توزيع وتوريث الوقف وبيعه. واستثماره يخضع لقواعد دقيقة.

-الواقع العملي على الأرض

كيف كان يطبق هذا التشريع العام في الواقع وعمليا لا نظريا على الأرض؟ لا يوجد جواب عن ذلك في لبنان ولا في البلاد الاسلامية. كما لا نعرف شيئا يذكر عن حالة الفلاح ولا عن توزيع الارض إلى ملكيات كبيرة او صغيرة. ونعتقد بأن ارض الخراج كانت خاصة في الارياف، وهي ملكيات صغيرة، ولربما بيد بعض الاعيان الريفيين. امّا في ارض الضيع او العشر فكانت بيد سكان المدن من التجار، وكبار الموظفين والامراء وكبار الاعيان.

-الواقع العملي لملكية الارض عند الموارنة

يلاحظ المؤرخون انه في القرون العباسية الاولى تمتع الموارنة بوجود ملكية فلاحية قوية وصلبة للارض، ثمّ كان الحفاظ عليها صعبا . وكان نظام الشراكة ملائما جدا في المناطق المارونية من لبنان حيث كانت الاراضي مقسّمة، ومكلفة وقليلة الخصوبة ومأهولة جدا[٢٢٠].

-الشركاء والشراكة

أرض الخراج يستثمرها مالكها مباشرة. امّا ارض الضيع فتعطى لشركاء لاستثمارها مقابل تقديم ما يستلزم ذلك من مواد ويد عاملة ودفع ضريبة محدّدة. واليد العاملة هذه كانت حرّة لا عبودية لها ويسميهم القانون مزارعين. والمزارعون يعملون في الارض ويقدمون احيانا جزءا من البذار والات والحيوانات، ويدفعون عينا في غالب الاحيان جزءا من المحصول للملتزم او المالك. والعقود بين الشريك وصاحب الارض هي:

المساقاة: في الارض المروية، وللشريك الحق بنصف الانتاج.

---

[220] E.Peroy en collaboration avec Cl.Cahen, **Hist. Géne. des Civ.**, **Le Moyen-Age**, 2ème éd. Paris 1957, p.164.

المغارسة: في الارض التي تزرع اشجارا، وعندما يصبح المحصول قابلا للقطاف يحصل الشريك على جزء من الاشجار. والفرق بين ما يدفعه الشريك من خراج في الارض العشر وما يدفعه المالك من عشر يصبّ في مصلحة مالك ارض العشر .

-التلجئة

منذ القرن العاشر ستعرف الدولة الاسلامية، وبخاصة في القرن الحادي عشر، اتجاهين كبيرين سيسمحان بتقوية الملكيات الكبيرة وافقار الفلاحين. وتقوية الملكيات الكبيرة تمّ بواسطة التلجئة ، بحيث انّ الملاّك يضع نفسه في حماية ملاّك اقوى تسجّل باسمه الارض تجاه مصلحة الضرائب وتدفع الضريبة له. وقد نشأ ذلك في ظلّ قيام طبقات العسكر.

-الاقطاع

في القرن التاسع، بعدما كان الخلفاء يدفعون الاجور للجيش، بدأوا يوزعون عليهم القطائع. ولكن توقف الفتوحات حال دون وجود ارض جديدة فلجأ الخلفاء إلى حلّ يقوم على : التنازل للعسكريين عن حق جباية الضرائب على ارض الخراج، لقاء دفع العشر للدولة. واعطي هذا التنازل عن الارض اسم الاقطاع، الذي لم يغيّر طبيعة ملكية الارض ولم يكن له طابع وراثي. ولكن نتائج ذلك كانت مصيبة للارياف. فبواسطة التلجئة تمكّن العسكريون من زيادة املاكهم. وكان هؤلاء الملاكون للضرائب يعملون على استخراج الحدّ الاقصى من الارض التي حصلوا عليها. وبذلك خفّ الفارق بين ارض الخراج وبين ارض العشر عمليا. وكان متملك الارض يستفيد من الفرق بين دفع العشر وتحصيل الخراج. وبسرعة تمكّن العسكريون من التحرّرمن دفع العشر بحيث آلت الضرائب المحصّلة كلّها لصالح ثروتهم. وبذلك انتشر البؤس عند الفلاحين في وقت كانت الاضطرابات السياسية والمنازعات الدينية تعمل على زيادة افقارهم[٢٢١].

٣ً-الضرائب

يدفع المسلمون ضريبة الزكاة او الصدقة وغير المسلمين الجزية على الرأس. امّا الخراج فهو على الارض الملك، كائنا من كان مالكها.

كان الخراج يجبى في غالب الاحيان من الملكيات الصغيرة بينما العشر على الملكيات الكبيرة. وكانت الضرائب تجبى من المحصول تبعا لغنى الارض ونوعية الزراعة وهو ما يعرف ب "المقاسمة" او كانت الضريبة تفرض على مساحة الارض، وهو الغالب في بلاد الشام. ونسبتها تخضع لنوعية الزراعة وخصوبة الارض ونوعية الريّ. فالارض المرويّة طبيعيا تدفع ضعف الارض غير

---

[221] Cl.Cahen, "l'évolution de l'iqta' " Art.Cit.L'évolution sociale du monde musulman, Art.Cit..Day'a et ikta' , in **E.I.2. L'Islam, op.cit**,pp39-42,79-81.
Ducellier et autre,op.cit. , pp129-133.

المروية. والقيمة الضرائبية النظرية تدعى " عبرة". كانت الدولة هي التي تجبي الضرائب تحت إدارة العامل، ولكنّها كانت تفضّل الاعتماد على ضامن يجبي الضرائب ويترك لنفسه ربحا ما وتكون مدّة العقد لسنتين او ثلاث.

الحيوانات كانت ايضا تخضع للضرائب. وبما انّ القطعان كانت للبدو المسلمين فقد كانت تجبى اذا الزكاة. امّا غير المسلمين فيدفعون ضريبة على الرأس.

الجزية كانت تقدّر ب ١٢ درهما للفقراء أي ما يوازي دينارا، وللطبقات الوسطى ٢٤ درهما ما يوازي دينارين، وللاغنياء ٤٨ درهما أي ٤ دنانير. وبالنسبة للفقراء كانت هذه الضريبة توازي ١٠ إلى ١٥ يوم عمل لعامل مياوم[٢٢٢].

٣-الصناعة

كانت الصناعة ايّاها، كما قبل الفتح العربي وفي عهد الأمويين، وكما ستكون عليه في عصر الدويلات لاحقا. ويذكر المقدسي صناعة السكر والخرز والزجاج المخروط والمعمولات في صور. وقد ورد الكلام عنها.

وكما عرفنا سابقا كان الطرابلسيون يستخرجون السكر من قصب السكر الذي تشتهر به طرابلس، وصناعة الملابن في بعلبك، وقد ورد ذكرها سابقا.

٤-الحيوانات

بالاضافة إلى الحيوانات التي لا تزال موجودة حتى اليوم، كان اللافت وجود الاسد في السواحل[٢٢٣].

٥-الطرق التجارية

كانت دمشق مركزا لالتقاءالقوافل في المنطقة. فمنذ أن جعلها الخلفاء الامويون مقرّا لهم، وقبل ذلك، كانت مدينة ملائمة لالتقاء القوافل الخارجة من آسيا الصغرى، ومن بلاد نهر الفرات، والمتجهة إلى بلاد العرب ومصر.

مدينة البصرة كانت تربط سفن العرب بالشرق، وكان نهرا الفرات ودجلة، شريانين رئيسيين للتجارة، و ثمّة قناة صالحة للملاحة كانت تبدأ من الفرات وتجتاز إقليم ما بين النهرين وتربط بغداد بآسيا الصغرى وسوريا وبلاد العرب ومصر في حين كانت قوافل وسط آسيا تمرّ عبر بخارى وفارس[٢٢٤].

كان الحجاج يتواعدون في دمشق، طريق القوافل الرئيسة، وتمّر طريق قوافل الحجاج في شرق الأردن ثمّ يختم الحج في مسجد القدس، حيث كان يلتقي الحجاج

---

[222] Cahen, **L'Islam, op.cit.**, pp. 80-85.

[٢٢٣] ابن عساكر، تهذيب، ج٢/ص ١٩١.

[٢٢٤] ف.هايد، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، عرّبه عن الترجمة الفرنسية احمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب،القاهرة ١٩٨٥،ج١/ ٤٣.

المسيحيون بالحجاج المسلمين، فتتاح الفرصة للمبادلات التجارية. وفي ١٥ ايلول من كلّ عام كانت تقام في القدس اسواق كبيرة يتردد اليها عدد كبير من التجار من مختلف الأمم، غير انّ تلك الطريق كانت ثانوية[٢٢٥].

كانت الجهات الأربع للمعمورة، المعروفة آنذاك، مترابطة بشبكة طرق مواصلات، واحد منها يربط الشرق بالغرب، وعليه كانت مدن طرابلس وبيروت وصور وعكا الساحلية على مسافة أيام قلائل سيرا على الأقدام بعيدا عن دمشق. ومن المحتمل أنّها كانت منذ بداية العصور الوسطى تتزود بمؤونتها منها. كان هناك بنوع خاص طريق هام آخر ينتهي إلى سوريا، ذلك هو مجرى نهر الفرات الصالح للملاحة. وعلى هذا الطريق موقعان مهمان: الرقة وبليس، واستمرّت الرقة مزدهرة بفضل العلائق التي تربطها بنصيبين MISIBE والموصل ودمشق. وكانت بليس على بعد يومين سيرا على الأقدام من الرقة. وعلى بعد يومين نجد حلب، وهي مركز تجاري في شمال سوريا مثلما كانت دمشق في وسطها، ويواصل قسم كبير من البضائع الواردة إلى هذا الموقع طريقه إلى إنطاكية واللاذقية ومنها إلى البحر[٢٢٦].

طريق آخر يربط الشمال بالجنوب، وعليه سوقان إسلاميان كبيران هما حلب ودمشق المتصلان بطريق قوافل يمرّ بحماه وحمص. وكانت حمص على طريق آخر محاذ للصحراء يصلها بالرقة والفرات. والمنفذ الطبيعي كان طرابلس وطرطوس وجبله[٢٢٧].

تبدأ الحركة التجارية في الشرق الأقصى، فتنطلق منه طريق أولى إلى الهند فالخليج العربي، فالبصرة فبغداد ثمّ تتجه غربا إلى دمشق فالموانىء اللبنانية والفلسطينية أو تتجه من دمشق شمالا بغرب إلى حلب فاللاذقية أو طرابلس[٢٢٨]. والطريق الثاني من الشرق الأقصى عبر المحيط الهندي إلى البحر الأحمر، ومنه يتفّرع إلى سيناء فدمشق فالموانىء اللبنانية والفلسطينية أو يتفرّع عبر الصحراء إلى النيل فالقاهرة ومنها إلى الموانىء المتوسطية المصرية أو إلى دمشق[٢٢٩].

---

[٢٢٥] المرجع نفسه،ص ٥٩.

[٢٢٦] الإصطخري، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، ١٩٢٧، نقلا عن ط.ليدن ١٩٢٧، ص ٥٥-٦٨،٧١-٧٨. انظر ايضا هايد، المرجع نفسه، ص ٥٩.

[٢٢٧] الإدريسي ، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدان، عالم الكتب ،بيروت١٩٨٩،ج١، ص ٣٧٥،٣٧٢ _ ٣٧٦،ج٢،٦٤٤.

[٢٢٨] نعيم فهمي، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب**، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣، ص ١١٨. انظر ايضا انطوان ضومط"التجارة في كونتية طرابلس في العهد الفرنجي"، في **المناطق اللبنانية في ظلّ الإحتلال الفرنجي**، دار فيلون، لبنان ١٩٩٧، ص ٢٨٩-٣١٣، ص ٣٠٢ .

[٢٢٩] فهمي ، المرجع المذكور، ص ١٢٤. ضومط ، التجارة في كونتية طرابلس في العهد الفرنجي، المرجع المذكور، ص٣٠٣.

منذ مطلع القرن التاسع الميلادي رسم ابن خرداذبـــه(٨٢٠-٩١٣ م) الخطـــوط العريضة للطرق التجارية الداخلية، فكان واضع اسس الجغرافية الإدارية الذي لحقه فيها قدامة بن جعفر. فالأول يمكن اعتبار كتابه تقريرا عن جباية المملكة العباسـية، كما يمكن ان نجد في الثاني وصفا للطرق والمسافات وتقديرا لجباية الدولة[٢٣٠]. وقد استوحى ابن خراذبه كتابه من التجربة التي اعطته اياها وظائفه فكان كتابه منظّمـا حول طرق البريد وطرق القوافل، وهو أوّل كتاب في الجغرافيـــة الإسـلامية[٢٣١] .

وتلا ابن خرداذبه في ذلك جغرافيون آخرون وإداريـــون مــن أمثـال اليعقوبــي المعاصر له (٨٩٧ او ٩٠٥)وابن رسته (النصف الأول من القرن العاشر الميلادي) وقدامة بن جعفر (ت ٩٢٢ او ٩٨٤م) والإصطخري (ت ٩٥٧ م) وابن حوقـل (ت ٩٨١ م) والمقدّسي (ت ٩٩٠ م) وجغرافيون مــن العــهد الصليبــي كالإدريســي (ت١١٦٤-١١٦٥ م) وابن جبير (ت ١٢١٧ م) وغيرهم.

يحدد ابن خرداذبه الطرق ومسافاتها على الشكل الآتي:

من حمص إلى جوسية ١٦ ميلا ثمّ إلى قارا٣٠ميلا ثمّ إلى النبك ١٢ ميلا ثمّ إلى القطنيه ٢٠ ميلا ثمّ إلى دمشق ٢٤ ميلا.

والطريق من دمشق إلى طبرية: من دمشق إلى الكسوة ١٢ ميلا ثمّ إلى جاســم ٢٤ ميلا ثمّ إلى فيق ٢٤ ميلا ثمّ إلى طبرية مدينة الأردن ٦ أميال .

والطريق من الرملة إلى طبرية: من طبرية إلى اللجون ٢٠ ميلا ثمّ إلى القلنسوة ٢٠ ميلا ثمّ إلى الرملة مدينة فلسطين ٢٤ ميلا. والطريق من الرملــة إلــى بيـت المقدس ١٨ ميلا .

والطريق من الرقة إلى حمص ودمشق على الرصافة: من الرقة إلىالرصافـــة ٢٤ ميلا ثمّ إلى الزراعة ٤٠ ميلا ثمّ إلى القسطل ٣٦ ميلا ثمّ إلى سلمية ٣٠ ميــلا ثمّ إلى حمص ٢٤ ميلا ثمّ إلى شمسين ١٨ ميلا ثمّ إلى قارا ٢٢ ميلا ثمّ إلى النبــك ١٢ ميلا ثمّ إلى القطيفة ٢٠ ميلا ثمّ إلى دمشق ٢٤ ميلا .

الطريق من حمص إلى دمشق على بعلبك وهي طريق البريد: من حمص إلــى جوسية اربع سكك ثمّ إلى بعلبك ست سكك ثمّ إلى دمشق تسع سكك .

طريق من جسر منبج إلى منبج فحلب فالأثارب فعمق انطاكية فاللاذقية فجبلـــة فطرابلس فبيروت فصيدا فصور فالقدس فقيسارية فأرسوف فيافا فعســقلان فغــزّة[٢٣٢] .

---

[٢٣٠] نقولا زياده، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الدار الأهلية، بيروت ١٩٨٢، ص١١ .

[٢٣١] D.SOURDEL, p370-371.

[٢٣٢] ابن خرداذبه، **المسالك والممالك**، ويليه كتاب الخراج لقدامة بن جعفر، دار المدينة، نقلا عن طبعة دي غويه ،ليدن، بريل ١٨٨٩،ص ٧٦-٧٨ .

هذه المسافات نفسها نجدها في كتاب الخراج لقدامة بن جعفر. ولكن بالنسبة للطريق بين حمص ودمشق وبين بعلبك وطبرية يعطي محطات إضافية واكثر دقة مما جاء عند ابن خرداذبه.

ويرى قدامة أنّ طريق دمشق الرصافة هي طريق العمران.

أمّا الطريق البرّية فمن الرصافة إلى الخربة ٣٥ ميلا فالعذيب ٢٤ ميلا فنهيا ٢٠ ميلا فالقريتين ٢٠ ميلا فجرود ٣٦ ميلا فدمشق ٣٠ ميلا.

وهناك طريق من سلميّة إلى دمشق تعرف بالطريق الأوسط. ومن سلميّة إلى فرعايا ١٨ ميلا فشريك ٢٠ ميلا فصدد ١٨ ميلا فالنبك ٣٥ ميلا .

ويحدد المسافة من حمص إلى دمشق على طريق البقاع فيذكر أنّ بين حمص وجوسية ١٣ ميلا وجوسية وايعات ٢٠ ميلا وإيعات وبعلبك ٣ أميال ومن بعلبك يسرة على جبل يسمّى رمى ٥٠ ميلا .

ومن بعلبك إلى طبرية على طريق الدراج: من بعلبك إلى عين الجر(عنجر) ٢٠ ميلا وإلى القرعون ١٥ ميلا . ومن قرعون إلى قرية يقال لها العيون(مرجعيون) تمضي إلى كفرليلي(كفركيلا) ٢٠ ميلا ومن كفرليلي إلى طبرية ١٥ ميلا.

والطريق من دمشق إلى جبال الأردن: فالطريق المستقيم من دمشق إلى الكسوة ١٢ ميلا ومن الكسوة إلى جاسم ٢٤ ميلا ومن جاسم إلى آفيق ٢٤ ميلا ومن آفيق إلى طبرية ٦ أميال. ثمّ من طبرية يفترق الطريق إلى الرملة فرقتين إلى اللجون وبيسان[٢٣٣] .

اليعقوبي يقسم المسافات إلى مراحل، والطرق تمرّ في ما ورد ذكره عند ابن خرداذبه، مع التذكير بأنه يشير إلى وجود محطة بين بعلبك ودمشق تدعى عقبة الرمّان، وبين دمشق وجند الأردن يشير إلىالمحطة الثانية في خسفين من عمل دمشق وتأتي بعد جاسم[٢٣٤] . ابن رسته، لا يركّز على الطرق، ولكنّه يذكر الكور المهمة في بلاد الشام، وهي تقريبا كور مدنها في المحطات المذكورة في ماسبق[٢٣٥] .

ويكرر ابن حوقل معلومات الإصطخري. وهو يعتمد المسافات بالأيام: من منبج إلى حلب يومان ومن حلب إلى حمص خمسة أيام ومن حمص إلى دمشق خمسة أيام ومن دمشق إلى طبرية أربعة أيام ومن طبرية إلى الرملة ثلاثة أيام .

ومن حدّ فلسطين يأخذ الطريق من البحر من حدّ يافا حتى ينتهي إلى الرملة ثمّ إلى بيت المقدس ثمّ إلى اريحا فزغر فجبال الشراة فمعان . ومن دمشق إلى بيروت مسيرة يومين غربا، ومن غوطة دمشق إلى البادية مشرقا يوم. ومن طبرية إلى

---

[٢٣٣] قدامة بن جعفر، طبعة دي غويه المذكورة أعلاه، ص ٢١٨-٢١٩ .

[٢٣٤] اليعقوبي، **كتاب البلدان** ، دار صادر بيروت، نقلا عن ط.بريل ١٨٩٢، ص ٣٣٧ .

[٢٣٥] ابن رسته،**كتاب الأعلاق النفيسة**، دار صادر، بيروت،نقلا عن ط.بريل ١٨٩٢، ص ٩٧.

صور مرحلة. ومن الرملة إلى بيت المقدس يوم ومن بيت المقدس إلى مسجد ابراهيم يوم ومن بيت المقدس إلى أريحا مرحلة ومن الرملة إلى قيسارية مرحلة.
وقصبة الأردن طبرية، ومنها إلى صور يوم ومنها إلى عكا يوم. ومن دمشق إلى بعلبك يومان ومنها إلى بيروت يومان ومن بيروت إلى اطرابلس يومان ومن بيروت إلى صيدا يومان. ومن دمشق إلى أذرعات اربعة أيام وإلى حوران يومان[٢٣٦].
المقدسي يذكر أنّ في أسفل بحيرة طبرية جسر عظيم على طريق دمشق. ويضيف إلى ما ذكره السابقون من الجغرافيين انّ بين بعلبك ودمشق الزبداني التي تشكّل مرحلة. ويذكر انّ المسافر بين بانياس وقدس او إلى جبّ يوسف بريد من بريدين. ومن طبرية إلى اللجون او إلى جبّ يوسف أو إلى بيسان أو إلى عقبة أفيق او إلى كفركيلا(التي ورد ذكرها كفرليلى) مرحلة مرحلة. وتأخذ من بيسان إلى تعاسير بريدين ثمّ إلى نابلس مثلها ثمّ إلى بيت المقدس مرحلة. وتأخذ من جبّ يوسف إلى قرية العيون مرحلتين ثمّ إلى القرعون مرحلة ثمّ إلى عين الجرّ مرحلة ثمّ إلى بعلبك مرحلة وهذا يسمّى طريق المدارج (ورد ذكرها أعلاه الدراج). وتأخذ من الجشّ إلى صور مرحلة ومن صور إلى صيدا مرحلة ومن صور إلى قدس او إلى مجدل سلم بريدين، ومن مجدل سلم إلى بانياس بريدين. وتأخذ جبل لبنان إلى نابلس او إلى قدس او إلى صيدا او إلى صور نحو مرحلة. وتأخذ من الرملة إلى بيت المقدس او إلى بيت جبريل او إلى عسقلان او إلى الكرية مرحلة مرحلة[٢٣٧].
كانت البضائع تأتي من الشرق الأقصى والهند الصينية وسومطره وجاوا والهند والتيبت وايران وبلاد ما بين النهرين وأثيوبيا وشبه الجزيرة العربية ومصر. ويتمّ نقلها امّا عن طريق البرّ أوعن طريق الخليج الفارسي أو البحر الأحمر باتجاه دمشق وحلب وبغداد[٢٣٨]. دمشق كانت المركز الأهم في العلائق التجارية بسبب وجودها على بعد ثلاثة أو أربعة أيام من مرافىء المتوسط.
كان التجار الغربيون يجدون في سوريا منتجات الشرق كلّه على وجه التقريب. ولم يكونوا بحاجة للقيام برحلات طويلة للحصول عليها في قلب آسيا. فالسفن التجارية كانت ناشطة في المحيط الهندي كما في أزهى عصور الخلفاء.
كانت السفن تشحن من السند والهند والهند الصينية عند عودتها بالمسك وخشب الصنبر والفلفل والقافلة (الهال) والقرفة وجذور الخولجان وجوز الطيب والكافور

---

[٢٣٦] الإصطخري، المصدر المذكور ،ص ٦٥-٦٦. ابن حوقل،**كتاب الأرض**، دار صادر، جزءان نقلا عن طبعة ليدن ١٩٣٩، ص ١٨٥-١٨٧ .
[٢٣٧] المقدسي، احسن التقاسيم، ط.مخزوم، ص ١٤١،١٦٣-١٦٤.
[238] SHEHAB, Maurice,**TYR A L'ÉPOQUE DES CROISADES**, Histoire sociale économique et religieuse.t II,A.Maisonneuve, Paris1979,p401.

والقرنفل[239] وباختصار التوابل. وكانت اللآلــــيء مــن البحريــن[240]. كمــا كــان الأوروبيون يبحثون عن السلع المصنّعة في الشرق العربي أو المصدّرة اليــه مــن الشرق الأقصى أو من بلاد فارس. ومنها بالاضافة إلى ما ذكـــر أعـــلاه: الأرز، الليمون، المشمش، الزبيب، العطور، الأدوية، الصباغ، الأخشاب، الصندل، القطـن، الحرير الخام، الدمسق نسبة لدمشق، البلدكان نسبة لبغداد، المسلين نسبة للموصــل، الغزّ نسبة لغزّة، وانسجة من وبر الحيوانات والأصباغ والصابون والأواني[241].

كان العرب ينافسون الصينيين في تجارة المحيط الــهندي. فسـيلان(سـريلانكا اليوم) كانت مركز التجارة البحرية في الشرق وكذلــك باروتشـــي Baroch (خليــج كاتمبي في الهند) وديبالDaybal (جوار نهر الأندوس) محطة للسفن الصينية[242].

ويذكر ابن خرداذبه[243] أنّ الشرق الأقصى كان المورد للمواد الطبيـــة والبـــهار والقنا والخيزران والعودان. واذا كانت معلوماتنا عن التجارة في ما يخصّ لبنــــان هي اقرب إلى العموميات، فليس الوضع بافضل في زمن الدويلات. وجلّ ما نعرفه عن العهد الطولوني هو انّ التجارة قد انتعشت في بيروت.

---

[239] الإدريسي، نزهة،ج ١،ص ٥٤، انظر ايضا هايد، المرجع المذكور، ج١/ ١٧٦، ١٧٨، ٣٨٧-٣٩١.

[240] هايد ،المرجع نفسه.

[241] GROUSSET, R., **L'EMPIRE DU LEVANT**, Payot , Paris1979, p.323-324.

PIRENNE ,H., **HISTOIRE ECONOMIQUE ET SOCIALE DU MOYEN-AGE**, P.U.F.Paris 1969,p.122. ضومط،المقال المذكور، ص٢٨٩-٣١٣.

[242] الإدريسي، المصدر المذكور، ج ١،ص ٧٢، ٧٤، ١٦٧، انظر ايضا ، هايد، ج١/ ١٧٦.

[243] ابن خرداذبه، **المسالك**، ط. مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت١٩٨٨، ص ٦١-٦٢، ٦٤، ٦٦، ٦٨.

الفصل الرابع

لبنان في العهد الفاطمي

مقدمة

انقسم الشيعة إلى عدّة فرق، ومنها الإسماعيلية التي تقول بإمامة إسماعيل بن جعفر الصادق. واتخذ الإسماعيلية من مدينة سلمية في سوريا مركزا لهم، وأخذوا يبثّون منها الدعاة يدعون الناس إلى عقيدتهم. وتمكّن أحد الدعاة، أبو عبدالله الشيعي، من التقرّب من افراد قبيلة كتامة البربرية في اثناء حجهم في مكّة. فاستغلّ ذلك ورحل إلى شمال افريقيا حيث سعى لكسب دعم القبائل البربرية، واسس في المغرب نواة دولة إسماعيلية، دعيت الدولة الفاطمية، تيمّنا بفاطمة الزهراء ابنة الخليفة الإمام علي. واستدعى ابوعبدالله الشيعي إمام الإسماعيلية من مدينة سلمية إلى المغرب حيث نودي به اميرا للمؤمنين، وتلقب بعبدالله المهدي سنة ٢٩٧هـ/٩٠٩م.

استطاع المهدي ان يبني في المغرب دولة قوية قوامها جيش قوي مؤلف من قبيلة كتامة بشكل خاص. ثمّ تخلّص من ابي عبدالله في ٩١٠-٩١١م.

واختلفت الروايات التاريخية في صحة وعدم صحة انتساب الفاطميين إلى علي بن ابي طالب، ورغم ذلك تعاقب المهدي ثمّ ابنه القائم (٣٢٢-٣٣٤/٩٣٤-٩٤٥) والمعزّ(٣٥٨-٣٦٥/٩٦٩-٩٧٦) على زعامة الدولة الفاطمية في المغرب، وتمكّن الاخير من تحقيق حلم الفاطميين بنقل مركز الخلافة إلى الشرق[1]، بعدما كان الفاطميون قد وجّهوا عدّة حملات إلى مصر استطاعت احداها احتلال الاسكندرية لفترة من الزمن في عهد الخليفة القائم سنة ٣٣٤هـ/٩٤٥-٩٤٦م. وساعد تدهور الأوضاع الاقتصادية والسياسية في آخر عهد الإخشيديين، في تسهيل عملية وصول الفاطميين إلى مصر، في وقت كان فيه دعاة الإسماعيلية يهيّئون التربة لذلك. وسهّل عملية الفتح وجود القائد جوهر الصقلي في قيادة الجيش الفاتح الذي تمكّن بمهارته العسكرية من الانتصار على الجيش الإخشيدي، وبلباقته وحنكته من التقرّب إلى سكان مصر واعدا اياهم بالابقاء على معتقداتهم ومذاهبهم، مخفيا حقيقة طموحاته بإرساء دولة فاطمية شيعية معادية للعباسين السنّة[2] تؤذن "حيّ على خير

---

[1] الانطاكي، تاريخ، ص ٥٩-٧١. المقريزي، **اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا**، وللكتاب طبعتان، الاولى ط.بونز بنسخة واحدة، ص ٣١-٤٥؛ والطبعة الثانية صدرت عن وزارة الاوقاف في مصر في ثلاثة اجزاء، نشر الجزء الاول جمال الدين الشيال، والجزئين الثاني والثالث محمد حلمي احمد، ط.٢ القاهرة ١٩٩٦. الشرق العربي، المرجع المذكور، ص٢٣٥-٢٣٨.

[2] الانطاكي، تاريخ، ص١٣٠-١٣٣. اليافعي،ج٢/ص ٤١١- ٤١٥. المقريزي، اتعاظ، ط.بونز،ص ٤٥،٦١-٧٨. الشرق العربي، المرجع المذكور، ص ٢٥٢-٢٥٣.

العمل"[3] وتبني مدينة القاهرة التي يفترض ان تكون قاهرة بغداد رمز الخلافة العباسية.

اولا-الأوضاع السياسية في النصف الثاني من القرن العاشر

أ-الأوضاع الداخلية

دانت مصر للفاطميين، فكان الهمّ الثاني لهؤلاء فرض سيطرتهم على بلاد الشام، ومن ثمّ الوصول إلى بغداد عاصمة منافسيهم العباسيين على قيادة العالم الاسلامي.

بدأت السيطرة على بلاد الشام عندما ارسل جوهر الصقليّ احد قواده، جعفر بن فلاح الكتامي اليها، فهزم ابا محمد بن عبدالله بن طغج الإخشيدي والقرامطة في الرملة في فلسطين سنة ٣٥٩هـ/٩٧٠م، ثمّ سار إلى دمشق فدخلها بعد حرب شديدة من أهلها وفتن عظيمة وملك الساحل أجمعه واقام الخطبة للمعزّ وقطع الخطبة العباسية. ولكنّه سرعان ما اضطرّ للدفاع عن دمشق ضدّ هجمات القرامطة الذين ساءهم قطع الفاطميين للمعونة المالية التي كانوا يتقاضونها من الإخشيديين. وكان قد شجّع القرامطة على الوقوف بوجه الفاطميين كلّ من ظالم بن موهوب بن عقيل والعباسيون والحمدانيون. فظالم، الذي كانت عائلته تحكم حوران والبثنية من قبل الإخشيديين وانتزعها جعفر منها، لحق بالقرامطة في الاحساء يحثّهم على المسير إلى دمشق والوقوف في وجه الفاطميين. امّا العباسيون فدعم خليفتهم المطيع (٣٣٤-٣٦٣/٩٤٦-٩٧٤) القرامطة بالسلاح والمال، وحاول الحمدانيون نزع دمشق منهم. وآلت الحرب إلى مقتل جعفر في عام ٣٦٠هـ/ ٩٧١م[4]، فاحتل القرامطة دمشق بقيادة احمد بن مستور، باسم ابي علي الحسن بن احمد المعروف بالاعصم، او الاعسم، ثمّ تقدّموا باتجاه القاهرة، فاستعاد الفاطميون زمام المبادرة

---

[3] المقريزي، اتعاظ، ط. بونز، ص٧٩. السيوطي، **تاريخ الخلفاء**، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٦٩ص ٤٠٢.

[4] الانطاكي، تاريخ،ص١٤٣،١٤٦. ابن القلانسي، ذيل، ط.زكار، ص١. الازدي، ابن ظافر، أخبار الدول المنقطعة مع مقدمة وتعقيب لاندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٧٢، ص٢٤. ابن الاثير، الكامل، ط.صادر،ج٨/ص٥٩١ -٥٩٢ ؛ط.دار الكتب،ج٧/ص ٣٢٦-٣٢٧. سبط ابن الجوزي، مرآة، مخطوط كوبرفيلد رقم١١٥٧،ص١٧-١٩ نقلاعن الشرق العربي، ص ٢٦٣-٢٦٤. الصفدي، تحفة، ق١/ ٣٦٥، ٣٧٣-٣٧٥، ٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٨ . اليافعي، مرآة الجنان، ج٢/ص٣٨٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا،ط.بونز،ص ٧٨،٨٠، ٨٤،١٠٠،١٣١-١٣٢ ؛ ط. الشيّال ،وزارة الاوقاف، لجنة احياء التراث، مصر ١٩٩٦، ج١/ص ١٢٢-١٢٧، ١٨٦-١٨٩. اخبار القرامطة، ص٥٧،٣٦٤-٣٦٥،٤٠٢. دي خويه، المرجع المذكور ١١٣،١٥٢-١٥٣.

وابعدوهم إلى دمشق[٥]. وطبعا، كان من نتائج ذلك توقف اندفاع الفاطميين من بلاد الشام، باتجاه بغداد.

لم يستكن العباسيون للواقع الجديد فأرسلوا ظالم بن موهوب العقيلي من قبلهم إلى دمشق وكان قد قصد دمشق غير مرّة في ٣٥٧هـ/٩٦٨م و٣٥٨هـ/٩٦٩م، ثمّ غلب عليها، وبها صالح بن عمير العقيلي، فحاول الفاطميون استمالته اليهم، ونجحوا في ذلك بعد خلافه مع القرامطة. وتولى بعلبك في ٣٦٣هـ/٩٧٤م فاحتلّها[٦] ثمّ احتلّ دمشق في ١٠ رمضان ٣٦٣هـ/٩ حزيران٩٧٤[٧]، ولكن وصول القائد الفاطمي ابي محمود ابراهيم بن جعفر المغربي اليها، وتعيين ابن اخته جيش بن الصمصامة واليا على دمشق، اجبره على الخروج منها في ١٩ ذي القعدة ٣٦٣هـ/١١ آب٩٧٤م والبقاء في بعلبك[٨].

ولم يكن دخول الفاطميين دمشق امرا مريحا، اذ خاضوا فيها منذ العام ٩٧٧م صراعا مع " الاحداث" أي العصابات [٩]، حتى تمّ القضاء عليهم في ٩٩٩م في اوائل عهد الحاكم بامر الله(٩٩٦-١٠٢١م). وقد هال الخليفة المعزّ ما جرى في دمشق من صراع بين قوّاده واهلها، وبخاصة "الاحداث" فيها، فعيّن ريّان الخادم واليا على طرابلس، ثمّ كلّفه بحلّ مشاكل القادة الفاطميين في دمشق وتصريف امورها[١٠].

---

[٥] الانطاكي، تاريخ، ص١٤٦-١٤٧،١٥٢ . ابن القلانسي، ذيل، ط.زكار، ص٣-٨ . الازدي، علي بن ظافر(٦١٣/١٢١٦)، أخبار الدول المنقطعة،مخطوط رقم ١٥٧٠، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٥٤-٥٥. النويري، نهاية، ج٢٨/ص١٣٥-١٣٨.

الدواداري، كنز، الدرّة ج٦/١٥٩. الصفدي، تحفة، ص٣٦٥،٣٧٣-٣٧٥ . اليافعي،ج٢/ص٣٨٥. المقريزي، اتعاظ الحنفا،ط.بونز،ص٨٤-٨٦،٨٨ ؛ط. الشيال، ج١/ ص١٢٥-١٣٠، ١٨٨، ٢٠٢-٢٠٣،٢٠٤-٢٠٦. اخبار القرامطة، ص٥٩-٦٣،٣٦٥-٣٦٦،٤٠٢-٤٠٣. السيوطي،تاريخ الخلفاء، ص ٤٠١-٤٠٢. الاهوال، الحسين، غربال الزمان،المخطوط المذكور، ص١١٣.

[٦] ابن القلانسي،ذيل،ص٤-١١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥/٢١١؛ تهذيب، ج٧/ ص١٢٠. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/١٦٠.الصفدي، تحفة، ق١/٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٠-٣٨١. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص ٢٠٦. اخبار القرامطة، ص٦٣ ،٣٦٦،٣٨٨.

[٧] ابن القلانسي، ذيل، ص٤-١١. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥/٢١١. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/١٦٠. الصفدي، تحفة، ق١/ ٣٧٨-٣٧٩،٣٨٠-٣٨١. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ط.بونز، ص ١٣٣؛ط. الشيال،ج ١/ص٢١٠.

[٨] ابن القلانسي، ذيل، ٩-١٩. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥/٢١١؛ تهذيب، ج٧/ ص ١٢٠. الدواداري،كنز، الدرّة، ج٦/ ص ١٦٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج١/ص ،٢١١،٢١٩.

[٩] ابن القلانسي، ذيل، ص٩-١٩. ابن الاثير، الكامل، ط.صادر، ج٨/ص ٥٩١-٥٩٢ ؛ ط.دار الكتب،ج٧/ ٣٤٤-٣٤٥. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/١٦٦. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢١١-٢١٣.

[١٠] ابن القلانسي، ذيل، ص ٢٠-٢١. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب،ج٧/٣٤٦. الدواداري،كنز، الدرّة، ج٦/ ص١٦٩ . الصفدي، تحفة، ق١/ ٣٨١. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢١٤. اخبار القرامطة، ص -٦٦-٦٥.

وعاد العباسيون إلى مشروع انتزاع دمشق من الفاطميين، وكان اهل المدينة السنّة يفضّلون الخضوع للسلطة السنيّة العباسية على الحكم الفاطمي الشيعي- الاسماعيلي، لمخالفته لهم في الاعتقاد، فنجحوا في ذلك بقيادة هفتكين(الفتكين) التركي، الذي كان اعور، فقصدها في ثلاثماية غلام، بعدما كان العيّارون قد استولوا عليها، فسلّمها اهلها اليه في ٣٦٤هـ/ ٩٧٥م[١١]. كان الاخير قد هرب من بغداد خوفا من البويهيين، ونزل بضواحي حمص، فسار اليه ظالم العقيلي من بعلبك ليأخذه فلم يقدر عليه، وكان الاسوأ، بالنسبة إلى ظالم، انّ اهل دمشق كاتبوا هفتكين، فقدم إلى المدينة وغلب عليها في سنة٣٦٤هـ ، واقام الدعوة للعباسيين، وازال دعوة الفاطميين و طرد ظالم العقيلي من بعلبك[١٢]. ومرّة جديدة وجد الفاطميون انّ لا غنى لهم عن الاستعانة بقواتهم الموجودة في طرابلس، فارسلوا ريّان الخادم من طرابلس لاسترداد دمشق. ولكن وصول خبر قدوم الروم جعله ينكفيء إلى ولايته من دون تحقيق ما كان يشتهيه[١٣].

وسنحت الظروف لهفتكين لتأكيد سلطته، عند قدوم القرامطة مجددا إلى المنطقة، فقام بمحاولة اخذ الساحل، والسيطرة على صيدا، ونزع ظالم العقيلي منها، وكان ابن شيخ واليا بها؛ ولمّا عجز عن اقتحام حصونها استدرج قادتها بخدعة إلى خارجها حيث فتك ببعضهم وفرّ ظالم إلى صور[١٤].

وكما كان على طرابلس ان تؤدي دورا مميزا لصالح الحكم الفاطمي في دمشق، كان عليها ايضا ان تصمد في وجه هجمات البيزنطيين وافشال مشاريعهم في السيطرة على بلاد الشام.

ففي عهد نزال الكتامي الذي تولّى شؤون طرابلس، عرفت المدينة كيف تردّ غزوات البيزنطيين عنها في ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م، والردّ عليها بانتزاع اللاذقية من البيزنطيين واسر القائد" كرموك" وحمله إلى طرابلس ومنها إلى مصر[١٥].

---

[١١] الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/٢٢٥. ابن القلانسي، ذيل، ص٢٢. ابن كثير، البداية، ج١١/ ٢٣٩. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/١٦٩. الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث٣٥١-٣٨٠هـ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي ١٩٩٣، ص٤٠٧. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص ٢١٨.

[١٢] الدواداري،كنز، الدرّة،ج٦/ص ، ١٦٨،تحفة،ص ٣٨٢-٣٨٣. المقريزي، اتعاظ ، ج١/ ص ٢١٩-٢٢٠. الشدياق، أخبار، ج٢/ ص ٥٠١.

[١٣] الازدي، علي بن ظافر، أخبار الدول المنقطعة، المخطوط المذكور، ص ٥٨. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص ٢٢٠.

[١٤] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٨-٢٩. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٧/٣٥٦. الدواداري،كنز، الدرّة،ج٦/ص ٧٦ ١، تحفة، ص ٣٨٢-٣٨٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٣٥١-٣٨٠هـ، ص ٤٠٧. ابن كثير، البداية،ج١١/٢٣٩. المقريزي، اتعاظ الحنفا،ج١/ص٢٣٨- ٢٣٩.

[١٥] الانطاكي، تاريخ، ص ١٩٤-١٩٥. ابن القلانسي، ذيل، ص ٣٠. النويري، نهاية ،ج٢٨/ ص١٥٨-١٥٩. Schlemberger, , **l'épopée byzantine**,Paris 1896- 1905.III, p488.

ومارس نزال، كما فعل من قبله ريّان، نفوذا مهمّا في بلاد الشام، فأخرج بكجور والي دمشق منها سنة ٣٨١هـ/٩٩١م، بعدما انقلب على السلطة الفاطمية هو وغلامه رصيف حاكم بعلبك من قبله[١٦]. واستعانت الدولة الفاطمية ايضا بابن نزال عندما حاول بكجور فاشلا وضع يده على حلب سنة ٣٨١هـ/ ٩٩١م[١٧]. ومرّة اخرى استعان الفاطميون بنزال عندما عمد والي دمشق، منير الخادم من قبلهم، إلى الاستقلال بها سنة ٣٨١هـ، فهاجمه نزال قرب دمشق وانتصر عليه في ٣٨١هـ/ ٩٩١م(او في ٣٨٢هـ) ثمّ توفي في السنة نفسها[١٨].

ب-الحملات البيزنطية

١- حملة تزيمسكس (٩٦٩-٩٧٩م)Johannes Tzimiskès المعروف بابن الشمشقيق او ايوني شموشكين في ٣٦٤- ٣٦٥هـ/٩٧٥-٩٧٦م

قام الفسيلفس ابن الشمشقيق(كلمة ارمنية تعني قصير القامة) في ٩٧٦م بحملة على بلاد الشام مستغلا الصراع الفاطمي- القرمطي، فاحتل انطاكية وبقي الروم فيها من ٩٦٩ إلى ١٠٨٥م[١٩] ودخل حمص[٢٠]، ثم سار عبر مجرى نهر العاصي إلى بعلبك فأخربها واخذ جماعة من اهلها، فهزم هفتكين[٢١]، وهادنته دمشق[٢٢] التي فشلت محاولات الفاطميين في انتزاعها[٢٣]. وسار الامبراطور إلى مدن فلسطين فبلغ

---

[١٦] الروذرواري، **ذيل كتاب تجارب الامم**، مع نخب من تواريخ شتى، نشر امدروز، مصر ١٩١٦، ج٣/٢٠٨-٢١١. بن ظافر الازدي، اخبار الدول المنقطعة،، ص٣٢،٢١٠. الدواداري، كنز، الدرة،ج٦/ص ٢٠١. ابن كثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٧/٤٣٣ . المقريزي، اتعاظ، ج١/ص ٢٥٩.

[١٧] الروذرواري، ذيل تجارب الامم، ج٣/ص ٢٠٨-٢١١. ابن القلانسي، ذيل،ص٥٣. الدواداري،كنز، الدرة،ج٦/ص٢١٠-٢١٢. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢٦٩-٢٧٠.

[١٨] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٢١. ابن القلانسي، ذيل، ص ٦٨-٦٩. النويري، نهاية، ج٢٨/١٦١. الدواداري،كنز، الدرة،ج٦/ص٢٣٢-٢٣٣. الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث٣٨١-٤٠٠هـ، تحقيق عمر تدمري، ص ١٠. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢٦٩-٢٧٠.

[١٩] الصليببي، المرجع المذكور،ص ٦٤.

[٢٠] ابن حوقل، صورة الارض، ص ١٦٣-١٦٤.

[٢١] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦١. ابن القلانسي، ذيل، ص ١٢-٢٤. ابن شداد، الاعلاق، ج٢-ق٢/٤٣. ابن العبري، تاريخ الزمان، ص ٦٨. الدواداري،كنز، الدرة ،ج٦/ ١٧٠. المقريزي، اتعاظ ،ج١/ ص٢٢١. الدبس، من تاريخ سوريا، المرجع المذكور، نقلا عن شدرانس وزاناراس وبولس الشماس، م٥/٣٩٦.

[٢٢] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٢. ابن القلانسي، ذيل، ص٢٤. الازدي، ابن ظافر، أخبار، ص٣٥. الدواداري،كنز، الدرة ،ج٦/١٧٠. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص ٢٢١. الدبس، المرجع المذكور، نقلا عن شدرانس وزاناراس وبولس الشماس، م٥/٣٩٦. رستم ، انطاكية، المرجع المذكور، ج٢/١٥٥.

[٢٣] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٢. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص ٢٢٢.

إلى قيسارية[٢٤]، ثمّ عاد ادراجه إلى لبنان، عند وصول خبر الانزال البحري الفاطمي في بيروت على يد نصير الخادم غلام المعزّ[٢٥]، فوصل إلى صيدا التي استسلمت له على يد ابي الفتح بن شيخ[٢٦]، وامتنعت بيروت حيث لقيه نصير غلام المعزّ فهزمه واسره[٢٧]، واخذ جبيل عنوة، فنهبها كما نهب بيروت[٢٨]. ثمّ قصد طرابلس التي قاومته بضراوة بمساندة الجند الفاطمي بقيادة ريان الخادم مدّة اربعين يوما [٢٩]. ولمّا فشل الحصار، وكان منافساه باسيل وقسطنطين قد دسّا له السمّ، اعتلّ وانكفأ عنها بعدما خرّب جوارها[٣٠].

ومن المرجّح انّ غزوات الروم المتكرّرة لمنطقة العاصي وجند حمص وجند حلب كانت السبب في إجلاء الموارنة عن تلك المناطق. والدليل على ذلك ان الوجود الماروني في تلك النواحي كان قائما بشكل ملحوظ في زمن المسعودي (ت ٩٥٦م)، ولم يبق من هذا الوجود شيء يستحقّ الذكر بعد خروج الروم من انطاكية في اواخر القرن الحادي عشر. والظاهر ان بعض الموارنة هرب من الروم إلى حلب بينما نزح البعض الآخر إلى شمال لبنان [٣١].

٢-حملات باسيل الثاني

لم يتوقف البيزنطيون عن مشاريع غزو المنطقة، فقام الامبراطور باسيل الثاني (٣٦٥- ٤١٦هـ/ ٩٧٥- ١٠٢٥م)، بغارة على طرابلس عام٣٦٥هـ/٩٧٦م حصد منها غنائم كثيرة. وجرت غارة اخرى في ٣٧٠هـ تبعها هجوم لابن نزال وابن شاكر من طرابلس على اللاذقية[٣٢].

---

[٢٤] Schlemberger,op.cit., vol. I pp. 305

[٢٥] النويري، نهاية، ج٢٨/ ص ١٥٠. الدواداري،كنز، الدرّة،ج٦/ ص ١٧٠. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص٢١٨.

[٢٦] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٦. ابن العبري، تاريخ، ص ٦٨.

[٢٧] الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/٢٢٥. الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٢. ابن القلانسي، ذيل، ص٢٦. ابن العبري، تاريخ، ص ٦٨. الدواداري، كنز،الدرّة، ج٦/١٧١. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص ٢٢٢. رستم، انطاكية، المرجع المذكور،ج٢/١٥٥.

[٢٨] الهمداني، تكملة تاريخ الطبري، ج١/ ٢٠١، ٢٢٥. ابن القلانسي، ذيل،ص٢٦. رستم، المرجع نفسه.

[٢٩] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٢. ابن القلانسي، ذيل، ص١٤. النويري، نهاية، ج٢٨/ص ١٥١ . الازدي، ابن ظافر، أخبار، ص٣٥. الدواداري،كنز، الدرّة،ج٦/ص١٧١. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص٢١٨، ٢٢٢، ٢٣٠. الدبس، المرجع المذكور، م٥/ ٣٩٦. رستم، المرجع نفسه.

[٣٠] ابن القلانسي، ذيل، ص ٢٦-٢٧. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢٢٢. الدبس، المرجع المذكور، م٥/٣٩٦. رستم، المرجع نفسه.

[٣١] الصليبي، المرجع المذكور، ص ٦٤.

[٣٢] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٦، ١٩٥.

وسنحت الفرصة مرّة ثانية لباسيل ليجرّب حظّه، عندما حاول الفاطميون انتزاع حلب من ايدي الحمدانيين، فاستنجد صاحبها بالامبراطور البيزنطي باسيل الثاني[٣٣] الذي ارسل اليه حملة وصلت إلى انطاكية وسارت إلى حلب حيث استقبله صاحبها سعيد الدولة الحمداني وعقد معه معاهدة تحالف. ثمّ سار الامبراطور منها إلى شيزر فحمص[٣٤] فطرابلس التي استسلم له واليها المظهر ابن نزال، ولكن قاضي المدينة علي بن عبد الواحد بن حيدرة، وكان من اهل المدينة والرعية، رفض الاستسلام وتابع المقاومة بقيادة اخي الوالي فصمدت في وجه الذي حاصرها أكثر من أربعين يوما، فتركها خائبا. وكان باسيل قد ملك ايضا عرقا وهدمها ثمّ انصرف عنها، ثمّ عاد المسلمون وعمّروها[٣٥].

وتتابعت غزوات الروم الفاشلة لطرابلس، فكانت غزوة في السنة ذاتها في ٣٨٣ هـ/٩٩٣م، اسر فيها الكثير من اهلها، ثمّ بعد ثلاثة اشهر تمّ غزو عرقا وسبي جماعة منها، واخرى في ٣٨٥هـ و٣٨٦هـ ٩٩٦م لم ينتج منها الاّ التخريب[٣٦]. وكان ردّ الفاطميين على ذلك تجهيز الاسطول البحري الذي باءت محاولاته بالفشل[٣٧].

ثانيا-الأوضاع السياسية في القرن الحادي عشر

في نهاية القرن العاشر تسلّم الحاكم بأمر الله(٣٨٦-٤١١هـ/٩٩٦-١٠٢٠م) الخلافة الفاطمية، فعيّن سليمان بن جعفر بن فلاح حاكما على دمشق فأعطى ولاية طرابلس لاخيه علي بن جعفر وصرف عنها جيش بن الصمصامة. ولم يهنأ سليمان بحكم دمشق، اذ سرعان ما ثارت المدينة عليه، فخرج من البلد هاربا إلى مصر، تاركا المدينة المذكورة بيد "الاحداث"[٣٨].

---

[٣٣] الانطاكي، تاريخ، ص٢٢٥. الروذرواري، ذيل تجارب الامم، ، مع نخب من تواريخ شتى،ج٣/ ص٢٠٨-٢١١. ابن القلانسي، ذيل،ص ٧٠. ابن العبري، تاريخ، ص ٧٢. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص ٢٨٥. ابن تغري بردي، النجوم، ج٤/ ص ١٢٠-١٢١. Schlemberger,op.cit.V.III, pp 86- 89.

[٣٤] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٢٨. ابن القلانسي، ذيل، ص٧٢-٧٣. الروذرواري، ذيل تجارب الامم، ج٣/ ٢٠٨- ٢٢١. ابن ظافر الازدي، اخبار الدولة الحمدانية، ص ٥٧.

[٣٥] الانطاكي، تاريخ، ٢٢٩، ٢٣٠. ابن القلانسي، ذيل، ص ٧٣. الروذراوري، ذيل تجارب الامم، ج٣/٢٢٠-٢٢١. الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث ٣٨١-٤٠٠هـ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٩٣، ص ١٠. ابن الاثير، الكامل، ج٧/٤٥٦. ابن شدّاد، الاعلاق،ج٢/ ق٢، ص٩٣ - ٩٤. ابن العبري، تاريخ، ص ٧٣. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص ٢٨٦. رستم، انطاكية، ج٢/١٦٠.

[٣٦] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٣٠.

[٣٧] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٣٣-٢٣٤. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص ٢٩٠.

[٣٨] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٣٩-٢٤٠. الرذرواري،ذيل تجارب الامم ج٣/ ص ٢٢٤. ابن القلانسي، ذيل، ص٨٠.ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٧/ص٤٨٠. النويري، نهاية الارب ج٢٨/ ص ١٧١. الازدي، ابن ظافر، أخبار، ص٢٢٤.
ابن كثير، الكامل في التاريخ ج٩/ ص ١١٩.

وكان من ابرز الاحداث في لبنان، في عهد الخليفة الحاكم بأمر الله، خروج ملاح يدعى علاقة على سلطته واعلانه الثورة في صور.

أ-ثورة علاقة

في عام ٣٨٧هـ/٩٩٧م قامت في صور، بسبب جور الفاطميين وتعدياتهم على الناس، و لا سيما التعدي على الحريم، ثورة ضد الحكم الفاطمي تزعمها شخص يدعى علاقة، ينعته الانطاكي بالخارجي ويعتبره المقريزي رجلا من البجوية، كان يعمل ملاحا فانضم اليه "احداث" المدينة ورعاعها. ونتج عن الثورة مقتل ممثل السلطة الفاطمية واصحاب السلطان وضرب السكة باسم علاقة وعليها كما يقول النويري، شعار:عز بعد فاقة، وشطارة بلباقة، للامير علاقة"؛ او كما تقول باقي المصادر "عز بعد فاقة للامير علاقة".

واستبدل الخليفة الحاكم بامر الله سليمان بن جعفر بن فلاح على ولاية دمشق بابن الصمصامة الذي كان سليمان قد صرفه عنها. وعند استلامه السلطة مجددا ارسل عشرين مركبا من الاسطول الفاطمي لمحاصرة صور، وفيها ابن حمدان وفايق الخادم وجماعة من العبيد، في الوقت الذي سارت فيه من دمشق قوى برية تؤازرها قوى مدن الساحل، بمن فيهم حاكم طرابلس، علي بن حيدرة، وابن شيخ حاكم صيدا.

واستنجد اهل صور بالروم، فاستغل الامبراطور البيزنطي باسيل الفرصة للتوسع في بلاد الشام، فارسل عدة سفن اصطدمت بالسفن الفاطمية وخسرت المعركة معها، واسر مركب من اسطول الروم فيه مائتا نفس قتلوا عن آخرهم. وأطبق الفاطميون الحصار على صور بحرا وبرا، فاستسلم اهل المدينة لهم، فدخلوها وقبضوا على علاقة وجماعته، ونهبوا المدينة، وقتلوا وسبوا جماعة من اهلها. وحمل علاقة إلى مصر حيث البس طرطورا من رصاص وطيف به ثم اعدم، بعدما سلخ جلده حيا وحشي تبنا وصلب. وقتل من اسر من اهل صور، واعطيت الولاية على المدينة لابن ناصر الدولة الحمداني[٣٩].

ب-الصراع مع البيزنطيين وعقد الهدنة معهم

بعد ثورة علاقة، ودخول البيزنطيين على خط الصراع، سعى الفاطميون لإبعاد هؤلاء عن المنطقة، فسار ابن الصمصامة، والي دمشق، إلى افامية لقتالهم، يشاركه

---

[٣٩] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٤٠-٢٤١. ابن القلانسي، ذيل، ص ٨٣-٨٤. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢، ص١٦٤ -١٦٥. ابن العبري، ص ٧٤. النويري، نهاية، ج٢٨/ص ١٧٣-١٧٤. الازدي، ابن ظافر، أخبار، ص ٢٢٦. ابن الاثير، الكامل، ط.دار الكتب، ج٧/ص٤٨٠. الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث٣٨١-٤٠٠هـ، ص ١٩٦. المقريزي، اتعاظ ،ط.محمد حلمي محمد احمد، القاهرة ١٩٩٦، ج٢/ ص ١٨.

في ذلك القاضي ابن حيدرة من طرابلس وواليها ميسور الصقلبي. في البدء خسر الفاطميون المعركة [٤٠]، ولكن محاولة اغتيال قائد الروم، على يد شخص كردي، قلبت موازين المعركة لصالح المسلمين فتحررت افامية من البيزنطيين [٤١].

جاء رد البيزنطيين على هذا النجاح حملة جديدة على بلاد الشام في سنة ٣٨٩هـ/٩٩٩م او ٣٩٠هـ، عندما خرج الامبراطور باسيل مجددا، ولم يكن قد مضى الا سنوات قليلة على آخر الحملات البيزنطية المذكورة سابقا. فسار إلى افامية فشيزر فمصياف فحمص فبعلبك متوجها إلى دمشق، وعندما علم باجتماع الجيوش في الولايات الشامية بقيادة ابن الصمصامة، والي دمشق، انحرف إلى الساحل فهاجم عرقا وهدم حصنها واحرقها وحاصر طرابلس وقطع الماء عنها. ووصل شلنديان (مركبان) حربيان كبيران بيزنطيان أسهما في تموين الحصار الذي دام قرابة احد عشر يوما، من ٦ إلى ١٨ كانون الاول. ولكن المقاومة الناجعة لسكان طرابلس اجهضت، بقيادة ميسور الصقلبي والقاضي ابن حيدرة، الحصار، فآلت محاولة البيزنطيين هذه المرة ايضا إلى الفشل، بعد مساندة صاحب صيدا ابن شيخ بحريا للطرابلسيين [٤٢].

ولم ينته الصراع بين البيزنطيين والفاطميين إلا بعد عقد هدنة لعشر سنوات بين الامبراطور باسيل والخليفة الحاكم بأمر الله [٤٣].

ج- دور طرابلس يتجاوز حجمها

يبدو ان دور طرابلس لم يكن مقتصرا على مقاومة هجمات البيزنطيين، بل محاربتهم ايضا في عقر الاراضي التي كانوا يحتلونها في منطقة انطاكيا وجوارها. ففي سنة ٤٠٠هـ/١٠٠٩م لجأ امير حلب، ابو الهيجاء الحمداني، إلى الامبراطور باسيل الثاني وطلب منه المساعدة ضد الفاطميين، فما كان من مرتضى الدولة ابن لؤلؤ الخادم، الوصي على ابي الهيجاء، الا ان طلب مساعدة الخليفة الفاطمي لتثبيت سلطته على حلب. فبادر الحاكم بأمر الله إلى ارسال قائد طرابلس العسكري الوالي ابي سعادة وقاضيها ابن حيدرة المستولي على النظر في طرابلس وفي سائر الحصون لنجدة مرتضى الدولة. فتمكنت قواتهما من ذلك واجبرت ابا الهيجاء على

---

[٤٠] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٤٣. ابن القلانسي، ذيل، ص٨٤-٨٥. ابن شداد ، الاعلاق ج٢/ق٢ ص ١٦٥. ابن العبري، مختصر، ص ٧٣-٧٤. ابن الاثير، الكامل، ط.دار الكتب، ج٧/٤٨١.

[٤١] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٤٣. ابن القلانسي، ذيل،ص٨٥. ابن العبري، مختصر، ص ٧٣. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٧/ص ٤٨١. المقريزي، اتعاظ ج٢/ ص ١٩.

[٤٢] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٤٤- ٢٤٦. ابن شداد، الاعلاق ج٢/ق٢ ص ٩٣-٩٤. المقريزي، اتعاظ، ج٢/٣٢. ديوان الصوري، ج١/ ص ٤٣٠-٤٣١. اسد رستم، الروم وصلاتهم بالعرب، ج٢/ ص ٥٧. Schlemberger, op.cit,t.VIII, p155

[٤٣] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٤٨. ابن القلانسي، ذيل، ص ٩٠. المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٢/ ص ٣٩، ١٠٧.

الفرار إلى بلاد الروم. وسلم ابن حيدرة قلعة عزاز إلى مرتضى الدولة، فلم يـرق ذلك للخليفة الحاكم. وفي تلك الآونة تحرك بنو كلاب في حلب وفي صور، فتمكن منهم مرتضى الدولة في حلب وابن حيدرة في صور الذي عين عليها حاكما من قبله. وكان ابن حيدرة قد اشترط على مرتضى الدولة اقامة وال فاطمي على حلب، فلما لم يستجب له من جهة، ومن جهة اخرى كان ابن حيدرة قد سلمه قلعة عزاز، نقم الحاكم على القاضي المذكور وعمد إلى قتله، على يد قائد من مصر وخادمين. وكان ابن حيدرة، بالاضافة إلى صفاته الادارية المذكورة اعلاه، متميزا كمحدث[٤٤].

وبعد قتل القاضي ابن حيدرة حل ولداه الحسن وهبة الله ابن حيدرة مكانه في قضاء طرابلس[٤٥].

ولم يكن تصرف الخليفة الحاكم الغريب مع ابن حيدرة، الا صورة من صور غرائبه، التي لا تصدق، والتي طاولت مصر وبلاد الشام، وكان منها هدم الكنائس في بلاد الشام والقتل والاحكام الغريبة العجيبة، وقد اسهب في شرحها الانطاكي المعاصر للحاكم[٤٦]، وتحويل الكنيس اليهودي في طرابلس إلى مسجد[٤٧]، واجبار المسيحيين على حمل الصلبان في اعناقهم بطول ذراع وزنة خمسة ارطال، واليهود قرام من خشب على مثال الوزن المذكور[٤٨].

هذه الأوضاع الشاذة تغيرت بغياب الحاكم، وسعي اخته ست الملوك لاعادة الحياة إلى الكنائس، وإلى التجارة بين بلاد الروم وبلاد الاسلام[٤٩].

د-اهتزاز سيطرة الفاطميين

ستكون بداية ذلك في لبنان، في سنة ٤١٥هـ/١٠٢٤م، عندما اصبح اسد الدولة صالح بن مرداس، وهو رئيس قبيلة كلاب، اميرا على حلب ووضع يده على حصن عكار عام ١٠٢٥، ثم ملك قلعة بعلبك مرتين، وفي الثانية قتل بها خلائق،

---

[٤٤] الانطاكي، تاريخ، ص ٣١٦-٣١٨. ابن العديم، زبدة، ج١/ ص ١٩٨-٢٠٠. الذهبي، **تاريخ الاسلام**، حوادث ٤٠١-٤٢٠هـ، تحقيق عمر تدمري،دار الكتاب العربي،بيروت ١٩٩٣، ص ٤٥. اليافعي، مرآة الجنان، ج٣/ص٣ .

[٤٥] تدمري، المرجع المذكور، ص٦١.

[٤٦] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٥٠-٢٥٤،٢٥٦-٢٥٨،٢٦٨-٢٧٠،٢٧٦-٣١٤،٣٢٩-٣٣٢،٣٣٦-٣٥١. ابن القلانسي، ذيل، ص ١٠٨-١١١، ١٢٧-١٢٨. القضاعي، **تاريخ القضاعي**، مخطوط في مكتبة بودليان في اكسفورد رقم ٢٧٠، نقلا عن الشرق العربي، المرجع المذكور، ص٢٧٢-٢٧٦. النويري، نهاية، ج٢٨/ص ١٧٦-١٨٠، ١٩١-٢٠١. المقريزي، اتعاظ،ج٢/ ص ٣٨-٣٩، ٤٤-٤٥، ٤٨-٥٩، ٦٩، ٧٥-٨٣، ٨٦-٩٦، ١٠٠-١٠٧، الخ .

[٤٧] تدمري، المرجع المذكور، ص ٦٥.

[٤٨] القضاعي، المصدر المذكور اعلاه.

[٤٩] الانطاكي، تاريخ، ص ٣٨٧. ابن العديم، زبدة، ج١/ص٢٣٠. عبد المنعم ماجد، الإمام المستنصر، القاهرة، ١٩٦٠، ص ٧٤.

كما سيطر على صيدا[50]، ولم يبق للفاطميين الا صور[51]. وعمد ابن مرداس للتحالف مع حسان بن جراح، رئيس قبيلة طي، في جند الاردن وفلسطين، فأوقع الفاطميون بقيادة انوشتكين الدزبري الهزيمة بالحليفين في واقعة الاقحوانة (قرب طبرية)عام ١٠٢٩م، حيث مقام النبي شعيب الشهير عند الدروز. وعندما عرف اصحاب صالح بقتله في المعركة تخلوا عن بعلبك وصيدا وصور وعكار وغيرها لاصحاب السلطان[52]. وكان صالح بن مرداس من اتباع الدعوة الدرزية ثم انقلب عليها[53].

وبعد معركة الاقحوانة خضعت بعلبك لمتولي دمشق وبقيت خاضعة له إلى ان تغلب عليها مسلم بن قريش صاحب الموصل، ثم آلت إلى تتش السلجوقي عندما سيطر على المنطقة[54].

هـ-محاولات استعادة الهيبة الفاطمية

تنبه الفاطميون لأخطار نزوع النافذين إلى خلق كيانات محلية، فسعى الخليفة الظاهر(٤١١-٤٢٧/١٠٢٠-١٠٣٥) لاستعادة السلطة على سواحل بلاد الشام مرسلا أسطوله إلى مدن لبنان صور وطرابلس[55]، كما ارسل حملة برية سيطرت على بعلبك وعكار وصيدا[56]. وكان احتلال عكار على يد والي طرابلس مختار الدولة بن نزال[57].

وقرر الفاطميون العودة إلى مشاريع الاحتكاك بالروم، فقام نصر بن مشرف، سيد حصن المنيقة والرواديف، ببناء الحصون في شمال سوريا، وبالإغارة علىالروم، مشجعا والي طرابلس وقاضيها على اخذ مرقية. واذ كان الفشل حليفهم،

---

[50] الانطاكي، تاريخ، ص ٤٠٢.ابن شداد، الاعلاق، ج ٢ ـق٢/١١٢،٤٤ . المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ١٥٥، ١٧١. ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢/ ص١٤١. ابن كثير، الكامل، ج٩/ ص ٢٣١.

[51] المسبحي، اخبار مصر، ص ٤٣.

[52] الانطاكي، تاريخ، ص٤١٠-٤١٢. ابن القلانسي، ذيل، ص ١١٩. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص ١٦٨،٦٩. ابن العديم، زبدة، ج١/ص ٢٣١. ابن شداد، الاعلاق،ج٢ ـق٢/ ٤٤-١١٣. النويري، نهاية ، ج٢٨/ ص٢٠٦. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ١٧٨. الصليبيي، المرجع المذكور،ص ٦٩. مكي، المرجع المذكور، ص ٩٥. وفي معركة الاقحوانة شارك الدروز إلى جانب انوشتكين ، و يعتبر سليم ابواسماعيل انه في الاقحوانة كان بناء الطائفة الدرزية العسكري. وعلى مقام النبي شعيب القائم في الاقحوانة عقدت المواثيق. ابواسماعيل، الدروز، ص ٦٥.

[53] مكي، المرجع المذكور، ص٩٥.

[54] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢، ص ٤٤.

[55] المسبحي، اخبار مصر،ص١٧٠. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ١٥٥.

[56] النويري، نهاية، ج٢٨/ ص ٢٠٦. الدواداري،كنز، الدرة، ج٦/٣٢٦.

[57] Schlemberger, op.cit,III,p71.

دفعوا الروم للانتقام، بهجومهم على عكار وعرقا حيث سبي كثيرون وكثر التخريب[58].

ونجح البيزنطيون باستمالة والي طرابلس ابن نزال اليهم في سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، على أن يؤدي لهم جزية سنوية. وكان رد الفاطميين دخول المدينة سنة ٤٢٤هـ/ ١٠٣٣م، ففر ابن نزال إلى انطاكية. فأرسل البيزنطيون حملة بحرية انتصرت على الاسطول الفاطمي، واستولت على طرابلس واعادت ابن نزال اليها. وبفضل رفض الاهالي الانصياع للبيزنطيين، عادت طرابلس إلى ايدي الفاطميين[59]، ولم يحل موقف ابن نزال المتخاذل دون ان يمضي، بقية العمر في طرابلس حتى عام ٤٨٢هـ/١٠٩٠م[60].

ولم تعد طرابلس وحدها إلى السلطة الفاطمية، ففي عام٤٢٧ او ٤٢٩هـ/١٠٣٧ استرد انوشتكين الدزبري حلب. فعقد الامبراطور ميخائيل هدنة مع الخليفة المستنصر(٤٢٧-٤٨٧/١٠٣٦-١٠٩٤) اثمرت انتعاشا اقتصاديا، وكان من نتائجها المباشرة إطلاق خمسين الف مسيحي! كانوا معتقلين في مصر والترخيص بتجديد بناء كنيسة القيامة[61]. ثم تكررت الهدنة سنة ٤٣٧هـ[62].

لكن هذه الهدنة لم تمنع انتكاس العلائق البيزنطية- الفاطمية في عام ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، عندما رفضت الامبراطورة تيودورة ابنة قسطنطين مد مصر بالحبوب، اثر مجاعة اصابتها في ذلك الوقت، مشترطة موافقة المستنصر على عقد معاهدة دفاع معها ضد السلاجقة. فلما لم تنجح في ذلك مالت إلى السلاجقة للتحالف معهم، فما كان من المستنصر الا ان ارسل جيشه إلى اعمال انطاكية، فرد البيزنطيون، على هذا الاجراء، بحملة بحرية على طرابلس فشلت في تحقيق مرامها بعدما انجد قاضي صور، ابومحمد عبدالله بن عياص، المدينة برا وبحرا[63].

لن يبقى البيزنطيون المناوئين الوحيدين للفاطمين، والعاملين على تجربة مد سلطتهم إلى بلاد الشام، اذ ستدخل إلى المسرح السياسي، قوة اسلامية ناشئة جديدة، ستتنازع مع الفاطميين على حكم المنطقة، هي قوة السلاجقة الاتراك. وستكون هذه

---

[58] Schlemberger,op.cit,III,p71.الانطاكي، تاريخ، ص ٤٢٠-٤٢١. العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٣٠.

[59] Schlemberger,op.cit,III,p71.، اسد رستم، الروم، ج٢/ص ٦٥. الدبس، المرجع المذكور، ج٥/ ص ٤٥٧.

[60] **ديوان ابن الخياط**(ت٥١٧ هـ)، تحقيق خليل مردم بك، دمشق ١٩٨٥،ص ١١٥-١١٧.

[61] ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب،ج٨/ص٢٢٨. ابن العبري، ص ٨٨ . النويري، نهاية، ج٢٨/ص ٢١٢. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ ص ١٨٢. ارشيبالد لويس،، القوى التجارية ، ص٣٢٨. تقي الدين الدوري، **صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط**، بغداد ١٩٨٠، ص ١٧٣.

[62] المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص١٩٤.

[63] ابن ميسر، اخبار مصر، المخطوط تحت عنوان تاريخ مصر، رقم ١٦٨٨ ، المكتبة الوطنية في باريس، ص٦. المطبوع ج٢/ ص ٧. الدواداري، كنز، الدرة، ج٦/ ٣٦٩. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ ص٢٢٦-٢٣١. المواعظ، ج٢/ ص ٢٢٦.

المرحلة التي سبقت وصول الصليبيين- الفرنجة في نهاية القرن الحادي عشر، مرحلة الصراع السلجوقي - الفاطمي، وقيام كيانات محلية شبه مستقلة، في كل من طرابلس وصور، مستفيدة من تجاذبات هذا الصراع.

و-محاولات السيطرة السلجوقية

في عام ١٠٦٤ م بدأ بعض الاتراك الغز السلاجقة السنة الاستقرار بطرابلس، فأدى ذلك إلىخروجها عن سيطرة الدولة الفاطمية، عندما توجه زعيم الغز الملك هارون بن منان التركماني ومحمود بن مرداس اليها سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م، وعينا عليها حكاما من ابناء الفتح. وكان امين الدولة ابن عمار قاضيها في خدمة سلطان مصر، وعبثا حاول حصن الدولة حيدرة الكتامي ارجاعها إلى سلطة الفاطميين فلم ينجح الا بحيلة من ابن عمار الذي استمال اليه قادة الثوار، ففتحوا ابواب المدينة لحصن الدولة، القائد الفاطمي، الذي فتك بأبناء الفتح وبأنصارهم تاركا طرابلس بيد ابن عمار[٦٤].

ودخلت صور ايضا حلبة الصراع السلجوقي -الفاطمي عندما نزل امير الجيوش بدر المستنصري في العسكر المصري في ثغر صور في عام ٤٦٢هـ محاصرا عين الدولة ابن ابي عقيل الغالب فيها. فاستنجد المذكور بالامير قرلوا مقدم الاتراك المقيمين في دمشق، فوصلوا إلى صيدا، وعديدهم اثنا عشر الف فارس، وحاصروها؛ وعندما علم بدر بذلك رحل عن صور، فانكفأ الاتراك إلى دمشق، فعاد بدر إلى حصارها برا وبحرا مدة سنة، عانى الاهالي خلالها الامرين من جراء ذلك، واكلوا الخبز كل رطل بنصف دينار. ولم يوفق بدر في تحقيق امانيه بسبب مساندة الاتراك لصور[٦٥].

وسيحقق الاتراك اول نجاحاتهم عام ٤٧١هـ، عندما تمكن تاج الدولة تتش، صاحب دمشق السلجوقي، من اخذ صيدا، ومن اخذ بيروت التي بقيت بيد الترك[٦٦]. وفي العام نفسه، أي سنة٤٧١هـ ، كان ثغرا صور وطرابلس في ايدي قضاتهما، قد تغلبا عليهما ولا طاعة عندهما لامير الجيوش بدر[٦٧].

---

[٦٤] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٥٥. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٧١. راجع تفاصيل هذه الاحداث في تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصليبيين، دار الايمان، طرابلس - لبنان١٩٩٤، ص ٩٦- ١٠١.

[٦٥] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٦٥.ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٣٨٤. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ٣٠٣. الذهبي، تاريخ الاسلام،حوادث ٤٦١-٤٧٠هـ، ص٧.

[٦٦] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص٩٨، ١٠٢.

[٦٧] ابن القلانسي، ذيل، ص١٨٢. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص٩٩.

ز-تأكيد السيطرة الفاطمية على بعض مدن لبنان في أواخر القرن الحادي عشر

في سنة ٤٨٢هـ ، خرج عسكر مصر قاصدا الساحل، ففتح ثغري صور وصيدا. وكان في صور اولاد القاضي عين الدولة بن ابي عقيل بعد موته، ولم يكن لهم من القوة ما يمتنعون بها فسلموها، وكذلك استسلمت صيدا. ثم رحل العسكر عنهما ونزل على ثغري جبيل وعكا فافتتحهما، واصلح امير الجيوش احوال هذه البلاد وقرر قواعدها واستعمل عليها الامراء والعمال[٦٨]. وفي سنة ٤٨٦(او ٤٨٢ او ٤٨٥ او ٤٨٩هـ في مصادر اخرى) خرج من مصر عسكر كبير إلى ثغر صور، لما عصى واليها الامير خير(او منير) الدولة الجيوشي، وكان اهل صور قد انكروا عصيانه، وكرهوا خلفه لسلطانه امير الجيوش بدر. وتمكن الجيش المصري من صور فنهبها، واسر خلقا كثيرا، واخذ خير الدولة وخواصه واجناده إلى مصر، وفرض على اهل البلد ستين الف دينار اجحفت بأحوالهم[٦٩].

عشية وصول الصليبيين، سعى الفاطميون لتأكيد سلطتهم على صور، فجاء العسكر المصري ونزل في المدينة عام٤٩٠هـ ، عند ظهور عصيان واليها المعروف بالكتيلة، فافتتحها بالسيف، وقتل فيها خلقا كثيرا، ونهبها وحمل الوالي إلى مصر وقتل فيها[٧٠]. اما بعلبك فقد خرجت عن السيطرة الفاطمية في خضم بداية الزحف الفرنجي، عندما اقدم مسلم بن قريش، صاحب الموصل، على إخضاعها وترك عود بن الصقيل فيها وأقطعه البقاع، ولكن تاج الدولة تتش تمكن من السيطرة عليها وأسر عود وولى فيها مملوكه كمشتكين في سنة ٤٩٦/١١٠٢[٧١].

في خضم هذه الاحداث، سيشهد لبنان قيام امارتين شبه مستقلتين، استفادتا من التجاذب السلجوقي -الفاطمي للتمتع بسلطة ذاتية، هما: إمارة ابن ابي عقيل في صور وإمارة ابن عمار في طرابلس.

ح-الإمارات شبه المستقلة

[٦٨] ابن القلانسي، ذيل، ص١٩٧. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٤٦٠. الدواداري، كنز، الدرة، ج٦/٤٣٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث٤٨١-٤٩٠هـ، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٤، ص١١.

[٦٩] ابن القلانسي، ذيل، ص٢٠٥. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص ٤٨٩. ابن ميسر، المخطوط المذكور، ص٢٦. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص١٦٦. الدواداري، كنز، الدرة، ج٦/٤٣٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث٤٨١-٤٩٠هـ، ص٣١. ابن كثير، النهاية، ج١٢/١٢٩. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ٣٢٨.

[٧٠] ابن القلانسي، ذيل، ص٢١٨. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٩/ص٨. ابن ميسر، المخطوط المذكور، ص ٣٣. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص١٦٦. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث٤٨١-٤٩٠هـ، ص٤٥.

[٧١] ابن شداد، الاعلاق، ج٢-ق٢/٤٤-٤٥.

١- إمارة ابن ابي عقيل

اول من عرف اسمه من هذه الإمارة هو علي بن عياض[٧٢]، واول ذكر لـها، في صور، جاء بقلم ابن عساكر الذي اشار إلى انه في سنة ٤٢٩هـ، سار القاضي ابو محمد عبدالله بن علي بن عياض بن ابي عقيل من صور إلى صيدا للصلاة على قاضيها[٧٣]. توفي عبدالله بن علي بن عياض في ٤٥٠هـ، وكان قد خرج له ابو بكر الخطيب فوائد في اربعة اجزاء وقرأها عليه بصور. وهو الذي اخذ الخطيب مصنفاته وادعاها لنفسه. وكان قد مات فجأة في الزيب (بين عكا وصور)[٧٤].

في اخبار ٤٣٨هـ/١٠٤٧م، كان قاضي صور يدعى ابن ابي عقيل[٧٥]. وفي عام ٤٤٢هـ/١٠٥١، عمل علي بن عياض بن ابي عقيل لمصالحة الخليفة المستنصر وثمال بن صالح بن مرداس، صاحب حلب، وكان لهذا القاضي في صور الرئاسة والوجاهة[٧٦]. ويبدو ان صور كانت احيانا مركزا لاعتقال غير المرغوب فيهم[٧٧].

ومن المرجح ان اسرة بني ابي عقيل بدأ عهدها في حكم صور قبيل سنة ٤٣٣هـ/١٠٤٢م. وكان لابن عقيل دور في رد حملة الاسطول البيزنطي على طرابلس في ٤٤٨هـ/١٠٥٧م[٧٨]، كما كان له دور في تسليم حلب للفاطميين في العام نفسه[٧٩].

خلف عبدالله بن علي بن عياض اباه وكان مساعدا له واشتهر كمحدث[٨٠]. وخلفه ابنه محمد الذي تغلب على صور وخلع طاعة الفاطميين سنة٤٥٥هـ/١٠٦٣[٨١]، وبسط نفوذه على صيدا[٨٢]، وبقي في السلطة حتى وفاته في ٤٦٥هـ/١٠٧٣م، فخلفه ابنه نفيس ومعه اخوه[٨٣]. وكان عين الدولة ابن عقيل في ٤٦٢ هـ قاضيا على صفد[٨٤].

---

[٧٢] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٠٧.
[٧٣] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٠٧.
[٧٤] ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥/ص٦٣.
[٧٥] سفرنامه،ص٥٠.
[٧٦] المقريزي ، اتعاظ، ج٢/ص ٢١٣، ٢٥٩.
[٧٧] ابن ميسر، **تاريخ مصر**، مخطوط رقم ١٦٨٨ في المكتبة الوطنية في باريس، ص ٣-٤.
[٧٨] تدمري، المرجع المذكور،ص١١٣.
[٧٩] ابن العديم، زبدة ج١/ص ٢٧٣. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص ٢٥٩ .
[٨٠] تدمري، المرجع المذكور، ص ١١٦-١١٧.
[٨١] ابن شداد، الاعلاق، ج٢- ق٢/ص ١٦٥.
[٨٢] تدمري، المرجع المذكور، ص ١١٩.
[٨٣] ابن شداد، الاعلاق، ج٢-ق١٦٥/٢.
[٨٤] ابن ميسر، المخطوط المذكور، ص ١٨.

في عام ٤٦٢ هـ، نزل امير الجيوش بدر محاصرا عين الدولة محمد... بن عياض بن ابي عقيل الملقب بالناصح، ثقة الثقات ذي الرياستين، فاستنجد ابن ابي عقيل بالاتراك الموجودين في دمشق، وعند وصولهم إلى صيدا رحل بدر عن صور ثم عاد إلى حصارها مدة سنة عانى فيها الاهالي الامرين كما ذكرنا ذلك سالفا[٨٥]. وتأكد استقلال صور في عام ٤٧١ بيد قاضيها ابن ابي عقيل الذي خرج على طاعة امير الجيوش الفاطمي[٨٦].

ونجت الإمارة من الحكم التركي السلجوقي في عام ٤٦٩هـ/١٠٧٧م عندما سار اتسز بن اوق الخوارزمي التركماني إلى طرابلس، ثم تحول إلى صور حيث عقد حاكمها، النفيس، هدنة معه[٨٧].

ولم تعش الإمارة مستقلة ابعد من سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩، عندماتمكن المصريون من فتح صور وصيدا التي سلمها اولاد ابن ابي عقيل بسبب ضعفهم، كما فتحت جبيل وعكا بعدما كان تتش السلجوقي قد تملكها [٨٨] . وهؤلاء الاولاد هم : الحسن وابوالبركات عبد الرحمن والنفيس وهو الذي استولى على حكم صور[٨٩]. وبذلك سقطت إمارة ابن ابي عقيل. واشتهر ايضا من آل عقيل المحدث في دمشق ابو طالب علي بن عبد الرحمن بن محمد بن ابي عقيل الصوري[٩٠].

٢-إمارة بني عمار

تختلف الآراء في اصل بني عمار. فاحدى الدراسات ترجعهم إلى أصل عربي، إلى قبيلة طيء[٩١]. ودراسة اخرى ترجعهم إلى اصل مغربي، من قبيلة كتامة، وتبرز اعتناقهم المذهب الإسماعيلي وأداءهم دورا مهما في قيادة الدولة الفاطمية عسكريا واداريا[٩٢]، كباقي افراد قبيلة كتامة. حتى قيل عن امين الدولة ابو الحسن بن عمار، الذي كان من اهم كتاب الخليفة الفاطمي العزيز بالله، انه كبير كتامة وشيخها وسيدها. وكان امين الدولة قد استغل موت العزيز وترقي ابنه الحاكم سدة

---

[٨٥] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٨٢. ابن شداد، الاعلاق، ج٢ -ق٢/١٦٥. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٦١-٤٧٠، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٩٤، ص٧ . المقريزي،اتعاظ،ج٢/ص٣٠٣.

[٨٦] ابن القلانسي، ذيل، ص١٨٢.

[٨٧] سبط ابن الجوزي، مرآة، . تدمري، المرجع المذكور، ص ١٢٨.

[٨٨] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٩٧. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب،ج٨/ص٤٦٠. ابن ميسر، المخطوط المذكور، ص ٢٦. ابن شداد، الاعلاق، ج٢-ق٢/١٦٦ ق٢ .الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٨١-٤٩٠هـ، ص ١١. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ص٣٢٦.

[٨٩] تدمري، المرجع المذكور،ص١٢٢.

[٩٠] الاصبهاني، ابو طالب عماد الدين، المصدر المذكور، ص ١٩١.

[٩١] هاشم عثمان، تاريخ الشيعة، المرجع المذكور، ص ٤٧.

[٩٢] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٤٣-١٤٤.

الخلافة، وهو ابن احدى عشرة سنة، فاشترط عليه مع بني كتامة الا ينظر احد من المشارقة في امورهم، على ان يتدبر شؤونهم الحسن المذكور الذي لقب بأمين الدولة. واستولى أمين الدولة على الامر وبسط يده في الاطلاق والعطاءات والصلات بالاموال والثياب والخباء وتفرقة الكراع وغلب على الملك وكتامة على الامور[93].

عاشت هذه الإمارة قرابة الاربعين سنة. وحمل لواءها ثلاثة: ١- امين الدولة، ابو طالب (عبدالله او الحسن)بن محمد بن عمار وهو المؤسس. ٢-جلال الملك ابو الحسن علي بن عمار، وهو ابن اخ امين الدولة انتزع الحكم بالقوة بعد موت عمه امين الدولة من عم اخر بمساعدة ابن منقذ. ٣-فخر الملك بن عمار وقيل ابو الفضل عمار وهو اخو جلال الملك[94].

ومن طلائع بني عمار الذين تشير اليهم المصادر في طرابلس، كما خلصت إلى ذلك ابحاث المؤرخ عمر تدمري: احمد بن محمد بن عمار، وعبدالله بن محمد اللذين صنف لهما الكاتب ابو الفتح الكراجكي(ت ٤٤٩هـ) كتبا في الثلاثينيات من القرن الخامس[95].

واول اشارة واضحة لقيام إمارة مستقلة في طرابلس، وكذلك في صور، هي لابن القلانسي " وكان ثغرا صور وطرابلس في ايدي قضاتهما قد تغلبا عليهما، ولا طاعة عندهما لامير الجيوش، بل يصانعان الاتراك بالهدايا والملاطفات[96]".

يختلف المؤرخون المحدثون في تحديد تاريخ حكم بني عمار لطرابلس، والمرجح ان ذلك تم بين سنتي ٤٥٧-٤٦٢هـ/ ١٠٦٥-١٠٧٠م على يد القاضي امين الدولة ابي طالب عبدالله بن محمد بن عمار بن الحسين بن قندس بن عبدالله بن ادريس بن ابي يوسف الطائي(ت٤٦٤هـ) الذي كان اول من تغلب عليها من الولاة الفاطميين[97].

---

[93] الانطاكي، تاريخ، ص ١٣٨-٢٣٧. ابن القلانسي، ذيل، ص٧٥. ابن خلكان، وفيات الاعيان، ج٥/ ص ٣٧٤.

[94] عثمان، المرجع المذكور، ص٤٨-٥٤.

[95] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٤٥.

[96] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٨٢. ويذهب الدكتور عمر تدمري إلى أن القائلين باستقلالها عام ٤٦٢هـ يستندون إلى سبط ابن الجوزي بناء على حاشية له وردت في كتاب ابن القلانسي ط. امدروز(تدمري ١٥٦). وبرأيه وبالاستناد إلى ابن شداد الاعلاق ج٢-ق٢/ ق٢ص ١٦٥) الذي يتكلم على استقلال صور سنة ٤٥٥هـ تكون طرابلس قد استقلت في هذا الزمن.

[97] ابن شداد الاعلاق، ج٢-ق٢/١٠٧. المقريزي، اتعاظ، ط. بونز، ص ١٤٤؛ ط. احمد، ص٣٠٧. تدمري، المرجع المذكور، ص ١٥٦-١٥٧. والمؤرخون المذكورون المختلفون حول تاريخ حكم بني عمار لطرابلس هم بحسب دراسة تدمري: محمد كرد علي، المستشرق زترستن، المستشرق سوبرنهايم، المستشرق غاستون فييت، سيد عبد العزيز سالم، محمد مرسي الشيخ، وفيليب حتي.

كان امين الدولة واليا وقاضيا على طرابلس من قبل الفاطميين، وكان قد بدأ حكم طرابلس اثر اسهامه في القضاء على حركة بن ابي الفتح سنة ٤٥٧هـ. وتغلب امين الدولة ابو طالب بن عمار على جبيل وضمها إلى نفوذه ثم صارت بعده لفخر الملك اخيه[٩٨]، وسمح لعناصر من التركمان بالاقامة في طرابلس نتيجة اتفاقية مع السلاجقة[٩٩]، القوة الجديدة، والفاطميين. وفي عهده قطع الأذان للخليفة الفاطمي "حي على خير العمل"، من جهة وابقي على سك العملة التي تحمل اسم الخليفة الفاطمي، من جهة اخرى[١٠٠]. ومعلوماتنا عن امين الدولة قليلة جدا. جل ما نعرفه عنه انه ساهم في الصلح بين الخليفة المستنصر ومحمود بن مرداس صاحب حلب، وهو يعتبر مؤسس دار العلم بطرابلس. وعرفنا من اولاده شمس الدولة او شمس الملك ابي الفرج وحفيده عبدالله بن شمس الدولة. ويعود الفضل في ذلك إلى ابن خياط الشاعر المعاصر لهذه الإمارة[١٠١].

كان ابوطالب قد استولى على طرابلس واستبد بالامر فيها. فلما توفي خلفه ابن اخيه(وفي رأي اخر اخوه) جلال الملك ابو الحسن الذي ضبط البلد احسن ضبط، ولم يظهر لفقد عمه اثر كفاية[١٠٢]. وكان امين الدولة من اعقل الناس، فقيها شيعيا، وهو الذي صنف كتاب" ترويح الارواح ومفتاح السرور والافراح" المنعوت بجراب الدولة[١٠٣]. ولما مات كان بطرابلس سديد الملك الكتامي بن منقذ هاربا في ٤٧٨هـ من تاج الملك محمود بن صالح بن مرداس، يشد لصالح جلال الملك ابي الحسن بن علي بن عمار، ويعضده بمماليكه فاخرجوا اخا امين الدولة من طرابلس وولي جلال الملك. ولم يزل متوليا إلى ان توفي في ٤٩٢هـ. فملك بعده اخوه فخر الملك عمار[١٠٤].

استلم السلطة بعد امين الدولة اخوه(او ابن اخيه) ابو الحسن علي المقب بجلال الملك[١٠٥](٤٦٤-٤٩٢هـ/١٠٧٢-١٠٩٨م) فعمل على تحييد طرابلس عن الصراع السلجوقي الفاطمي.

---

[٩٨] ابن شداد، الاعلاق، ج٢ ـق٢/٩٦.
[٩٩] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٥٨-١٦٢.
[١٠٠] تدمري، المرجع المذكور، ١٦٢-١٦٣.
[١٠١] عثمان، المرجع المذكور، ص ٤٩-٥١.
[١٠٢] ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٣٩٢.
[١٠٣] ابن شداد، الاعلاق، ج٢ ـق٢/ ١٠٧.
[١٠٤] ابن خلكان، وفيات، م٣/٤١٠. ابن شداد، الاعلاق، ج٢- ق٢/١٠٨. ابن ايبك، ابو بكر بن عبيدالله، **درر التيجان وغرر تواريخ الازمان**، مخطوط رقم ٤٤٠٩، ميكروفيلم ٣٨١٧٢(٣١٨ورقة) دار الكتب المصرية، ص ٤٤٣-٤٤٤.
[١٠٥] ديوان ابن الخياط، ٣٨-٤٠، ٤٤، ٤٩، ٨٦، ١٢١. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٦١-٤٧٠هـ، ص١٥-١٦، ١٥٨.

كان اول ما جابه جلال الملك محاولة اتسز بن اوق التركماني، الذي سيطر على دمشق في ٤٦٨ وقتل في ٤٧١، والذي كان يعمل لصالح السلاجقة، السيطرة على طرابلس كما جاء في احدى الدراسات[١٠٦] ، ولا يبدو هذا اكيدا من قراءة نص ابن عساكر الذي يذكر:" كان اتسز لما دخل البلد(دمشق) انزل جنده آدر الدمشقيين، واعتقل من وجوههم جماعة، ... حتى افتدوا نفوسهم منه بمال ادوه اليه، ورحل جماعة منهم عن البلد إلى اطرابلس، إلى ان اريحوا منه بعد[١٠٧]". فلا يبدو، من كلام النص، وجود سيطرة على طرابلس، بل لجوء اليها هربا من اتسز. كما كان عليه مجابهة مؤامرة بدر الجمالي، وزير الخليفة الفاطمي المستنصر، وكان بدر من الذين اشتراهم جلال الملك، ولكن المؤامرة فشلت[١٠٨].

عمل جلال الملك للسيطرة على جبلة في سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٧[١٠٩]م، فامتدت امارته من جبلة إلى جونية[١١٠]، وتميزت بدار العلم الشهيرة، واعتمد سياسة المصاهرة مع قادة ذلك الزمان[١١١]. واشتهر جلال الملك باستجارة ولاة المدن اللبنانية الاخرى به[١١٢]. كما اشتهر بالمنح التي كان يوزعها على اهل العلم في دار العلم[١١٣].

سنة ٤٨٢هـ/١٠٨٩ ، انتزع ناصر الدولة الجيوشي، قائد بدر الجمالي، جبيل من يد ابن عمار [١١٤]، وانتزع خلف بن ملاعب صاحب حمص عرقا من ابن عمار، ولم تزل بيده إلى ان اخذها منه تاج الدولة تتش، وبقيت بيده وبيد ابنه شمس الملوك دقاق[١١٥]. وتمكن تاج الدولة تتش، اخو السلطان ملكشاه، من تملكها سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م (او ٤٨٥هـ في مصدر آخر)[١١٦]. ومن هناك سار تتش وغيره من قادة السلاجقة للسيطرة على ساحل الشام فحاصروا طرابلس، ولكن جلال الملك عرف ان يبعدهم عنها بالحيلة، استنادا إلى مناشير كانت بيده من قبل

---

[١٠٦] تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية، ص ١٢٧.

[١٠٧] ابن عساكر، تاريخ، ج٧/٣٤٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٧١-٤٨٠هـ، ص٣٨.

[١٠٨] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧/٣٤٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٨١-٤٩٠هـ، ص٢٣٦. عثمان، المرجع المذكور، ص ٥٢. تدمري، المرجع المذكور، ص١٦٩.

[١٠٩] ابن تغري بردي، النجوم، ج٥/ص ١١١ .

[١١٠] الخطيب البغدادي، تاريخ بغداد، ج١/ص ٣٤٠ .

[١١١] تدمري، المرجع المذكور، ص ١٧٢.

[١١٢] ديوان ابن الخياط، ص٥٠.

[١١٣] ديوان ابن الخياط، ص١٢١.

[١١٤] ابن القلانسي، ذيل، ص١٩٧. ابن الاثير، الكامل، ج١٠/ص ١٧٦. ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢/ص ٢٨.

[١١٥] ابن شداد، الاعلاق الخطيرة، ج٢/ ق٢، ص ٩٤.

[١١٦] ابن الاثير، الكامل ،ط. دار الكتب، ج٨/ص٤٧٧، وهو يضع الحادثة في عام ٤٨٥هـ. العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٥٥. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢، ص٩٤. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٨١-٤٩٠هـ، ص٢٢.

السلطان السلجوقي باقراره بطرابلس[117]. وانصــــــرف الســـلاجقة عـــن حصـــار طرابلس. ولكن عرقا وعكار بقيتا بيده[118]. وكانت صيدا قد سقطت بيده ايضا[119].

بنى جلال الملك جامعا باسمه في طرابلس. وجدد دار العلـــم. وكـــان بلاطـــه، كبلاط سيف الدولة سابقا، محط انظار العلماء والادباء والشعراء. وكـــان متزوجـــا اخت الامير حصن الدولة معلى بن منزو بن حيدرة الكتامي والـــي دمشـــق الـــذي هرب منها إلى صور فطرابلس ثم اخذ منها إلى مصر حيث اهلك[120]. وعرفنا مـــن ابنائه حسنا لانه كان يكنى بأبي الحسن[121]. واشهر الشعراء الذين عاشوا في كنـــف بني عمار وخصوهم بأشعار كثيرة، كان ابن الخياط الذي عاش في طرابلس قرابـــة عشر سنين ودرس في دار العلم[122]. ومن شعره فيهم:

اعديتم يا بني عمار كل يد — بالجود حتى كان البخل ما عرفا

ما كان يعرف كيف العدل قبلكم — حتى ملكتم فسرتم سيرة الخلفا

....

يغنى بها المجد عن عدل علي ومن — يبغي الشهود على من جاء معترفا

....

يثني بحمد جلال الملك عن نعم — عندي بما رق من شكري له وصفا[123]

ويقول فيهم ايضا:

لهم بك فخر الملك فخر على الورى — له شائد من راحتيك وبان

نجوم علاء في سماء مناقب — علي وعمار بها القمران[124]

ومن الشعراء الذين تغنوا بفخر الملك بن عمار، ابو الحسن علي بـــن ابراهيـــم المعروف بابن العلائي المعري، ومواهيب بن حديد المعري[125]. ويخـــبر العمـــاد الاصفهاني ان فخر الملك بن عمار صاحب طرابلس اقترح على الشعراء أن يعملوا على وزن قصيدة ابن هانيء المغربي:

---

[117] ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٤٧٨ -٤٧٧. الدواداري، كنز الـــدرة، ج٦/٤٣١-٤٣٢. الاصفهاني، العماد، **تاريخ دولة آل سلجوق**، ط. مصـــر ١٩٠٠، ص ٦٥. الذهبـــي، تـــاريخ الاســـلام، حوادث٤٨١-٤٩٠هـــ، ص٢٢.ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٥/ ص ١٣٢. ابن واصـــل، مفـــرج الكروب،ج١/ ص ٢٢١.

[118] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢،ص ٩٤،١١٤.

[119] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢، ص٩٨.

[120] الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٦١-٤٧٠.ص٦.

[121] عثمان، المرجع المذكور، ص ٥٢-٥٤.

[122] ديوان ابن الخياط، ص ١٠.

[123] ديوان ابن الخياط، ص ٣٨-٤١.

[124] ديوان ابن الخياط، ص ٦٢.

[125] العماد الاصفهاني، **خريدة القصروجريدة العصر**، تحقيق شكري فيصل، دمشق ١٩٥٩،ج٢/٧٧،١١٨.

فتقت لكم ريح الجلاد بعنبر وأمدكم فلق الصباح المسفر

فسبقهم ابو الحسن ابن العلائي المعري وعمل ما اعجب فخر الملك[١٢٦]. ومدح ابو المواهيب المعري باشعار جميلة القاضي ابا علي عمار بن محمد بن عمار بطرابلس فخر الملك ذي السعدين سنة ٤٩٣ قبل استيلاء الفرنج[١٢٧].

تجاوز دور آل عمار طرابلس إلى المدن المجاورة. ففي سنة٤٥٩هـ، في عهد المستنصر، قام ابن عمار باصلاح الامور بين بدر الجمالي وصاحب حلب[١٢٨].

اذا، خلف فخر الملك اخاه جلال الملك، في سنة ٤٩٤هـ[١٢٩]، وكان آخر حكام طرابلس من آل عمار عندما استولى الصليبيون على المدينة. واشتهر ايضا من آل عمار: ابو المناقب عم جلال الملك، وشرف الدولة بن فخر الملك، وشمس الملك ابو الفرج محمد بن امين الدولة ابي طالب[١٣٠]. وابو القاسم علي بن عمار القاضي[١٣١].

ثالثا- الأوضاع الادارية والعمرانية والثقافية والاقتصادية

أ-الوضع الإداري

كان على رأس السلطة المركزية، في الدولة الفاطمية، خليفة بمثابة إمام، اذ أن عقيدة الدولة كانت شيعية- اسماعيلية. ويأتي بعده في الدرجة الثانية الوزير، وفي درجة ثالثة قاضي القضاة وهو يتقدم على داعي الدعاة الذي يلي قاضي القضاة، وكثيرا ما كان قاضي القضاة هو داعي الدعاة نفسه.

اما في الولايات فكان رأس السلطة القاضي ثم الوالي[١٣٢].

واذا كان يستحيل على أي شخص لا يتحدر من نسل الإمام علي تبوء منصب الخلافة، فلقد كان بامكان أي شخص ان يصل إلى مرتبة الوزارة، بحيث ان بعض اللبنانيين وصلوا إلى هذا المركز، ومن هؤلاء:

---

[١٢٦] العماد الاصفهاني، المصدر نفسه ، ج٢/٧٧-٧٨.

[١٢٧] العماد الاصفهاني، المصدر نفسه، ج٢/١١٨.

[١٢٨] ابن تغري بردي، النجوم، ج٥/ص ٧٩.

[١٢٩] ديوان ابن الخياط، ص ٦١-٨٠.

[١٣٠] ديوان ابن الخياط، ص ٤٩، ٨٠، ٨٣،٨٦، ٩١.

[١٣١] الاصبهاني، ابو طاهر عماد الدين احمد، **معجم السلفي**، مخطوط رقم ٣٩٣٢، ميكروفيلم ٥٨٦٥، دار الكتب بمصر، ص ١٤١.

[١٣٢] للتعرف إلى نظم الفاطميين ورسومهم، يراجع المسبحي، **اخبار مصر**، تحقيق ايمن فؤاد سيد وتياري بيانكه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٧٨، ص ١٢-١٥. ٢٩-٣١، ٥٦، ٥٩، ٦٣، ٦٧، ٦٩، ٨١-٨٢، ٩٠، ١٠٩. ابن الطوير، نزهة المقلتين في اخبار الدولتين، تحقيق ايمن فؤاد سيد، نشر فرانتس شتاينر، شتوتغارت ١٩٩٢، المقدمة ص ٣٦-٧٨، ١٠٥-١٤٣.ثم النص

-عيسى بن نسطوروس من صور، على زمن العزيز بالله، وولداه زرعة وصاعد على زمن الحاكم بامر الله[133].

-بعض بني ابي الفتح من عرقا: ابو محمدعبد الكريم في ٤٥٣هـ/١٠٦١م وكان ابوه قاضي طرابلس١٠٦١، واخوه محمد وابو علي احمد في ٤٥٥هـ/ و ٤٦١هـ/١٠٦٣-١٠٦٩م[134].

- ابوحسن طاهر ابن زير من اهل طرابلس الشام في ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦م أو ٤٥٩، الذي استلم الوزارة بعد صرف الوزير البغدادي. وكان قد وصل إلى مصر وقدم كاتبا في ديوان الانشاء، ولم يقم في الوزارة الا ايام معدودة[135].

-بدر الجمالي الذي كان في الاساس مملوكا لجمال الملك ابن عمار .

وتبوأ منصب قاضي القضاة بعض اللبنانيين ايضا ومنهم:

-مالك بن سعيد الفارقي الذي قتل سنة ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م، ثم اخوه عبد الحاكم، واحمد بن عبد الحاكم المذكور اعلاه[136].

-احمد بن عبد الرحمن بن ابي عقيل الصوري. وهو من السنة وشافعي استلم المنصب شرط ان يحتكم إلى القضاء الاسماعيلي[137].

ومع ان بعض اللبنانيين قد وصل إلى هذه المراتب العالية، في دار الخلافة الفاطمية في القاهرة، فلا يبدو انه كان لهم دور يذكر على صعيد الولايات المحلية. وقد اعتمد الفاطميون نهجا جديدا في توزيع هذه الولايات. ففي عهد بني امية وفي الجزء الاول من الحكم العباسي كانت الثغور الشامية في سلطة نواب الاجناد الشامية. ولكن عند تملك الفاطميين افردوا لكل ثغر واليا من مصر، ورتبوا معه جندا لحفظه من الاعداء. وتبعت بعلبك هذا الاجراء [138].

واليك ولاة المدن اللبنانية ونواحيها، وابرز افعالهم:

---

[133] تدمري، المرجع المذكور، ص٨.

[134] ابن ميسر، اخبار مصر، المخطوط، ص١١؛المطبوع ج٢/ص ١٢-١٦. ابن منجب الصيرفي، الاشارة إلى من نال الوزارة، ص ٤٨-٤٩. الدواداري،كنز، الدرة، ج٦/ص ٣٥٤، ٣٥٦، ٣٧٢، ٣٧٥، ٣٧٧. ابن ايبك، ابو بكر، درر التيجان، المخطوط المذكور، ص٤٣١. المقريزي، اتعاظ، ج٢/ ص٢٥١، ٢٦٢، ٢٦٤، ٢٧٠- ٢٧١، ٢٧٦، ٢٩٦، ٣٣٣. تدمري، المرجع المذكور، ص٨.

[135] ابن ميسر، اخبار مصر، المخطوط، ص ٣٠؛ المطبوع ج٢/ ص ١٦. الدواداري، كنز، الدرة، ج٦/ ٣٨٦. ابن ايبك، ابو بكر ، درر التيجان، المصدر المذكور، ص٤٣١ المقريزي، اتعاظ، ج٢/ ص ٢٧٢، ٣٣٣. تدمري، المرجع المذكور،ص٩. ويورد ابن ميسر انه في سنة ٤٥٦ استدعي ابو البركات الحسين بن عماد الدولة الحر من صور فحضر إلى مصر ووليها في مستهل رجب ثم صرف في العشر الاخير من رمضان، تاريخ مصر المخطوط، ص ١٣.

[136] تدمري، المرجع المذكور، ص٨-١١.

[137] ابن ميسر، اخبار مصر، ج٢/ص ١٦. النويري، نهاية، ج٢٨،/ ص ٣٠٩. الدواداري،كنز، الدرة، ج٦/ص ٥٢٨. المقريزي، اتعاظ، ج٣/ ص ١٦٣، ١٧٢. تدمري، المرجع المذكور، ص ١٢.

[138] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص٩٣، ١٦٤.

١-ولاة طرابلس[١٣٩]

الوالي	اعماله	الوالي	اعماله
ريان الخادم ٩٨٠-٩٧٤	التصدّي لتزيمسكس، ومساندة الفاطميين في السيطرة على دمشق	نزال الغوري ٩٨٠-٩٩١	التصدّي للبيزنطيين
المظهر محمد بن نزال٩٩١-٩٩٥	مساندة الفاطميين في السيطرة على دمشق، ولكنّه استسلم لباسيل الثاني فطرده الاهالي	جيش بن الصمصامة ٩٩٥-٩٩٦	بقي بضعة اشهرثمّ عزل من قبل سليمان بن جعفربن فلاح
علي بن جعفر بن فلاح ٩٩٦	عيّنه اخوه سليمان المذكور اعلاه، ثمّ اصبح وزير وزراء مصر	تميم بن المنذر التنوخي٩٩٦	من الامراء التنوخيين
ميسور الخادم الصقلبي ٩٩٧-٩٩٩	اشترك في موقعة افامية مع ابن حيدرة. وقاوم حصار البيزنطيين لطرابلس مع ابن حيدرة	علي بن عبد الواحد بن حيدرة الكتامي ٩٩٩-١٠٠٩	رئيس وقاضي ووالي طرابلس الواسع النفوذ حتى صور وحلب. رفض الاستسلام لباسيل ولهجمات الروم، وأسهم في القضاء على علاقة
ابوسعادة ١٠٠٩-١٠١٥	ساعد والي المعرّة سنة ١٠١١، وساند الفاطميين في حلب	مختار الدولة ابن نزال ١٠١٥-١٠٣٣	
امين الدولة بن	قاضي ورئيس طرابلس	بنوابي الفتح	عصوا بطرابلس على

[١٣٩] الانطاكي، تاريخ، ٢٢١،١٩٥،٣٣، ٢٢٩-٢٣٠،٢٣٧ حاشية، ٢٣٠، ٢٤٢ حاشية ٢٤٣، -٢٤٦،٣١٦، ٣١٨. ديوان ابن الخيّاط، ٣٨،٣٩،٤٤،٥٠ ، ٦١-٨٢،١٠١، ١١٥،١٧٧. الروذرواري، ذيل تجارب الامم، ج٣/ ص ٢٠٨-٢٢٠ . الخطيب البغدادي، ج١/٣٤٠. ابن القلانسي، ذيل، ص٢٠ ، ٣٠،٥٣،٥٨،٦٨،٧٣، ٨٠، ٨٣-٨٥، ١٦٢، ١٨٢، ٢٢٦، ٢٣٦. العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣١٣، ٣٢٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٧/٣٤٨. عماد الدين الاصفهاني، خريدة، ج٢/٧٧-٧٨،١١١-١١٨. ابن ظافر الازدي،ص٣٢،٣٥،٢١٠. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١/ص ١٩٩، ٢١٥. ابن خلكان، وفيات،ج٣/٤١٠. ابن ميسّر، اخبار مصر، ج٢/ ص ٤٣. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص٩٣-٩٤،٩٦، ٩٨،١٠٦-١٠٩،١١٤، ويضيف ابن شداد إلى هذه اللائحة سند الدولة ابو محمد بن ثعبان الكتامي ويضعه بعد ريان الخادم. ابن العبري، ٧٤. ابن الاثير، الكامل ،ط. دار الكتب،ج٧/ص٣١٣،٣٤٦، ٤٥٦،٤٨٠-٤٨١،ج٨/ص ٣٩٢،٤٧٧-٤٧٨ ،ج١٠/١٧٦. النويري، نهاية ، ج٢٨/ ١٥١ ،١٥٨- ١٥٩،١٦١،١٧١، ١٧٣-١٧٤. الدواداري، كنز الدرّة، ج١٦٩/٦، ١٧١، ٢٠١،٢١٠-٢١٢،٢٣٢- ٢٣٣، ٤٢٣-٤٢٤، ٤٣١. الذهبي، تاريخ الاسلام،حوادث ٣٨١-٤٠٠هـ، ص١٠ ،١٩٦،حوادث ٤٦١- ٤٧٠، ص٦، حوادث ٤٧١-٤٨٠، ص٣٨،حوادث٤٨١-٤٩٠هـ ،ص١١، ٢٢ . الصفدي، ٣٨١. اليافعي، ج٣/٣. ابن كثير،ج٧/٤٣٣. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٧٨، ١٢٧،٢١٤،٢١٨ ، ٢٢٠،٢٣٠،، ٢٥٩، ٢٦٩-٢٧٠،٢٦٩، ٢٨٦،ج٢/١٨،٣٢،٣٠٧. اخبار القرامطة، ص٦٦. ابن تغري بردي، ج٥/١١١، ١٣٢. الشدياق، اخبار الاعيان، ج٢/ ص ٥٠٣. الدبس، ج٥/٣٩٦،٤٥٧. رستم، انطاكية، ج٢/١٥٥، الروم ج٢/٦٥.تدمري، المرجع المذكور،٥٩-٦٧ وهو اول من جمع و قمّش اسماء الولاة.

عمّار ١٠٣٣-١٠٦٥	ومؤسس لوجود بني عمّار، ومؤسس لدار العلم.	؟-١٠٦٥	الفاطميين
امين الدولة عبدالله بن عمّار ١٠٦٥-١٠٧٢		جلال الملك ابو الحسن ابن عمّار	امتدّت امارته من جبله إلى جونيه، حالف السلاجقة وقاوم الفاطميين وجدد دار العلم، وكان بلاطه موئلا للشعراء.
شمس الملك ابو المناقب محمد ابن عمّار ١١٠٨	من زمن الصليبيين، ناب عن فخر الملك اثناء توجهه إلى بغداد لمقاومة الصليبيين	تاج العجم ١١٠٨	ارسله الفاطميون لاخذ طرابلس فعمل للعصيان بها وقبض عليه
شرف الدولة ابن ابي الطيب الدمشقي ١١٠٨-١١٠٩	اعاد طرابلس إلى الفاطميين ونقل بني عمّار إلى مصر، وسقطت المدينة في ايدي الصليبيّن		

٢-ولاة بيروت[١٤٠]

نصير الخادم٩٧٥	اسره تزميسكس عند حملته على بيروت	وال من قبل الروم٩٧٥	
درويش بن عمرو التنوخي٩٧٥-٩٧٧		تميم بن المنذر التنوخي٩٧٧-٩٨٠	شارك في موقعة الرملة سنة ٩٧٧
صالح بن احمد ٩٨٠-٩٩١		منصور بن درويش التنوخي٩٩٣-٩٩٦	
مطوّع بن تميم التنوخي ٩٩٦-١٠٠٣		حامد بن ملهم، ابو الجيش ١٠٠٣-١٠٠٤	
مطوع بن تميم بن المنذر ١٠٠٩-١٠١٥		فتح القلعي غلام لؤلؤ ١٠١٥-١٠١٦	اقطعه الحاكم بيروت وصيدا وصور
مطّوع بن تميم ١٠١٦-١٠١٩		موسى بن مطّوع ١٠١٩-١٠٢٠	
معضاد بن همّام بن صالح الفوارسي	يرد ذكره في رسائل الحكمة	رجب بن مطلق الظاهري	

[١٤٠] رسائل الحكمة، المجلد الثاني(ج١و٢)ص٣٥٧-٣٦٠. الانطاكي، تاريخ،ص١٦٢،٣٢٦. الهمداني، ج١/٢٢٥. ابن القلانسي، ذيل،٢٦. ابن الاثير، الكامل،ط. دار الكتب، ج٨/ص٦٩. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١/ص ٢١٥ . ابن ميسّر، اخبار مصر،ج٢/ص١٦٥-١٦٧. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص ١٠١-١٠٢ . ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٦٨. الدواداري، كنز،الدرة، ج٦/ ١٧٠. المقريزي، اتعاظ، ج١/ ص٢١٨، ٢٢٢، ج٢/ص ١٥٤. الشدياق، اخبار الاعيان، ج٢/ ص ٥٠١-٥٠٧. رستم، انطاكيا، ج٢/١٥٥. تدمري، المرجع المذكور، ص ٦٧-٧٥ .

معروف بن مطلق بن عبدالله بن مذحج ١٠٤٠-١٠٤٧		عمر بن عيسى بن موسى بن مطوع ١٠٤٧-١٠٤٩	
قابوس بن فاتك التنوخي ١٠٤٩	حارب بني مرداس وقتل	طيّ بن حمزة بن مرّة ١٠٤٩	
عمّار بن عيسى بن موسى بن مطوع ١٠٤٩-١٠٥٦	بنى حمّاما ودارا في بلدة عرامون	عمر بن عيسى بن موسى ١٠٦٠-١٠٧٤	
سعد الدولة الطواشي ١٠٧٤-١٠٨١		عمر بن عيسى بن موسى بن مطوع ١٠٨١-١٠٨٨	أسهم في ادخال بيروت تحت سيادة السلاجقة
عضد الدولةعلي بن عمر بن عيسى ١٠٨٨-١١١٠	سقطت في عهده بيروت بيد الصليبيين وقتل		

٣-ولاة صيدا[١٤١]

عبيدالله بن الشيخ ٩٧٠-٩٩١	كان قاضيا ثمّ اصبح واليا. تصارع مع هفتكين واستسلم لابن الشمشقيق وشارك في القضاء على علاقة.	مذحج بن درويش بن ارسلان ٩٩٣-٩٩٦	
غالب بن مسعود بن المنذر بن ارسلان٩٩٦-٩٩٧		عبيد الله بن الشيخ، ابو الفتح ٩٩٧-١٠١٥	أسهم في القضاء على علاقة وانجد طرابلس ابان حملة باسيل
مرهف الدولة بجكم التركي ١٠١٥-١٠١٧		فتح القلعي غلام ابن لؤلؤ ١٠١٧-١٠١٨	اقطعه الحاكم صيدا وصور وبيروت
صالح بن مرداس ١٠٢٥-١٠٣٠	سيطرعلى عرقا وعكار وبعلبك وصيدا	ذخر الدولة ١٠٥٠	
بدر الجمالي ١٠٧٠	الوزير والقائد	اتسز بن اوق الخوارزمي ١٠٧٧-١٠٧٩	حكم من قبل السلاجقة
نصر الدولة الجيوشي	اعاد سلطة الفاطميين	تاج الدولة تتش بن	اعاد سلطة السلاجقة

---

[١٤١] الانطاكي، تاريخ، ٣٢٥-٣٢٦،٤٠٢ . ديوان ابن الخياط، ص ٥٠-٥٣ . ابن القلانسي، ذيل، ص٢٦،٢٨،٨٣،١٩٧. العظيمي، تاريخ حلب،ص٣٢٢. ابن العديم، زبدة الحلب ج١/ص،٢١٥،٢٣٠. ابن الاثير، الكامل، ط. دار الكتب، ج٨/ص٦٩. ابن شداد، الاعلاق ج٢-ق٢/ ٩٨-٩٩،١٦٤. ابن العبري، تاريخ الزمان، ص٦٨. الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/١٧٦. ابن تغري بردي، النجوم،ج٥/ص ١٢٨ . الشدياق، اخبار الاعيان، ج٢/٥٠٢، ٥٠٦.

١٠٧٩	إلى دمشق	الب ارسلان ١٠٧٩	إلى صيدا
ثقة الملك ابن الطهماني ١٠٨٩		نصر الدولة الجيوشي ١٠٨٩	اعاد صيدا إلى الفاطميين
سعد الدولة ابو منصور استكين ١٠٩٧-١١٠٠	آخر وال فاطمي على المدينة	مجد الدولة محمد بن عدي ١١٠٠	سلمّ صيدا إلى الصليبيين

٤- ولاة صور[١٤٢] . وكانت صور قد اصبحت مع الفاطميين ولا ية قائمة بذاتها بعدما كانت تابعة قبلهم لجند الاردن[١٤٣].

ابن ابان ٩٦٨-٩٧٤		ابوعلي فريد بن محمد ٩٧٦	
ابو الوحيد فريد ٩٩٣		هارون بن حمزة بن سعد التنوخي ٩٩٣-٩٩٧	
فحل الكتامي ٩٩٧-٩٩٨	في عهده جرت ثورة علاقة	علاقة ٩٩٨-٩٩٩	بطل الثورة
ابو عبدالله الحسين حمدان ابن ناصر الدولة ٩٩٩	تسلم صور بعد علاقة	ابو الحارث فحل بن اسماعيل بن فحل الكتامي ٩٩٩	
		حاتم بن ملهم ابوالجيش ١٠٠٣-١٠٠٤	
فتح القلعي غلام ابن لؤلؤ ١٠١٥-١٠١٦	تقدم ذكره	سباع بن الحسين ابو الفرج ١٠١٦-١٠١٧	

[١٤٢] ناصر خسرو، **سفرنامه، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري**، نقلها إلى العربية د. يحيى الخشّاب، دار الكتاب الجديد، ط. ٣ بيروت ١٩٨٣، ص٥٠. ديوان ابن الخيّاط، ص١٣٣-١٣٧. الانطاكي، تاريخ، ٢٤٠. ابن القلانسي، ذيل،٢٨-٢٩، ٨٣-٨٤،١٦٢،١٦٥،١٨٢،١٩٧،٢٠٥،٢١٧-٢١٨ . ابن الاثير، ج٧/ ٤٨٠. ابن العديم، زبدة الحلب، ج١/ ٢٧٣، ٢١٥ . ابن شداد، الاعلاق ج٢/ق٢ ص ٩٨ -٩٩،١٤٠،١٦٤-١٦٦. ابن العبري، ٧٤. النويري، نهاية، ج٢٨/ ١٧٣-١٧٤. ابن الاثير، الكامل،ط. دار الكتب،ج٧/ ٣٥٦،٤٦٠،٤٨٠،ج٨/ ٣٨٤،٤٦٠،٤٨٩، ج٩/ ٨ . الدواداري، كنز، الدرّة، ج٦/ ١٧٦، ٣٩٩ ،٤٨٣. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث(٣٥١-٣٨٠) ص٤٠٧،حوادث(٣٨١-٤٠٠) ص ١٩٦،حوادث٤٦١-٤٧٠، ص٦-٧،١٥،١٥٨، حوادث٤٨١-٤٩٠هـ، ص١١. المقريزي،اتعاظ،ج١/ ٢٣٨-٢٣٩، ج٢/ ١٧-١٨، ٤٥ ، ٢١٣،٢٥٩،٣٠٣،٣٢٦. ابن تغري بردي، النجوم،ج٥/ ٦٣، ١٢٨ . الشدياق، اخبار الاعيان، ج٢/ ٥٠٢-٥٠٣.

[١٤٣] ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص ١٦٤.

علي بن محمد بن مقاتل		الحسن بن الحسين الحمداني ١٠٢٨-١٠٤٢	
علي بن عياض بن ابي عقيل ١٠٣٨-١٠٥٨	كان قاضيا، واول من عرف بصور من آل عقيل	عبد الله بن علي بن عياض ١٠٥٨	ساند طرابلس ضدّ البيزنطيين
محمد بن عبدالله بن علي بن عياض ذي الرياستين ١٠٥٨-١٠٧٣	استقل بصور	النفيس بن محمد بن عبدالله ١٠٧٣-١٠٨٩	اخر بني عقيل في صور. عقد هدنة مع اتسز
منير الدولة الجيوشي ١٠٨٩-١٠٩٣	عصى بصور	الكتيلة ١٠٩٣-١٠٩٧	عصى بصور
عز الملك انوشتكين ١٠٩٧-١١١٣		مسعود السلار ١١١٣-١١٢٢	
وحشي بن الطلائع ١١٢٢-١١٢٣		الاعزّ بن اللبان ١١٢٣-١١٢٤	

٥-ولاة بعلبك[144]

ظالم بن موهوب العقيلي ٩٧٤-٩٧٥	اصبح واليا على دمشق ثم حصر في بعلبك، وهرب منها إلى صيدا من وجه هفتكين	هفتكين التركي ٩٧٥-٩٧٨	انتزع بعلبك من ظالم
ظالم بن موهوب العقيلي ٩٧٨-٩٨٢		وصيف مولى بكجور ٩٨٢-٩٨٦	
جلنار ٩٨٩-٩٩١		انوشتكين التزبري ١٠١٥-١٠٢٣	
صالح بن مرداس الكلابي ١٠٢٤-١٠٢٩	سيطر على بعلبك وانتزعها من الفاطميين إلى حين قتله	مستحفظ ١٠٢٩-١٠٤٢	
زنكي بن صالح الارسلاني		الصقيل ١٠٨٠	
عون بن الصقيل ١٠٨٠-١٠٨٥		كمشتكين الخادم ١٠٨٥-١١١٠	تبعت معه بعلبك للسلاجقة
تاج الملوك بوري بن			

[144] الانطاكي، تاريخ، ص٤٠٢. ابن القلانسي،ذيل،٤-١١،٩-١٩،٦٩،١١٧،١٦٥. العظيمي، تاريخ حلب، ص٣٥٢. ابن عساكر، تاريخ دمشق، ج٢٥/٢١١، تهذيب ج٧/ص١٢٠. ابن الاثير، الكامل،ج٩/٢٣١،٥٠١. ابن العديم، زبدة الحلب،ج١/٢٣٠. ابن شداد، الاعلاق، ج٢/ ق٢ص٤٤. الدواداري، كنز، الدرة، ج٦/ ص١٦٠، ١٦٨. الصفدي، تحفة، ٣٧٨-٣٧٩، ٣٨٠-٣٨١. المقريزي، اتعاظ، ج١/ص٢٠٦، ٢١٠-٢١١،٢١٩-٢٢٠،٢٥٩. ابن تغري بردي، النجوم، ج٤/ص ٥٨،ج٥/١١٦. اخبار القرامطة، ص٦١ - ٦٥، ٣٦٦، ٣٨٨. الشدياق، اخبار،ج٢/٥٠١،٥٠٥، ٥٠٦.

طغتكين ١١١٠-١١٣١			

٦-القضاء

انقسم لبنان إلى خمس ولايات: طرابلس، بيروت، صيدا، صور وبعلبك. وكان القاضي هو المسؤول الاول في الولاية، بحيث كان ايضا بمثابة الوالي والقائد العسكري.

كان قضاة المحاكم من العرب، اما الولاة والقادة فمن غير العرب: من المغاربة عموما ومن الصقالبة والاتراك والاكراد وغيرهم[١٤٥]. وكان لمنصب القاضي اهمية في كلّ من طرابلس وصور، و إلى حدّ ما في صيدا. امّا في بيروت وبعلبك فلم يكن للقضاة فيها دور بارز، لأنّ بيروت كانت محدودة في اطار جغرافي ضيّق، ولارتباطها بسلطة الامراء التنوخيين الواسعي النفوذ. امّا بعلبك فلم تكن ولاية منفردة كالولايات الساحلية بل كانت ملحقة بدمشق[١٤٦].

عندما كان القضاة يستلمون السلطة كانوا يتخلون عن ممارسة الحكم الشرعي لمن ينوب عنهم، ولم يكن القضاة في الولايات اسماعيليين بالضرورة[١٤٧]. فقضاة صور كانوا من السنّة.

ولم يتميز في القضاة الذين حكموا المدن اللبنانية[١٤٨] الاّ نفر قليل منهم. امّا الذين تميّزوا فهم:

-علي بن عبد الواحد بن حيدرة ابو الحسن المرّي وقد مرّ ذكره في طرابلس.

- عبد الحاكم بن سعيد الفارقي وقد مرّ ذكره.

-عبد العزيز بن نحرير بن عبد العزيز بن البرّاج، من كبار علماء الشيعة وخليفة الشيخ الطوسي في البلاد الشامية[١٤٩].

ولمساندة الولاة الذين كانوا من القضاة، كما ذكرنا، وبحكم وقوع مدن لبنان على خطّ التماس في النزاع البيزنطي-الفاطمي، كان للاسطول الفاطمي موقع مميز في المدن الساحلية اللبنانية.

٧-الوجود العسكري الفاطمي

[١٤٥] تدمري، المرجع المذكور، ص١٥.
[١٤٦] تدمري، المرجع المذكور، ص١٦.
[١٤٧] تدمري، المرجع المذكور، ص١٦-١٧.
[١٤٨] راجع التفاصيل الدقيقة عن مجموع هؤلاءء القضاة في تدمري، المرجع المذكور، ص٢٠- ٥٤.
[١٤٩] تدمري، المرجع المذكور، ص٣٧.

كانت بعض المدن اللبنانية مركزا للاسطول الفاطمي، وبخاصة في طرابلس وصيدا. وكان لقطع هذا الاسطول المرابطة في بعض المدن اللبنانية دور في القضاء على ثورة علاّقة، وفي ردّ هجمات البيزنطيين، وفي توسيع رقعة الحكّام المحليين.

اهتمّ الفاطميون بالاحتفال بالاساطيل وبانشاء المراكب في مصر والاسكندرية ودمياط من الشواني(سفن كبيرة تجدّف ب ١٤٠ مجذافا) والشلنديات (مراكب مسقوفة) والمسطحات(شبيهة بالشلنديات وتتسع ل ٥٠٠ راكب) التي كانوا يرسلونها إلى صور وعكا وعسقلان. وكانت القيادة على الاسطول لامير كبير من الاعيان بين الامراء واقواهم نفسا[١٥٠].

في عهد العزيز، وبعد خروج باسيل إلى الشام، تقرّر انشاء اسطول يرسل إلى طرابلس، ومنها إلى غزو الروم سنة ٣٨٦هـ/٩٩٦م، ولكنّ الحريق قضى على ما بني منه[١٥١].

منذ ٣٦١هـ/٩٧٢ ، كانت السفن الحربية الفاطمية لا تتوقف عن الابحار من مرافىء مصر إلى صور وطرابلس في شهر نيسان من كلّ سنة. ويستمر النشاط حتى حلول فصل الشتاء، فتأوي السفن إلى قواعدها. وبفضل هذا الاسطول استطاع الفاطميون الاحتفاظ بسيطرتهم على سواحل مصر والشام وصدّ القوات البحرية البيزنطية[١٥٢].

وبلغت العساكر المرابطة في بعض المدن اللبنانية بضعة آلاف. فمثلا كان عند نزال الغوري في طرابلس ستة آلاف رجل[١٥٣]. ولانعرف ما اذا كان هذا العدد قائما في الاوقات كلّها.

كان اكثر قادة الجيش من المغاربة، وبخاصة من قبيلة كتامة: نزال الغوري وابنه المطهر، وجيش بن الصمصامة وعلي بن جعفر بن فلاح، وفحل بن كتامة وقد مرّ ذكرهم آنفا. ويبدو انّ الوجود المغربي لم يكن مقتصرا على بعض القادة بل تعدّاه إلى العديد من افراد الجيش، ففي سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م قتل البيزنطيون خلقا كبيرا من المغاربة[١٥٤]. كما كان بنو عمّار من المغاربة ايضا.

وفي خضمّ هذه الاجراءات الادارية، وتنوّع العناصر التي تتشكّل منها التركيبة الاجتماعية الفاطمية، ومن رحم الإسماعيلية، ديانة الدولة، ستنبثق دعوة دينية جديدة هي دعوة الموحدين الدروز.

---

[١٥٠] ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ٩٦.

[١٥١] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٣٣.

[١٥٢] سيّد، المرجع المذكور، ص ٧٣٥.

[١٥٣] ابن القلانسي،ص ٣٠.

[١٥٤] الانطاكي، تاريخ، ص ١٩٥.

ب-الأوضاع الدينية

الموحّدون- الدروز[155]

يعود ظهور هذه الدعوة لداع فارسي الاصل يسمّى محمد بن اسماعيل الملقب بالدرزي(وتعني بالفارسية خيّاط) او انوشتكين الدرزي البخاري الذي كان احد أعوان الخليفة الحاكم بأمر الله الفاطمي. وهذه التسمية لا يرضى بها الدروز، لانهم انكروا دعوته وتعاليمه التي قيل انها كانت اباحية. ويبدو انّ هذا الميل إلى الاباحية قد مرّت به عدّة فرق اسلامية، وفي طليعتها القرمطية.

جاء الدرزي إلىمصر سنة ٤٠٨ هـ/١٠١٧-١٠١٨م، ونادى بالوهية الحاكم صانع العوالم ومبدع الخلائق، فحدثت فتنة في القاهرة ادّت إلى قتله هو واتباعه. ثمّ جاء بعده داع اعجمي آخر يدعى حمزة بن احمد الذي لقب بالهادي، وعمل على احياء الدعوة ونشر الدعاة في مصر وبلاد الشام، فتبنّى دعوته قوم، لا سيّما في وادي التيم وبلاد صيدا وبيروت وساحل الشام بتشجيع من حاكم دمشق عبد الرحمن بن الياس، وكان مصيرهم مقتل العديد منهم على يد ابن تالشليل الكردي[156]. وبعد اختفاء الحاكم هرب حمزة وقتل بعد ذلك[157].

وفي رواية اخرى، ان الدرزي كان من الباطنية القائلين بالتناسخ، ادّعى ربوبية الحاكم وصنّف له كتابا في ذلك، فأخرجه الحاكم إلى بلاد الشام لان اهلها سريعو الانقياد فنزل في وادي التيم مستميلا اهالي تلك المنطقة اليه[158].

وفي رأي آخر، انّ انوشتكين الدرزي هو محمد بن اسماعيل الدرزي، وكان داعيا للحاكم، غضب من تعيين حمزة إماما للموحدين- الدروز، فخرج على سلطته وحرّف مضمون الدعوة. فاطلق اعداء الدعوة اسمه عليها[159]. وتجعل المصادر التاريخية مقتل الدرزي في سنة ٤٠٨هـ[160].

---

[155] أثار معتقد الموحدين الدروز مخيلة الكتاب، وشحذ اقلام العديد منهم. وقيلت فيه امور كثيرة، بعضها يتهمهم بامور غير قابلة للتصديق. واكثر المصادر التي وصفت معتقدهم كانت غير درزية ، من سنّة ومن روافض، وباطنية ومسيحيين، وهؤلاء جميعا لهم غاية في ما يكتبون. أمّا المصادر التي يقال انّها لهم، فلها ظاهرها وباطنها الذي يعرفه فقط عقلاء الدروز ويتناقلونه من جيل إلى جيل . وما يعتقد به الدروز هو شأنهم، وما نذكره عنهم هو ما هو شائع عنهم، صحّ ذلك ام لم يصحّ، في قراءتهم الباطنية للظاهر الذي وقع بين ايدينا.

[156] الانطاكي، وهو معاصرللدعوة ،٣٣٤ تاريخ، ٣٣٨-٣٤٠. المقريزي، اتعاظ ، ج٢/ص١١٣، ١١٨.

[157] الانطاكي، تاريخ،ص٣٧٢.

[158] تدمري،المرجع المذكور، ص٧٠.

[159] عباس ابو صالح، تاريخ الموحدين الدروز، ص٦٣-٦٤.

[160] الانطاكي، تاريخ، ص ٣٤٠.

ويختلط اسم الدرزي بأسماء اخرى فهو حسن بن حيدرة. امّا حمزة فهو حمـــزة اللباد اعجمي من الزوزن[١٦١].

ليلة الجمعة اول شهر محرّم سنة ٤٠٨هـ/٣٠ ايار ١٠١٧ اصدر الحاكم سـجلاً يعلن فيه مبادىء دعوته ويعلن حمزة إماما لها، وكان عمره انذاك ثلاثـا وثلاثيـن سنة، وكان قد عمل في البدء صاحب ديوان الرسائل والمكاتبات[١٦٢].

وتابع شؤون الدعوة المقتنى بهاء الدين علي [١٦٣]، الذي اوكل الامير ابا الفوارس معضاد، وهو من احدى عشائر التنوخيين، شؤون الدروز في جبال بـيروت [١٦٤]. وكان التنوخيون في وادي التيم وجبل لبنان قد تسلّموا في السنة العاشرة من سنوات حمزة رسالة تدعى بالرسالة الجميهرية (نسبة لجمهور فخذ من تنوخ)[١٦٥]. ويتبيـن لنا من خلال هذا أنّه كان لمنطقة الشوف وعاليه الحاليتين دور اساسي فـي نشـر الدعوة. وبقي هذا الدور مستمرا في عهد المماليك اذ يذكر القرماني انّ في الشـوف في زمانه قوم يدعون بالدروز يعتقدون خروج الحاكم ولهم كتب يتدارسـون فيـها فيما بينهم[١٦٦]. ويربط احد المصادر ذلك بأن بعض الباطنية صنّف للحـاكم كتابـا وكتب فيه أنّ روح آدم انتقلت إلى علي وأن روح علي انتقلت إلى الحاكم، وقـرىء الكتاب في جامع القاهرة فقصد الناس قتل مصنّفه فصيّره الحاكم إلى جبال الشـام واستمال الناس اليه وأعطاهم المال ... والكتاب موجود في جبـال الـدروز إلـى الان[١٦٧]. وبحسب المراجع الدرزية، تمكّن المقتنى بهاء الدين مـن التخلّـص مـن نوشتكين او سكين الدرزي، مستندا إلى تقربّه من الخليفة المستنصر الـذي عينّـه استاذا في القصر وقاضيا ومفتيا في عام ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧، واوعـز إلـى ابـي الفوارس معضاد المقيم بقرية فلجين بملاحقته. فانتهى امره عندما القته امرأة فـي النار في قرية عرنة[١٦٨].

يعتقد الدروز ان الله تجسّد تسع او عشر مرات، كان آخرها وافضلـها تجسّـده بشخص الحاكم[١٦٩]. وقد اعلن الدرزي الوهية الحاكم، ووضع حمزة فلسفة العقيـدة، التي تميّز بين النصّ الظاهر والمعنى الباطن. والحقيقة هي المعنى الخفي البـاطني. امّا بهاء الدين فبعث بالرسائل التي تدعو إلى قبول الدعوة في اماكن مختلفة متباعدة

---

[١٦١] الازدي، اخبار الدول المنقطعة، ص ٥٢. النويري، نهاية، ج٢٨/١٩٧-١٩٨.
[١٦٢] ابوصالح، المرجع المذكور، ص ٦٠.
[١٦٣] ابو صالح، المرجع المذكور، ص٦٥-٦٦.
[١٦٤] رسائل الحكمة، ص ٣٥٧-٣٦٠.
[١٦٥] بدوي، عبد الرحمن ، مذاهب الاسلاميين، بيروت ١٩٧٣،ج٢/ص ٥٣٢.
[١٦٦] القرماني، احمد بن يوسف، **تاريخ أخبار الدول**، مخطوط رقم ١٥٥٦، المكتبة الوطنية في باريس، ص ٩٣.
[١٦٧] الاسحاقي، محمد بن عبد المعطى، لطائف أخبار الدول، المخطوط المذكور، ص ١٩٦.
[١٦٨] ابوصالح، المرجع المذكور، ص ٧٢-٧٣.
[١٦٩] حتي، لبنان، ص ٣١٦.

مثل بيزنطية (الامبراطور قسطنطين الثامن ١٠٢٥-١٠٢٨) والهند. ويعزى اليه كتابة اربعة كتب من كتب الدروز الدينية. وآخر من شرح رسائله الإمام عبدالله البحتري التنوخي في اواخر القرون الوسطى. واهم الاجراءات التي قام بها بهاء الدين المقتنى قبيل وفاته اعلانه اقفال باب الدعوة وفرض الستر على اسرارها[١٧٠].

ووصلت الدعوة إلى جبل السماق(من اعمال حلب) من بلد الروم، فجاهر فيه الدروز بمذهبهم وتحصنّوا في المغاور الشاهقة وانضوى اليهم خلق من اهل نحلتهم واستضاموا المسلمين المجاورين، فقصدهم قبطان انطاكية من الروم وقضى على تحرّكهم وابعدهم عن البلاد[١٧١].

لفهم الدعوة الدرزية ينبغي فهم العقيدة الإسماعيلية، وهي ليست سوى اجتهاد في تطبيقها مع بعض اجتهادات في تنظيم المجتمع الدرزي بطريقة تؤمن مساواة اجتماعية وماورائية مبنية على عقلنة واضحة للمجتمع، وان يكن بطريقة موغلة في تسترها.

وبشكل عام، نظن أنّ الموحدين- الدروز هم دعوة إلى توحيد الديانات السماوية الثلاث ومحاولة لمصالحتها مع الحكمة القديمة[١٧٢]. ومع حمزة الدرزية، كما الإسماعيلية، هي عقيدة الفيض الكوني لله الأحد والعودة اليه. فالحاكم هو تجسّد الله الاحد الذي خلق العقل الكلي أي حمزة. والحاكم هو المقام، وحمزة هو الإمام[١٧٣]. والقادة الاوائل للدعوة يمثلون المبادىء الكونية، او الحدود الخمسة، وتحت هؤلاء نجد الدعاة فالمأذونين فالمكاسرين فعامة المؤمنين[١٧٤].

ومن ابرز العقائد عند الدروز، القول بالتقمّص، الذي يمرّ به البشر إلى ان يتطهّروا من ادران الجسد. ومن ابرز مظاهر مجتمعهم التمسك والتسليم المطلق بالتسيير الالهي[١٧٥].

وحول ممارسة شعائر الاسلام، الآراء مختلفة بهذا الخصوص[١٧٦]، مع انّ الظاهر هو وجود خلوات للصلاة إلى جانب الجوامع، والممارسة تبعا لاحد المذاهب السنيّة.

---

[١٧٠] حتي، المرجع نفسه، ص ٣١٨-٣١٩.

[١٧١] الانطاكي، تاريخ، ص ٤٢٩. المقريزي،اتعاظ،ج٢/ص١٨١

[172] Mr. Feghali, textes druzes, **Mélanges Maspero**, v.III, le caire 1934,pp.83-96.

[173] M.G.S.Hodgson, art " Duruz". **Encyclopédie de l'Islam**, Nelle éd..t II, p.647.

[174] Ibid, p. 648.

[175] Ibid, p. 649-650. B.Carra de Vaux,art." tanasukh",**E.I.**, ancienne éd.t.IV,pp.681-682.

[١٧٦] من المراجع التي تنفي الممارسة المذكورة: ابن تيمية، مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية، ٣٧ مجلداً، الرياض ١٩٦١،ج٤ ،ص ١٦٢-١٦٣. بولس مسعد ووهيبة الخازن، الاصول التاريخية، بيروت، ١٩٥٦-١٩٥٨، ج٥٣٦/١. فغالي (بالفرنسية) المرجع المذكور، ص٩٠-٩٦.حتي، المرجع المذكور، ص ٢١٨-٢١٩.الخ .

هذه الدعوة وجدت في الاوساط الفلاحية بذورا صالحة، واوجدت لـــــهم راحـــة نفسية مع دعوتها إلى المساواة في العالمين الدنيوي والالهي، وفي عمر الانســـان، وفي تناوب التقمّص بين فقر وغنى وبين عمر قصير وعمر مديد، وفي تحقيق مبدأ العدل في الزواج برفض تعدّد الزوجات .

وكان من اسباب الاستقرار السهل للدرزية في لبنان انتشار افكار غلاة الشـــيعة في هذه البلاد منذ العهد العباسي.

ج -الأوضاع العمرانية

١-الوضع السكاني

أسهم الحكم الفاطمي في تطعيم الفسيفساء اللبنانية بعناصر جديدة هي المغاربـــة والاتراك السلاجقة كما مرّ معنا.

ومن العائلات المغربية المهمة في تاريخ لبنان آل نكد[١٧٧] الذين كان لهم دور في دير القمر في مطلع العهد الشهابي. و آل عبد الواحد و لا يزالون في طرابلس حتى اليوم .

لا يمكن بطريقة دقيقة احتساب عدد السكّان[١٧٨]. ولكن المؤشرات تذكر انّه فـــي عام ١٠٤٧م كان عدد سكان طرابلس عشرين الـــف رجـــل، اذا صحّـــت روايـــة ناصرخسرو[١٧٩]. واذا صحّ ما ذكر انّ ابن منزو فرض على اهل طرابلس مئة الف دينار في ١٠٦٥[١٨٠]، وبما انّ سكان صور دفعوا دينارا على الرأس كما هو مذكور ادناه، فيكون عدد السكان قرابة ١٠٠٠٠٠الف ساكن. وقد بلغ عـــدد عســكرها ٦ الآف جندي كما ذكرنا سابقا، فمن المعقول ان يكون عدد السكان اكبر مـــن ذلـــك. واذا كانت مساحة صور شبيهة بمساحة طرابلس، كما يذكر نـــاصر خســرو، واذا كان عدد سكان طرابلس ٢٠٠٠٠ الفا ، على حدّ ذكر المصدر المذكور فيفترض ان يكون سكان صور على القدر نفسه، أي ٢٠٠٠٠ الفا.

كان عدد العسكر في بيروت ٢٠٠٠ جندي[١٨١]، ودفع اهل صور للفـــاطميين ٦٠ الف دينار بمعدّل دينار على الراس[١٨٢] ، فيكون عدد سكّانها قرابـــة ســـتين الـــف ساكن، اذا اخذنا هذا الرقم في الاعتبار. وهكذا تتأرجح الارقام بيـــن ٢٠٠٠٠الفـــا

---

[١٧٧] مكي، المرجع المذكور، ص ٩٢.

[١٧٨] حاول الدكتور تدمري استقراء عدد السكان من بعض العينات الحسابية المذكورة في المصـــادر. ولا نعتقد انّ محاولته صائبة ومبنية على قواعد معتمدة في علم الديمغرافيا. كما أنّ المعطيات لا تصلح لاقامـــة استنتاجات توضّح بالفعل الارقام المبالغ فيها

[١٧٩] ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٧.

[١٨٠] تدمري، المرجع المذكور، ص١٢١.

[١٨١] الانطاكي، تاريخ، ص ١٦٢. ابن القلانسي، ذيل، ص ١٤.

[١٨٢] ابن القلانسي، ذيل،ص ١٢٤. ابن ميسّر، اخبار مصر،ج٢/ ص ٩٢.

والمئة ألف بالنسبة إلى طرابلس والستين بالنسبة إلى صور، وهذا الفارق كبير جدا، وبالتالي فاحتساب عدد السكان تمرين حسابي لا يصلح البناء عليه.

٢-العمران

اطّلعنا سابقا على وصف المدن كما ذكر ذلك المقدسي وابن حوقل وهما من آخر العهد العباسي ومطلع الفاطمي. ويبدو انّ مدن لبنان كانت صغيرة تعيش ضمن اسوارها وقرب قلاعها في وسط حقول مزروعة، وهي نظيفة ومرتبة ومن عدّة طوابق. وهذا ما سيوضحه لنا ناصر خسرو.

بالاضافة إلى ما ذكرنا سابقا اعتبر الرحالة ثغر طرابلس برّيا بحريا وشديد الامتناع على منازله. وقد ضربها زلزال في ٣٧٣هـ/ ٩٠٣م فأثر في تحصيناتها واهلك العديد من اهلها.

ووصفها ناصر خسرو فوجد فيها مزارع وبساتين وكثيرا من قصب السكر واشجار النارنج والترنج والموز والليمون والتمر. وكان يعصر السكر ويجمع فيها آنذاك. ثلاثة من جوانب المدينة تطلّ على البحر وعندما يموج البحر تعلو امواجه فوق السور. والجانب المطلّ من المدينة على البرّ فيه خندق عظيم وعليه باب حديدي محكم. وفي الجانب الشرقي من المدينة قلعة من الحجر المصقول وعليها شرفات ومقاتلات من الحجر نفسه. وعلى قمتها عرادات لوقايتها من الروم. ومساحة المدينة الف ذراع مربّع ومبانيها من اربع او خمس طبقات وحتى ست طبقات. وشوارعها واسواقها نظيفة وجميلة حتى لتظنّ انّ كلّ سوق قصر مزيّن. وفي وسطها جامع كبير ونظيف، جميل النقش، في ساحته قبة كبيرة تحتها حوض من الرخام، وفي وسطه فوارة من النحاس الاصفر. وفي السوق سبيل للماء تخوج منه المياه من خمسة مواسير. وبطرابلس عشرون الف رجل ويتبعها كثير من القرى. ويصنع بها الورق الجميل مثل ورق سمرقند. وهي تابعة لسطان مصر الذي رفع عنها الخراج لمقاومتها لغزوات الروم، واقام بها جيشا من قبله وعلى رأسه قائد. وتحصّل المكوس بها، فتدفع السفن الآتية من بلاد الروم والفرنج والاندلس والمغرب العشر للسلطان، فيدفع منه ارزاق الجند. وللسلطان بها سفن تسافر إلى بلاد الروم وصقلية والمغرب للتجارة. وسكان المدينة كلهم شيعة ؟ شيدّوا مساجد جميلة ومشاهد في كلّ البلاد ولا توجد خارج طرابلس بيوت ابدا[١٨٣].

---

[١٨٣] ناصر خسرو، **سفرنامه**،المصدر المذكور،ص ٤٧-٤٨.

ووجدت في طرابلس من العهد الفاطمي عدّة لوحات عليـــها زخـــارف نقـــوش دينية[١٨٤].

ولم يبق من دار العلم الاّ لوحة تؤرخ كون جلال الملك ابن عمّار قد جدّدها.

وفي عام ٩٦١م تأسست في طرابلس كنيسة فخمة تيمنـــا باســـم مـــار بـــهنام الشهيد[١٨٥].

كان مصير عرقا زلزالا ضربها سنة ٩٠٣ وقضى على اهلها [١٨٦]، ولم يســترع نظر ناصر خسرو شيء عند مروره بها[١٨٧].

ولم يسترع نظره في القلمون الاّ وجود القلعة وفي داخلها عين ماء[١٨٨]

جبيل كانت مثلثة الاضلاع، تطلّ زاوية منها على البحر، ويحيــط بــها ســور حصين شاهق الارتفاع، وحولها النخيل وغيره من اشجار المناطق الحارة[١٨٩].

في بيروت، رأى خسرو طاقا حجريا شقّ الطريق في وسطه، وعلى جانبيه بناء من الطوب ارتفاعه عشرون ذراعا وقد نصبت على قمته اعمدة الرخام، طول كــلّ منها ثمانية اذرع وهي سميكة بحيث لا يستطيع رجلان ان يحيطاها بأذرعهما الــخ، وفي الوسط تماما الطاق الكبير يعلوها بخمسين ذراعا. وكلّ حجر منها ثماني اذرع طولا واربع عرضا. وكان الناس يسمّون هذا المكان باب حديقة فرعون. والــوادي المجاور لهذه الناحية مملوء بأعمدة الرخام بتيجانها وجذوعها من الرخام المــــدوّر والمربّع والمسدّس والمثمّن[١٩٠].

في صيدا وجدت لوحة تؤرخ لبناء برج مبني في عهد الخليفة المستعلي بالله سنة ٤٩١هـــ/١٠٩٨م[١٩١].

وفي صيدا يزرع قصب السكر بوفرة. وبها قلعة حجرية محكمة، ولـــها ثــلاث بوابات. وفيها مسجد جميل مفروش بالحصير والنقوش. وفيها سوق جميل، نظيــف ، وحدائق واشجار منسقة، واغلب شجرها مثمر[١٩٢].

---

[184] Hassan S.Sarkis, "Inscriptions coufiques du chateau de Tripoli", **Bulletin du musée de Beyrouth** 1971,pp.64-67,75-76.
-**Contribution à l'histoire de Tripoli à l'époque des croisades**, Paris 1980,pp.128-129.
تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية، القسم الثاني،ص١٨٢-١٩٨.

[١٨٥] ابن العبري، تاريخ، ص ٦١ .

[١٨٦] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٠١نقلا عن السلامي.

[١٨٧] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص ٤٧.

[١٨٨] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص٤٨.

[١٨٩] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص٤٨.

[١٩٠] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص٤٩.

[191] K.Combe et Sauvaget, et G.Wiet, **Répertoire chronologique d'épigraphie arabe**, Inst.Arch..Or., le Caire 1931-1944,T.VIII,p.39.

[١٩٢] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص٤٩.

في صور، الجزء الواقع من قلعتها على اليابس لا يزيد على مائة ذراع والبـلقي في البحر. والقلعة مبنية بالحجر المنحوت الذي سدّت فجواته بالقار. وقدّرت مساحة المدينة بألف ذراع مربّع (أي مساحة طرابلس) ومبانيها من خمس وست طبقـات، كلّها متلاصقة وفي كثير منها نوافير. وأسواقها جميلة كثـيرة الخـيرات، وهـي معروفة بين مدن الساحل بالثراء ومعظم سكانها شيعة، وقاضيها رجل سنيّ اسـمه ابن ابي عقيل، وهو رجل طيّب وثري. وعلى باب المدينة مشهد عليه السـجاجيد والحصير والقناديل والثريات المذهبّة والمفضّضة. وتأتيها المياه من الجبـل. وقـد شيّد على بابها عقود حجرية، يمرّ من فوقها إلى المدينة. وفي الجبل واد مقابل لها، اذا سار السائر فيه ثمانية عشر فرسخا ناحية المشرق بلغ دمشق[١٩٣].

د-الحياة الثقافية

شهدت طرابلس غنى ثقافيا تمثّل بوجود كثرة الكتب فيها نتيجة اوقاف اهلـها[١٩٤]، من كتب ضاهت ما كان في مكتبة دار الخلافة في بغداد[١٩٥]. ولم يتفق المؤرخـون في تحديد عدد المؤلفات التي كانت موجودة في مكتبة دار العلم في طرابلس، فقيـل ١٠٠٠٠ وقيل ما يزيد على ١٠٠٠٠٠ كتاب، وقيل مليون كتاب[١٩٦]. وأسـهم فـي ذلك وجود معامل الورق[١٩٧] الضرورية للكتابة والتجليد والنسخ.

واشتهرت طرابلس بدار العلم التي وقف لها جلال الملك منحـا ماليـة لطلبـة العلم[١٩٨].

ومن المعروف انّ جلال الملك جدّد دار العلم بطرابلس، مما يعني انـها كـانت موجودة سابقا. ولعلّها تعود إلى عهد امين الدولة بن عمّـار. كـان لـهذه الـدار نظّارها[١٩٩] وخرّجت طلابا متنوعي الاختصاص، فكان منـهم الشـاعر والاديـب والمهندس والفلكي[٢٠٠]. وهذا ما يمكن استنتاجه من تراجم بعض طلاّب العلم فيـها. واشتهر من طلابها الشاعر ابن الخياط الدمشقي، وهو احمد بن محمد بـن علـي (٤٥٠ -٥١٧هـ/١٠٥٨-١١٢٣م)[٢٠١]. ومرّ بها ابو العلاء المعرّي وكانت بـها

---

[١٩٣] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص ٥٠.
[١٩٤] ابن القلانسي، ذيل، ص ١٦٣. ابن الاثير، الكامل ج١٠/ص ٤٧٦.
[١٩٥] القفطي،انباء الرواة
[١٩٦] ابن شدّاد، الاعلاق، ج٢/ ص ١٠٧. اعيان الشيعة، ج١/ص ٢٥٨. سعيد عاشور، الحركة الصليبيـة، ج١/ص ١١٧.
[١٩٧] ناصر خسرو، المصدر المذكور، ص ٤٧.
[١٩٨] ديوان ابن الخيّاط، ص ١٢١.
[١٩٩] تدمري، المرجع المذكور، ص ٢٣٤-٢٣٥.
[٢٠٠] تدمري، المرجع المذكور،ص ٢٤١-٢٥٣.
[٢٠١] . ديوان ابن الخياط، ص ١٢١-١٢٢.

خزائن كتب موقوفة[٢٠٢]. ومن المفترض ان نعلم انّ انشاء دار العلم في طرابلس، كان عملا مهمّا، ولكنّه ليس من اختراع آل عمّار كما يتصوّر ذلك البعض.

ففي ظلّ الدولة الفاطمية كان في القاهرة دار للعلم يجتمع فيها الفقهاء برئاسة داعي الدعاة، وتعرف بدار الحكمة، تضاف اليها خزانة الكتب التي فيها ما يقارب ٢٠٠ الف كتاب[٢٠٣]. وفي معلومات اخرى الف وستمائة الف كتاب وهي من عجائب الدنيا بحيث لم يكن في بلاد الاسلام جميعها دار كتب اعظم منها. ففيها مثلا الف ومائتان وعشرون نسخة من تاريخ الطبري[٢٠٤].

وعرف لبنان في هذه الفترة عشرات الشعراء والادباء والمحدثين والمتصوفة[٢٠٥] ولا يبدو انّهم كانوا من المبرّزين. ولن نتوقف الاّ عند من ترك اثرا لا بأس به.

فمثلا اشتهر في صور عبد المحسن الصوري المولود حوإلى ٣٣٩هـ/٩٥٠م الشيعي الإمامي وله ديوان شعر جمع فيه المدح والرثاء وغيره من ابواب الشعر. كان شعره بديع الالفاظ حسن المعاني رائق الكلام[٢٠٦]. وابن حباب الصوري (ت٤٦٣هـ)[٢٠٧]. ومحمد بن علي بن حسن الصوري، من مواليد صور ومن دعاة الإسماعيلية والفاطميين. عاش في طرابلس ثمّ في القاهرة على عهد المستنصر بالله الخليفة الفاطمي (١٠٣٥-١٠٩٤م). له "التحفة الزاهرة" و "نفحات الائمة" و

---

[٢٠٢] الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث ٤٤١-٤٦٠، ص ٢٠٠.

[٢٠٣] راجع ابن الطوير، نزهة المقلتين، ص ١٨٥،١٢٦،١١٠ مع الحواشي.

[٢٠٤] راجع المعلومات المفصّلة عن خزانة الكتب المصرية في سيّد، الدولة الفاطمية، المرجع المذكور،ص٥٩٤-٦٠٩ .

[٢٠٥] راجع التفاصيل عن هؤلاءء في تدمري، المرجع المذكور،ص ٢٤١-٣٨٦. وهم في اكثريتهم من السنّة ثم يأتي الشيعة الإمامية فالإسماعيلية.

[٢٠٦] ديوان عبد المحسن الصوري، تحقيق السيد جاسم وشاكر هادي شكر، وزارة الثقافة، العراق ١٩٨٠. الدواداري،كنز، الدرّة، ج٦/٤٢٧،٤٢٣. الدبس، المرجع المذكور، م٥/٤٧٩-٤٨١. ديوان المتنبي، ط. السقا، ج٢/١٧٨. ومن شعراء صور: ابو عبدالله محمد بن علي المعروف بابن الدرزي(ت ٤٦٣هـ/١٠٧١م) وابو عبدالله محمد بن احمد السراج، ومحمد بن القاسم، ومحمد بن ابي ربيع، وميسو، والجنيد بن دانيال الكرماني، وابو الحسن بن محمود بن غيث السلمي الهيبيي المتوفى في ٥٤١، وابو النور ضيا بن الحسين بن نصير العليمي، وابو محمد فاضل اسدالله ابن الحسن بن علي بن حمدون الصوري وهو من مواليد ٤٩٠ وزوجته تقيةفي ٥٠٥ وكانت شاعرة ايضا، وابو الحسن الديك الصوري وكان جدّه قاضي صور وفي طرابلس ابن النقار، وابو الحسين بن خراسان الطرابلسي، وخيثمة بن سليمان بن حيدرة الطرابلسي وهو من مواليد ٤٣٨ بجبيل،ولكنهم لم يتركوا شيئا مهما على ما يبدو. العماد الاصفهاني، خريدة، ط.فيصل،ج١/٣١٤، ج٢/ ٢٧٧ . الاصبهاني، ابو طاهر عماد الدين(ت٥٧٦)، **معجم السلفي** ويسمى ايضا معجم السفر، مخطوط ٣٩٣٢، ميكروفيلم ٥٨٦٥، دار الكتب المصرية، ص٧٠،٧٦-١٢٦،٧٧،١٩٤، ٢٨٠، ٣٢٨، ٣٩٩،٣٦٤. راجع التفاصيل عن هؤلاءء في تدمري، المرجع المذكور،ص ٣٤٣-٣٤٧.

[٢٠٧] ابن شاكر الكتبي، فوات، م٣/٤٣٣.

"القصيدة الصورية" [٢٠٨]. وابو الحسين احمد بن منير الاطرابلسي، (٤٧٣-٥٤٨) من غلاة الشيعة، وقد ضاهى في غزله الغلماني الغزل بأجمل النساء [٢٠٩].

وفي الحديث اشتهر ابو عبدالله محمد بن علي بن رحيم الصوري المولود حوالي ٣٧٦هـ/٩٨٧م، وله مصنّفات في الحديث ونقد الاسانيد [٢١٠]. محمد بن احمد بن جميع الغساني من صيدا من مواليد٣٠٥-٣٠٦هـ/ ٩١٨م، مؤلف " معجم الشيوخ" الذي يضمّ أسماء الشيوخ الذين اخذ عنهم حديثا او شعرا او غيره [٢١١]. واغلب المحدّثين لم يتميّزوا بشيء مهمّ [٢١٢].

وفي الكتابة والتأريخ ابو الغيث بن علي الارمنازي الصوري، من مواليد ٤٤٣هـ/١٠٥٢م؟ [٢١٣]. وستشتهر نسيبته تقية الصورية امّ علي بنت ابي الفرج غيث بن علي الارمانازي بالشعر، وهي من مواليد مطلع العهد الصليبي في ٥٠٥هـ [٢١٤]. ومن الذين استضافهم لبنان فسكنوا فيه ابو عبدالله الروذباري الصوفي (ت ٣٦٩هـ) في قرية منواث من عمل عكار ودفن بصور [٢١٥]. وعرف في صور ابو الفضل احمد بن الحسين ابن بنت الكاملي الصوري الذي عمل كاتبا للخلفاء الفاطميين [٢١٦]. وولي قضاء بعلبك مفضل بن محمد بن مسعر(ت٤٤٣هـ) الذي صنّف " تاريخ النحويين" وكان معتزلا شيعيا وعزل بسبب اتهامه بالرشوة [٢١٧].

---

[٢٠٨] **المنجد في الاعلام**، ط. ٧، المطبعة الكاثوليكية ١٩٧٣، ص٤٢٨.

[٢٠٩] العماد الاصفهاني، خريدة القصر، ط. فيصل، ج١/٧٦-٩٥.

[٢١٠] ابن عساكر، تاريخ دمشق، ط. دار الفكر ١٩٩٥،ج٥/٢٣؛ ج٦/٣٥٦. تدمري، المرجع المذكور،ص ٣١٠-٣١١.

[٢١١] الاصبهاني، ابو طاهر عماد الدين، المصدر المذكور، ص١٩٤. تدمري، المرجع المذكور، ص ٣٥٣.

[٢١٢] كما عرف بالحديث الحسن بن محمد بن جميع. والسكن بن جميع، ابو محمد الحسن بن محمد (ت ٤٣٦هـ). كما اشتهرت في صيدا عائلة بن ابي كريمة الفارسية الاصل، ومن اعلامها: ابراهيم بن الحسن بن محمد بن ابي كريمة ابو البركات الفارسي الاصطخري الصيداوي(القرن الخامس /الحادي عشر) الذي حدّث بصيدا عن جدّه ابي عبدالله محمد وابي محمد بن جميع الصيداوي). وقد ورد اعلاه ذكر من اشتهر من آل ابن عقيل وابن عمّار. وفي بيروت: موسى بن عبد الرحمن، ابو عمران البيروتي الصبّاغ إمام جامع بيروت(ت قبيل ٣٦٠هـ) وروى عنه من لبنان ابو الحسين ابن جميع وابنه الحسن ، والحسين بن عبدالله بن محمد بن اسحاق(ت ٤١٤هـ)، الذي روى عن ابيه وعن خال ابيه خيثمة وحدّث عنه من لبنان محمد بن علي الصوري. ابن عساكر، تاريخ، ج٨/٢٧٨. الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث٣٥١-٣٨٠، ص ٣٢١،٤٦٦؛حوادث ٤٠١-٤٢٠، ص٣٤٢.حوادث ٤٧١-٤٨٠، ص ٣٨؛ ومن سكان صور ابو الفتح سليم بن ايوب الرازي، الفقيه الشافعي، الاهوال، الحسين، غربال الزمان، المخطوط المذكور، ص ١٢٩. تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية، ص ٢٧١-٢٧٢.

[٢١٣] تدمري، المرجع المذكور،ص ٣١٦.

[٢١٤] ابن خلكان، وفيات، م١/٢٩٧-٣٠٠.

[٢١٥] ابن عساكر، ج٥/٢٣؛ ج٧/٨٠. الاهوال، الحسين، غربال الزمان، المخطوط المذكور، ص١١٥.

[٢١٦] ابن عساكر، تاريخ، ج٥/٨٣، ج٧/١٩٧. تدمري، لبنان من السيادة الفاطمية ص ٣١٩.

[٢١٧] الذهبي، تاريخ الاسلام، حوادث٤٢١-٤٤٠، تحقيق عمر تدمري، دار الكتاب العربي،١٩٩٣، ص ٥٠٨.

وفي الكتب الدينية والتنظيمية نجد المطران داود الماروني، الذي نقل كتاب الهدى إلى العربية من السريانية في القرن الحادي عشر حوالى عام ١٠٩٥م لمؤلف لم تحددّ هويته. وهو يعتبر دستور الطائفة المارونية في القرون الوسطى على صعيد الايمان وتطبيق الشرائع والليتورجية والممارسة الدينية وغيرها[٢١٨].

هـ-الأوضاع الاقتصادية

١-الكوارث الطبيعية

ابرز الكوارث الطبيعية التي ضربت لبنان كانت:

-سنة٣٧٣هـ/ ٩٨٣م زلزال قوي في طرابلس[٢١٩]. وضرب عرقا وقضى على اهلها[٢٢٠].

-سنة ٣٨١هـ/٩٩١م خسفت قرية من قرى بعلبك، وكانت الزلازل بدمشق واعمالها وبعلبك[٢٢١].

-٤٣٤هـ زلزلة في بعلبك[٢٢٢].

-سنة ٤٥٢زلزلة في طرابلس[٢٢٣].

-سنة ٤٥٥هـ/١٠٦٣م زلزال عظيم بصور وعكا هدم سور طرابلس[٢٢٤].

-سنة ٤٦٥هـ زلزلة في بعلبك فسقطت اسوارها واكثر قلعتها[٢٢٥].

-سنة٤٩٧هـ زلزلة عظيمة من مصر إلى الشام وبلاد الروم فسقط غالب قلعة بعلبك وهرب قوم من بعلبك فقضوا بين جبلين من جبل لبنان[٢٢٦].

---

[٢١٨] الدبس، المرجع المذكور، م٥/٥٤١-٥٤٣. وقد نشر الاباتي بطرس فهد هذا الكتاب بعنوان:**كتاب الهدى، دستور الطائفة المارونية في الاجيال الوسطى**، حلب ١٩٣٥؛ ط. اخرى في دار لحد خاطر، بيروت١٩٨٥. راجع حوله، اسد رستم، انطاكية، المرجع المذكور، ج٢/٥٨.

[٢١٩] شهاب الدين السلامى، مختصر التواريخ، مخطوط بدار الكتب المصرية، ص ٢٤٠.

[٢٢٠] تدمري، المرجع المذكور ص٢٠١، نقلا عن السلامي.

[٢٢١] الانطاكي، تاريخ، ص ٢٢٠.

[٢٢٢] السيوطي، كتاب كشف السلسلة عن وصف الزلزلة، المخطوط المذكور، ص١١.

[٢٢٣] السيوطي، كتاب كشف السلسلة عن وصف الزلزلة، المخطوط المذكور اعلاه، ص١٢ .

[٢٢٤] ابن الاثير، الكامل، ج ١٠/ ص ٣٠. ابو الفداء، المختصر في اخبار البشر، ج٢/ ص ١٨٤. ابن كثير، البداية، ج١٢/٨١. ابن الوردي، تاريخ، ج١/ ص٣٧٠ . السيوطي، المخطوط المذكور اعلاه، ص١١.

[٢٢٥] السيوطي، المخطوط المذكور اعلاه، ص١٤.

[٢٢٦] السيوطي، المخطوط المذكور اعلاه،ص١٤.

هذه الزلازل التي شهدها لبنان في النصف الثاني من القرن الخامس /الحادي عشر، وما رافقها من نتائج تدميرية كما رأينا اعلاه، أسهمت في زيادة بؤس السكان الذين كانوا يعيشون من الزراعة بالدرجة الاولى.

٢-الزراعة

بما انّ المصادر تتداخل فيها المعلومات وتتوزع بين العباسيين والفاطميين وهي من هذا العهد الاخير، فما ذكرناه عن الزراعة في العهد العباسي ينطبق على العهد الفاطمي. وتكمل مصادر اخرى معلوماتنا عن العهد الفاطمي بقولها انّ منطقة الكورة كانت مشهورة بالزيتون[٢٢٧]، والخروب في اقليم الخروّب[٢٢٨]، وبقي التفاح محافظا على صيته[٢٢٩]، واشتهرت طرابلس بالمشمش وبماء الورد[٢٣٠].

كان معدّل الخراج الذي تدفعه مدن صور وصيدا وبيروت ٣٠٠ الف دينار في السنة[٢٣١]. وكانت النقود الذهبية تسكّ في طرابلس وصور[٢٣٢].

٣-الاقطاع

في سنة٤٠٥ هـ/١٠١٤م اقطع الحاكم بأمر الله، خليفة مصر، صور وصيدا وبيروت للفتح القلعي، الذي كان قد نادى بشعار الحاكم، عوضا عن حلب، ولقّبه مبارك الدولة وسعدها؛ وكان ارتفاع(أي جباية) الاماكن الثلاث المذكورة ثلاثماية الف دينار. وفي سنة ٤٣٤ هـ/١٠٤٢م اقطع المستنصر بالله، خليفة مصر، عكا وبيروت وجبيل لمعزّ الدولة محمود، صاحب حلب، عوضا عن حلب؛ واخذ منه حلب، فاسترجع اقارب محمود في حلب من عمّال المستنصر الاماكن الثلاثة من محمود[٢٣٣].

٤-التجارة

---

[٢٢٧] رسالة تزيمسكس إلى الملك الارمني آشوط الثالث عن حملته في بلاد الشام سنة ٩٧٦، منشورة في تدمري، المرجع المذكور، ص٣١٣-٣١٨

[٢٢٨] المقدسي،احسن التقاسيم، ص ١٨٣-١٨٤.

[٢٢٩] المسبحي، ص ٢٠٤.

[٢٣٠]ديوان ابن الخياط، ص ١١٩.

ابن الفرات، تاريخ، ج٨/ ص ٧٨، ٧٩.

[٢٣١] صالح بن يحيى، تاريخ بيروت، ص ١٥.

[٢٣٢] Henri Lavoix, **Catalogue des Monnaies**, Paris 1896, pp 517-531.

[٢٣٣] الانطاكي، تاريخ، ص ٣٢٥. ابن العديم، زبدة،ج١/ص٢٧٣. صالح بن يحيى، تاريخ بيروت،ص ١٥-١٦.

الهدنة بين الأمبراطور البيزنطي ميخائيل الرابع والخليفة الفاطمي المستنصر اثمرت انتعاشا اقتصاديا. فأمّت قوافل التجّار المسلمين وتجّار بيزنطية وصقلية واوروبا موانىء لبنان، في الوقت الذي كانت فيه سفن الفاطميين تصل إلى القسطنطينية وصقلية وشمال افريقيا[٢٣٤].

ففي اواخر القرن العاشر، وفي اوائل القرن التالي، اصبح للدولة الفاطمية تجارة مع مدن البندقية وجنوى وبيزا واملف، بالاضافة إلى تجارتها مع الروم، وهذا ما ساعد على نموّ طرابلس وجبيل وبيروت وصيدا وصور[٢٣٥].

وقد وصف ناصر خسرو في ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م مدن الساحل كما ذكرنا سابقا[٢٣٦]. ويذكر المقدسي، كما اسلفنا، ان في صور السكّر والخرز والمعمولات والزجاج المخروط[٢٣٧].

وشهدت بعلبك ايضا حركة عمرانية في هذه الاونة[٢٣٨]وكانت مشتهرة بالملابن[٢٣٩].

---

[٢٣٤] ارشيبالد لويس، القوى الخارجية، ص ٣٢٨. تقي الدين الدوري، **صقلية و علاقتها بدول البحر التوسط**، وزارة الثقافة في بغداد، ١٩٨٠، ص ١٧٣.

[٢٣٥] الصليبي، المرجع المذكور، ص ٧١.

[٢٣٦] ناصر خسرو، سفرنامه، ص ٤٩-٥٠.

[٢٣٧] المقدسي، احسن التقاسيم، ط. مخزوم، ص١٥٤ .

[٢٣٨] العظيمي، تاريخ حلب، ص ٣٣٦. ابن العديم، زبدة، ج١/.ص ٢٦٢. ابن الشحنة، ط ١٩٨٤، ص ٧٤ .

[٢٣٩] المقدسي، ط. مخزوم، ص١٥٥.

خاتمة

فترة القرون الوسطى هي ما اصطلح عليه ايضا باسم الاسلام الكلاسيكي، منعـــا للالتباس الحاصل بين الفترات الاولى من القرون الوسطى الاوروبية التي تمـيّزت في تلك الحقبة الطويلة التي استمرّت قرابة ثمانية قرون بالتخلف والانحطاط علـى اكثر من صعيد، اثر الغزوات البربرية التي قوّضت صروح الحضارة الرومانيــة، وما عرفه الشرق والمغرب العربي من تطوّر حضاري وصل إلى العهد الذهبي مع الخلافة العباسية.

في ظلّ هذه القرون، فقد لبنان، بحدوده المنصوص عليها كجمهورية وكيـان قـائم بذاته، كما ذكرنا في المقدمة، الهالة التي كان يتمتع بها، والدور المهم الذي شـغله. وتحوّل لبنان إلى هامش لا ثقل له في مجريــات السياســة الاسـلامية. وبـدأت المتغيرات الديمغرافية والثقافية تقرض التركيبة السكانية السابقة، ولكن مــع ذلـك حافظت مناطق منه على هواياتها السابقة أو الخاصة بها وعملــت علــى بنائــها وتركيزها مهيّأة الطريق لمنطلق جديد ولتركيب جديد للبنان على صعيد الـــتركيب الاجتماعي والذهني في اطار الثقافة التي ستصوغها الثقافة الاســلامية-العربيــة، بتطعّمها بالثقافتين اليونانية والفارسية .

عرف لبنان كيف يستفيد من واقع الدولة الاموية لقربه من مركز القرار، ولكن مــع الدولة العباسية اصبح ريفا منسيا لاتتذكره المصادر الاّ كحدث غريب، ومع ضعف الدولة العباسية واستفحال نهشها من الدويلات التي نشأت في اطرافها، اصبح لبنـلن مكرّا ومفرّا للجيوش والقوى السياسية والدينية المتصارعة، ومع ذلك بقيت انــوار الحضارة والثقافة تغزوه من فينة إلى فينة دون ان تقدّم مساهمات متميزة، سياســية وثقافية ودينية واقتصادية، الاّ في ما ندر، كما هو حال الامام الاوزاعي. والنــاس كلّ الناس رهينة السياسات المتقلبة وجشع الحكّام الذي لا ينضب لتغذيــة خزائــن اموالهم.

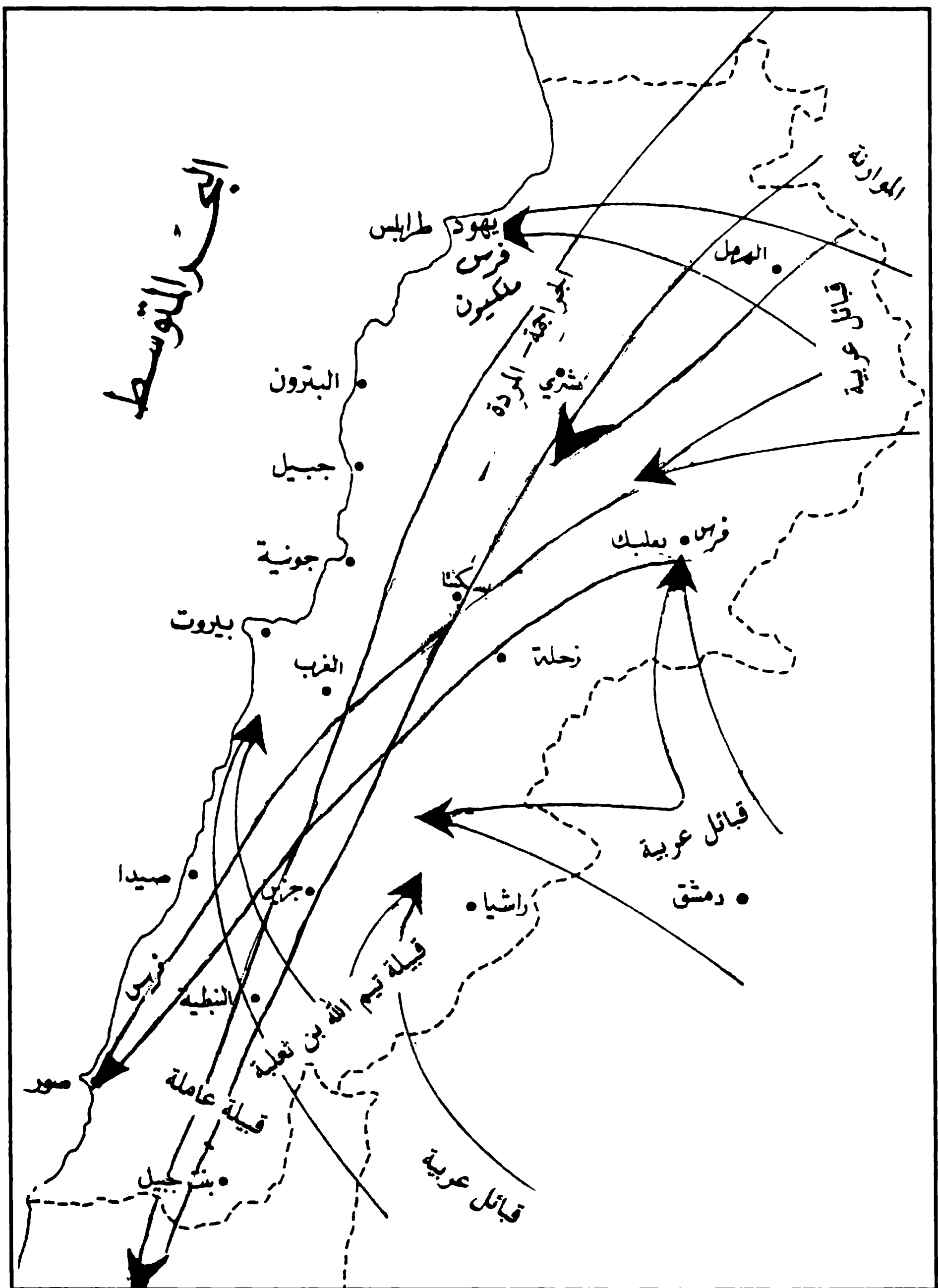
اين هم اولئك اللبنانيون الذين يساهمون في قيادة السلطة؟ بالكاد نعرفهم، ولا يجـوز ان يصيبنا الوهن من جرّاء ذلك، فالحال لم يكن افضل في الأجناد الشامية.

الفتوحات زمن الخلفاء الراشدين

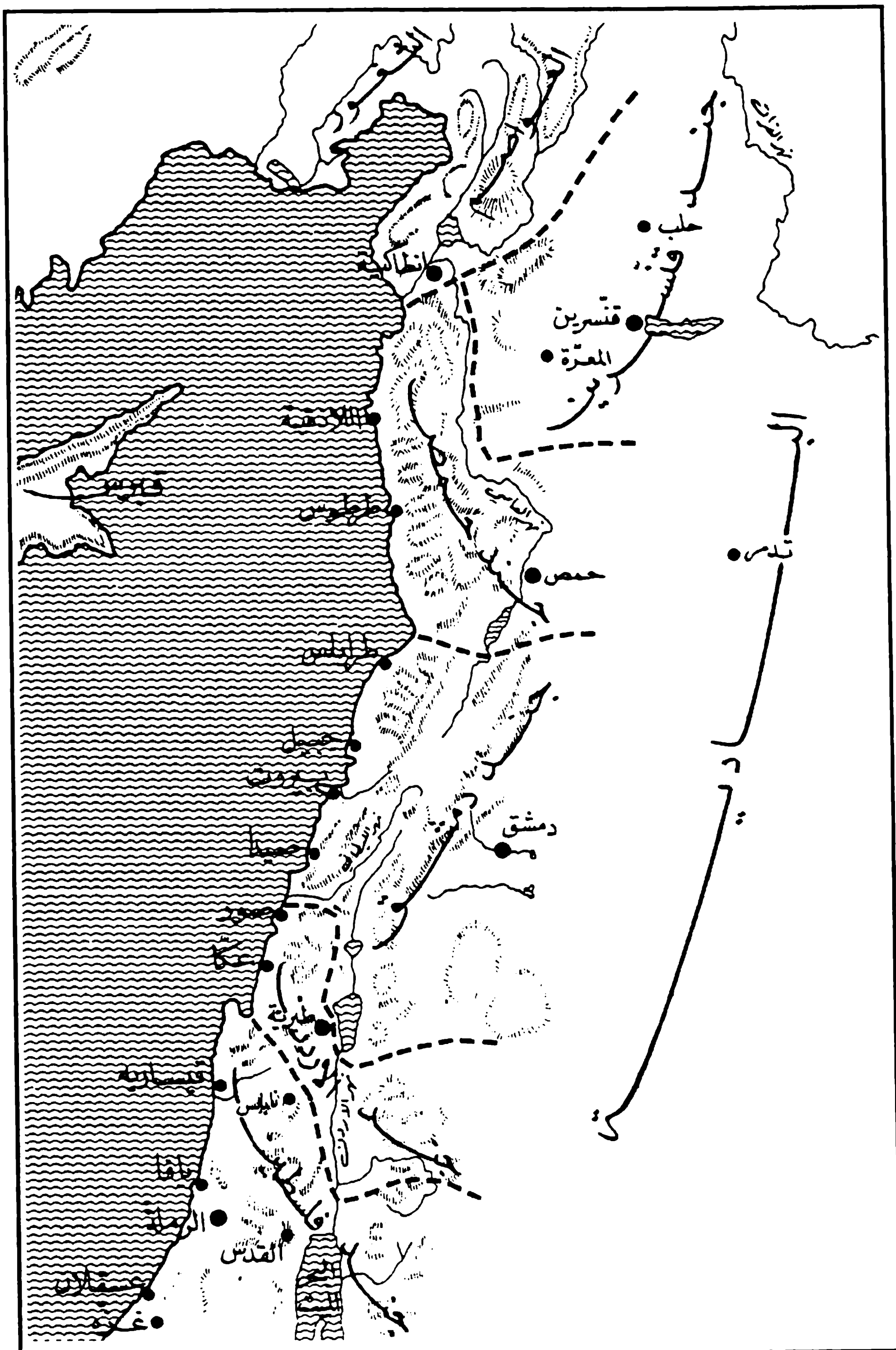
محمود الميداني، الأطلس التاريخي للعالم الإسلامي، دار دمشق، دمشق، ١٩٩٧، ص١٧

امتداد الدولة الأموية

الأطلس التاريخي، ص ٢٢

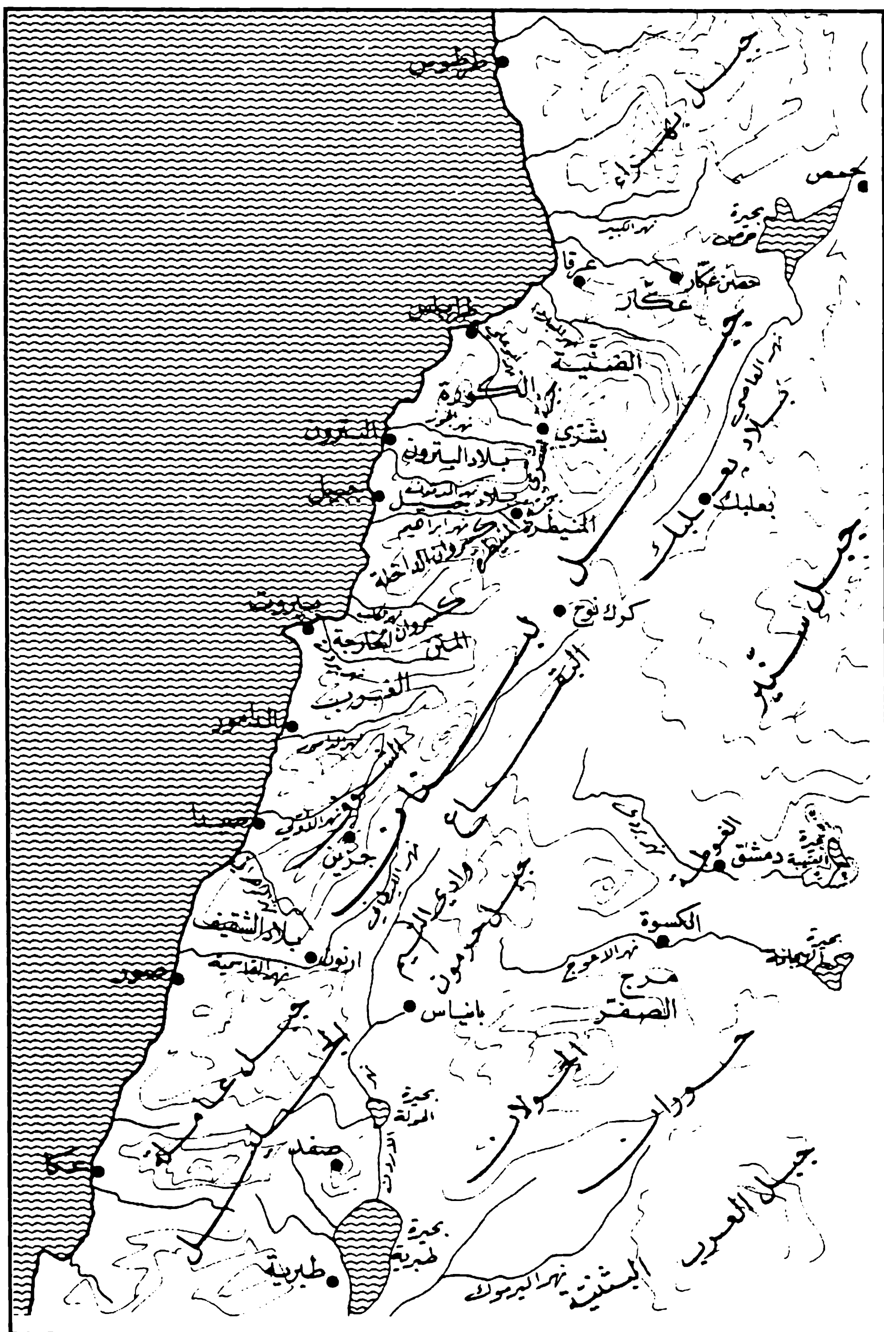


الهجرة الى البنان في العهد الأموي



الأجناد الشامية بعد عام ٦٨٠م

كمال الصليبي، منطلق تاريخ لبنان، مشوارات كارافان، ص ٥٢



لبنان وجواره مع الأسماء التقليدية للمناطق

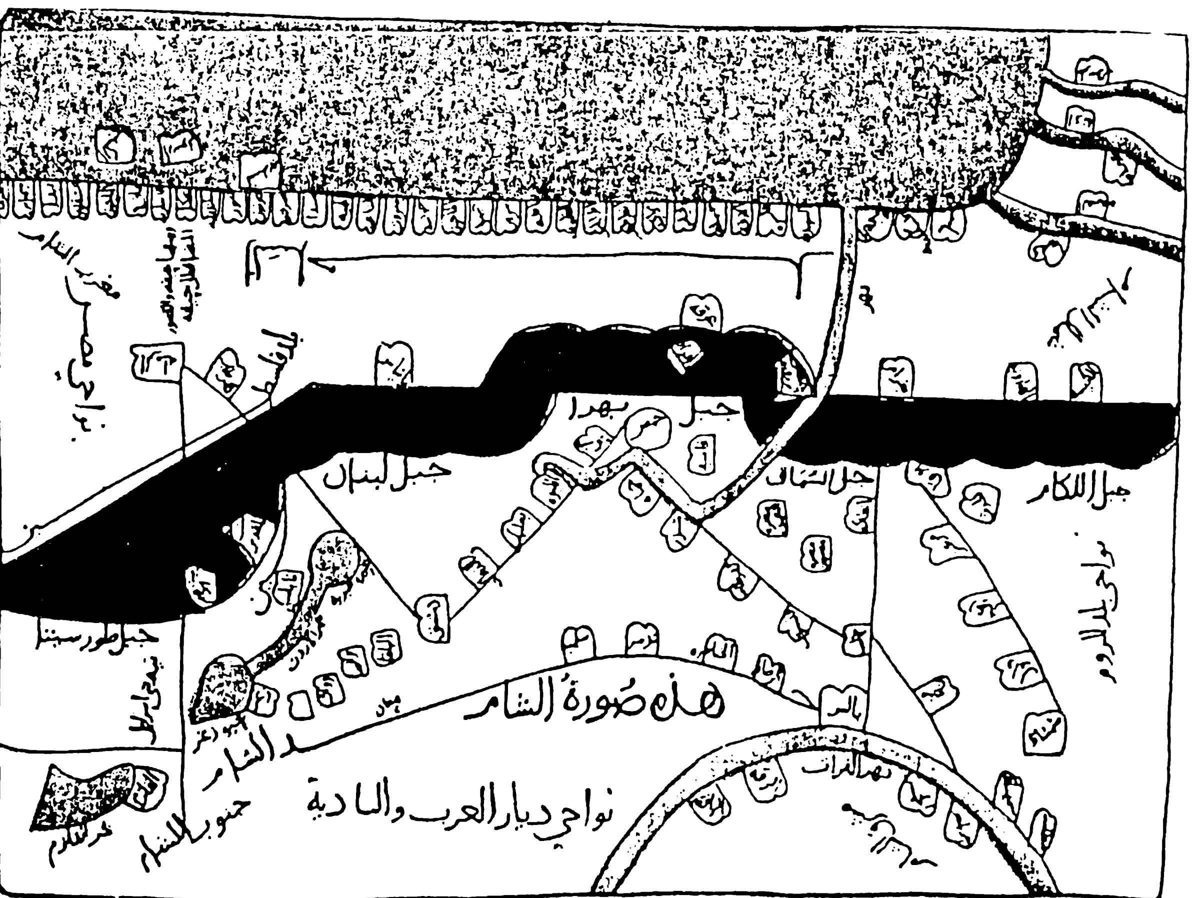
منطلق تاريخ لبنان، ص٤٦

الدولة العباسية زمن هارون الرشيد

الأطلس التاريخي، ص ٢٨

الطرق التجارية في العالم الإسلامي

فيليب حتّي، تاريخ العرب، ص. ٤٠١



صورة «الشام» لأبي القاسم بن حوقل (القرن العاشر م.)

المدن اللبنانية على خريطة ابن حوقل

طرق التجارة في لبنان في القرون الوسطى

١ بسم الله الرحمن الرحيم لا اله الا الله و..

٢ رسول الله على ولى الله صلوات الله عليهما وعلى.....................................

٣ ....مولانا وسيدنا احمد ابي القاسم الامام المستعلى بالله

٤ امير المومنين صلوات الله عليه وعلى اله الطاهرين وانساله؟

الاكرمين الامير الاكمل الافضل امير الجيوش سيف الاسلام ناصر

الامام كافل قضاة المسلمين و.......................... دعاة المومنين القايم

.....السين الا..... لامير الجيوش عضد الله به الدولة

امير المومنين على يد مملوكه الامير

سعد الدوله ابو منصور اسكدر الارمنى

وتسعين واربع ماية

نقش يؤرخ لبناء برج في صيدا سنة ١٠٩٨/٤٩١ (E.RENAN, Mission de Phenicie, p..863)

المصادر والمراجع

المصادر المخطوطة

-ابن ايبك، ابو بكر بن عبيدالله، **درر التيجان وغرر تواريخ الازمان**، مخطوط رقم ٤٤٠٩، ميكروفيلم ٣٨١٧٢(٣١٨ورقة) دار الكتب المصرية.
-ابن الجوزي،عبد الرحمن بن علي(٥٧١/١٢٠١)، **عجائب البدائع**، مخطوط رقم ١٥٦٧، المكتبة الوطنية في باريس.
-ابن تغري بردي، **البحر الزاخر في علم الاول والاخر**، مخطوط رقم ١٥٥١، المكتبة الوطنية في باريس.
-ابن ميسّر، **تاريخ مصر**، مخطوط رقم ١٦٨٨، المكتبة الوطنية في باريس.
-الاسحاقي، محمد بن عبد المعطي(١٠٣٢/١٦٢٣)، **لطائف اخبار الدول**، مخطوط رقم ١٥٦٢، المكتبة الوطنية في باريس.
-الاصبهاني، ابو طاهر عماد الدين(ت٥٧٦)، **معجم السلفي** ويسمى ايضا معجم السفر، مخطوط ٣٩٣٢، ميكروفيلم ٥٨٦٥، دار الكتب المصرية.
-الاهوال، الحسين بن عبد الرحمن (٨٥٥)، **غربال الزمان في وفاة الاعيان**(و هو مختصر لليافعي)، مخطوط رقم١٥٩٣، المكتبة الوطنية في باريس.
-البيروني(ت٤٤٢/١٠٥٠)، **الاثار الباقية**، مخطوط رقم ٢٤٨٩، المكتبة الوطنية في باريس.
-الحموي، محمد بن علي(القرن السابع/الثالث عشر)، **مختصر سير الاوائل والملوك ووصيلة العبد المملوك**، مخطوط رقم ١٥٠٧، المكتبة الوطنية في باريس.
-السيوطي، **كتاب كشف السلسلة عن وصف الزلزلة**، مخطوط رقم ٥٩٢٩، المكتبة الوطنية في باريس.
-القرماني، احمد بن يوسف، **تأريخ أخبار الدول**، مخطوط رقم ١٥٥٦، المكتبة الوطنية في باريس.
-المقدسي، احمد بن محمد بن شهاب الدين، **كتاب مثير الغرام إلى زيارة القدس والشام**، مخطوط رقم ١٦٦٧، المكتبة الوطنية في باريس،.
-**تاريخ الخلفاء** لتلميذ لليافعي، مخطوط رقم١٥٩٤، المكتبة الوطنية في باريس.
-**منتخب التذكرة في التاريخ** (منسوب إلى المقريزي)، والنسخة تبدو سابقة للمقريزي، مخطوط رقم ١٥١٤، المكتبة الوطنية في باريس.

المصادر والمراجع المطبوعة

-الإدريسي، محمد(٦٤٩/١٢٥١)، **كتاب نزهة المشتاق في اختراق الآفاق**، مجلدان، عالم الكتب، بيروت١٩٨٩ .

-الإصطخري، ابو اسحاق ابراهيم، **مسالك الممالك**، دار صادر، بيروت، نقلا عن ط.ليدن ١٩٢٧.
-ابن اعثم، ابو محمد احمد(ت ٣١٤/٩٢٦)، **الفتوح**، حيدر آباد ١٣٨٨هـ/١٩٦٨، ط. مصوّرة في بيروت. وط. اخرى من تحقيق سهيل زكار، دار الفكر، بيروت١٩٩٢.
-ابن الاثير، عزالدين(ت٦٣٠/١٢٣٣)، **اسد الغابة في معرفة الصحابة**، مصر ١٢٨٦. المطبعة الوهابية، ١٢٨٠هـ. **الكامل في التاريخ**،ط. دار صادر، بيروت ١٩٦٥-١٩٦٧.ط. اخرى من محمد الدقاق، دار الكتب العلمية، بيروت١٩٨٧.
-ابن الجوزي، ابو الفرج عبد الرحمن(ت ٥٩٧)، **سيرة ومناقب عمر بن عبد العزيز**، مطبعة المؤيد، مصر ١٣٣١ هـ. **المنتظم في تاريخ الامم والملوك**، تحقيق محمود ومصطفى عطا، ط. اولى دار الكتب العلمية بيروت ١٩٩٢،١٨ جزءا، ١٦ مجلدا.
-ابن الطوير، **نزهة المقلتين في اخبار الدولتين**، تحقيق ايمن فؤاد سيد، نشر فرانتس شتاينر، شتوتغارت ١٩٩٢.
-ابن العبري، غريغوريوس(ت٦٨٥/١٢٨٦)، **تاريخ مختصر الدول**، المطبعة الكاثوليكية، بيروت١٩٥٨. **تاريخ الدول السرياني**، (تاريخ الزمان) مجلة المشرق ١٩٤٩-١٩٥٦.
-ابن العديم، **زبدة الحلب في تاريخ حلب**، تحقيق سامي الدهان، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٥١.
-ابن الفقيه الهمذاني، **مختصر كتاب البلدان**، ط. هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، دمشق ١٩٧٣ . ط. صادر نقلا عن ط. بريل ١٣٠٢.
-ابن القلاعي، جبرائيل، **حروب المقدّمين**، نشر بولس قرألي، بيت شباب، لبنان ١٩٣٧ . ط. الجميّل، **زجليات ابن القلاعي**، دار لحد خاطر، بيروت ١٩٨٢.
-ابن ايبك الصفدي، خليل، (ت ٧٦٤هـ)، **تحفة ذوي الالباب**، تحقيق احسان خلوصي وزهير الصمصام، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٩٧. **الوافي بالوفيات**، نشره بيرندر راتكه، بيروت ١٩٧٩.
-ابن تغري بردي، جمال الدين، **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**،١٦ جزءا، حتى ج ١٢ مصورة عن ط. دار الكتب، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة ١٩٦٣. ج١٣ تحقيق شلتوت، ١٩٧٠، ج ١٤ تحقيق محرز وشلتوت ١٩٧١، ج١٥ تحقيق طرخان ١٩٧١، ج١٦ تحقيق الشيال ١٩٧٢، الهيئة المصرية العامة، مصر،١٩٧٠-١٩٧٢.
-ابن تيمية، **مجموع فتاوى شيخ الاسلام احمد بن تيمية**، ٣٧ مجلداً، الرياض ١٩٦١.

-ابن حجر، ابو الفضل احمد(ت٨٥٢)، **الاصابة في تمييز الصحابة**، مصر ١٣٢٨هـ.

-ابن حزم، ابو محمد علي(ت٤٥٦هـ)، **جمهرة انساب العرب**، نشره ليفي بروفنسال في ذخائر العرب، دار المعارف بمصر ١٩٨٤و ١٩٧٧.

-ابن حنبل، احمد، تحقيق زينب قاروط، **كتاب الورع**، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٨٣.

-ابن حوقل، **كتاب صورة الارض**، جزءان، ط.صادر نقلا عن ط. ليدن ١٩٢٨.

-ابن خرداذبه، ابو القاسم عبيدالله، **المسالك والممالك**، ويليه **كتاب الخراج** لقدامة بن جعفر، دار المدينة، نقلا عن طبعة دي غويه، ليدن، ١٨٨٩.

-ابن خلكان، ابو العباس شمس الدين، **وفيات الأعيان**، تحقيق احسان عباس، ٨ مجلدات، دار الثقافة، بيروت ١٩٦٨.

-ابن خياط (خليفة) (ت٨٥٤/٢٤٠)، **تاريخ خليفة بن خيّاط**، تحقيق سهيل زكار، قسمان، وزارة الثقافة، دمشق ١٩٦٧. وللكتاب طبعة اخرى بمراجعة وضبط وتوثيق مصطفى فوّاز وزوجته حكمت كشلي، دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٥.

-ابن رسته، **كتاب الأعلاق النفيسة**، دار صادر، بيروت، نقلا عن ط.بريل ١٨٩٢.

-ابن سعد، محمد(٢٣٠هـ)، **الطبقات الكبرى**، دار صادر، بيروت١٩٦٨.

-ابن سلام، ابو عبيد القاسم، **كتاب الاموال**، دار الحداثة، بيروت١٩٨٨.

-ابن شاكر الكتبي، محمد، **فوات الوفيات**، تحقيق احسان عباس، ٥ مجلدات، دار صادر، بيروت ١٩٧٣.

-ابن الشحنة، محمد(ت٨٩٠)، **الدرالمنتخب في تاريخ مملكة حلب**، ط. يوسف سركيس، بيروت ١٩٠٩. ط. اخرى تحقيق يوسف درويش، دمشق ١٩٨٤.

-ابن شدّاد، عز الدين، (ت٦٨٤)، **الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة**، منشورات المعهد العلمي الفرنسي بدمشق١٩٦٣.

-ابن ظافرالازدي، **أخبار الدول المنقطعة**، مع مقدمة وتعقيب لاندريه فريه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٧٢.

-ابن عساكر(ت ٥٧١)، **تاريخ مدينة دمشق**، المجلد الاول تحقيق المنجّد، ١٩٥٤، المجلد العاشر تحقيق محمد دهمان، المجمع العلمي، دمشق. ومجلد تحقيق شكري فيصل وآخر تحقيق سكينة الشهابي، مجمع اللغة العربية، دمشق ١٩٨١-١٩٨٢. والمجموعة كاملة تحقيق محب الدين العمروي، ط. دار الفكر، ج١-٣٠ ١٩٩٥ وج ٣١إلى الاخير ١٩٩٦.

-ابن عساكر، **تهذيب تاريخ دمشق**، دار المسيرة، بيروت.

-ابن كثير، ابو الفداء اسماعيل، **البداية والنهاية**، ١٤ ج، دار الكتب العلمية، ط.٢، بيروت١٩٩٧.
-ابن ماجه، ابو عبدالله محمد (٢٧٥هـ)، **سنن ابن ماجه**، دار احياء التراث، مصر ١٩٧٥.
-ابن ماكولا، (ت٤٧٥)، **الاكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الاسماء والكنى والانساب**، حيدر آباد ١٩٦٢.
-ابن ميسّر، محمد، **اخبار مصر**، نشر هنري ماسيه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة١٩١٩.
-ابن نعيم الاصبهاني(ت٤٣٠هـ)، **حلية الاولياء وطبقات الاصفياء**، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٦٧.
-ابن واصل، **مفرّج الكروب في تاريخ بني ايوب**، تحقيق الشيّال.
-ابن يحيى، صالح، **تاريخ بيروت**، وهو اخبار السلف من ذريّة بحتر بن علي امير الغرب ببيروت، اشرف على تحقيقه فرنسيس هورس اليسوعي وكمال سليمان الصليبي، وغيرهما، دار المشرق، المطبعة الكاثوليكية، بيروت١٩٦٩.
-ابن يوحنا، ابراهيم، (القرن العاشر م)، نشر نصّه من قبل حبيب الزيات بخصوص حياة البطريرك الملكي الانطاكي كريستوفوروس(ت ٩٦٧م).
-ابو اسماعيل، سليم، **الدروز**، بيروت ١٩٥٥.
-ابو الفداء، **المختصر في أخبار البشر**، دار الكتاب اللبناني، بيروت ١٩٦٠.
-ابو الفرج الاصفهاني، **كتاب الاغاني**، ملتزم الطبع الحاج محمد افندي ساسي، تصحيح احمد الشنقيطي، مطبعة التقدّم بشارع محمد علي بمصر، ٢١ جزءا + ٤ اجزاء فهارس، مصر ١٣٢٣/١٩٠٥. ط. اخرى تحقيق علي البجاوي، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٣٥.
-ابو تمّام، **ديوان الحماسة**، مصر ١٩٥٥.
-ابو زرعة، عبد الرحمن بن عمرو(ت٢٨١هـ)، **تاريخ ابي زرعة**، ط. **مجمع اللغة العربية**، دمشق ١٩٨٠ . ط. دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٦ .
-ابو زيد البلخي(ت ٣٢٢/١٩٣٣)، **كتاب البدء والتاريخ**، جزءان، دارالكتب العلمية، بيروت١٩٩٧.
-ابو صالح، عباس، **تاريخ الموحدين الدروز**، منشورات المجلس الدرزي للبحوث، بيروت(دون تاريخ).
-ابو موسى الحريري، **العلويون النصيريون**، بيروت١٩٨٠.
-ابويوسف، يحيى بن آدم، والحافظ ابي الفرج بن رجب، نصوص كتب الفقهاء الثلاثة منشورة في كتاب، **في التراث الاقتصادي الاسلامي**، مع تقديم ودراسة للفضل شلق، دار الحداثة، بيروت ١٩٩٠.

-الازدي، ابو اسماعيل محمد بن عبدالله الازدي البصري(ت٢٣١هـ)، **كتاب فتوح الشام**، نشر وليم ناسوليس الايرلندي، كلكوتا ١٨٥٤.
-اسماعيل، عادل، **المردائيون(المردة)**، دار النشر للسياسة والتاريخ، بيروت٢٠٠٠ .
-الاصفهاني، العماد، **خريدة القصر وجريدة العصر**، ط. فيصل، دمشق، ١٩٥٩،١٩٦٨. ط.فيصل وتحقيق عمر السعيدي، المعهد الفرنسي، دمشق ١٩٧٢. **تاريخ دولة آل سلجوق**، ط. مصر ١٩٠٠.
-اغابيوس المنبجي(القرن الرابع /العاشر)، **كتاب العنوان**، او **تاريخ المنبجي**، تحقيق عمر تدمري، دار المنصور، لبنان ١٩٨٦.
-الامين(السيد محسن)، **خطط جبل عامل**، الدار العالمية، بيروت ١٩٨٣.
-الانطاكي، سعيد بن يحيى(١٠٦٦/٤٥٨)، **تاريخ الانطاكي**، المعروف بصلة تاريخ اوتيخا، تحقيق عمر تدمري، جروس برس، طرابلس لبنان١٩٩٠.
-بدوي، عبد الرحمن، **مذاهب الاسلاميين**، بيروت ١٩٧٣.
-البستي، محمد(ت٣٥٤هـ)، **مشاهير علماء الامصار**، القاهرة ١٩٥١.
-**بعلبك**، دليل وزارة السياحة اللبنانية، نصّ د. حسّان سركيس، بيروت ١٩٩٨.
-البلاذري، احمد بن يحيى(ت٨٩٢/٢٧٩)، **كتاب فتوح البلدان**، نشره د. صلاح الدين المنجّد، مكتبة النهضة المصرية، ٣ اقسام، القاهرة ١٩٥٦. طبعة اخرى في دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٧٨. **انساب الاشراف**، تحقيق محمد حميدالله، دار المعارف بمصر، قسم ٢ من جزء ٤ نشرهمشلو سنجر، القدس ١٩٨٣. قسم ٤ من ج ١ تحقيق احسان عباس، المعهد الالماني، بيروت ١٩٧٩.
-البلوي، ابو محمد عبدالله(ت القرن الرابع/العاشر)، **سيرة احمد بن طولون**، تحقيق كرد علي، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة(لاتاريخ).
-بولس، جواد، **لبنان والبلدان المجاورة**، دار بدران، بيروت ١٩٧٣.
-البيروني، ابو الريحان محمد، **الآثار الباقية عن القرون الخالية**، دار صادر، بيروت(لا تاريخ).
-بيضون، ابراهيم، " لبنان في العهدين الاموي والعباسي" **في لبنان في تاريخه وتراثه**، مركز الحريري الثقافي، بيروت ١٩٩٣.
-تدمري، عمر، **لبنان من الفتح الاسلامي حتى سقوط الدولة الاموية**، جروس برس، طرابلس لبنان١٩٩٠. **لبنان من قيام الدولة العباسية حتى سقوط الدولة الاخشيدية**، جروس برس، طرابلس -لبنان١٩٩٢. **لبنان من السيادة الفاطمية حتى السقوط بيد الصلبيين**، دار الايمان، طرابلس-لبنان ١٩٩٤.
-**التراث الاقتصادي الاسلامي**، تقديم الفضل شلق، ويتضمن نصوص مسألة الخراج لابي يوسف ولغيره، دار الحداثة، بيروت ١٩٩٠.

-التنوخي، القاضي ابو علي المحسن(ت٣٨٤هـ)، **نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة**، ج١ ط. عبود الشالجي،١٩٧١.
-الثعالبي، ابو منصور عبدالله(ت٤٢٩هـ)، **ثمار القلوب في المضاف والمنسوب**، مصر ١٩٦٥.
-جابر آل صفا، محمد، **تاريخ جبل عامل**، بيروت(لاتاريخ للنشر).
-الجميّل، ناصر، **لبنان من الوثنية إلى المسيحية**، بيروت ٢٠٠٠.
-الجهشياري(ت ٣٣١هـ)، **الوزراء والكتاب**، دار الفكر الحديث، بيروت ١٩٨٨.
-حتي، فيليب، **تاريخ سوريا ولبنان وفلسطين**، ترجمة كمال يازجي، بيروت١٩٥٨. **لبنان في التاريخ**، دار الثقافة، بيروت ١٩٥٩.
-حرب، انطوان خوري، **لبنان، جدلية الاسم والكيان عبر ٤٠٠٠ سنة**، منشورات مؤسسة التراث اللبناني، بيروت٢٠٠٠.
-حمزة بن علي، **رسائل الحكمة**، دار لاجل المعرفة، ٤ اجزاء، لبنان١٩٨٦.
-الحميري، **الروض المعطار في خبر الاقطار**، تحقيق احسان عباس، مكتبة لبنان، بيروت ١٩٧٥.
-خريستوس بابا دوبولس، **تاريخ كنيسة انطاكية**، تعريب الاسقف استفانس حدّاد، منشورات النور، بيروت ١٩٩٤، نقلا عن انتيخس ونكتاريوس.
-خسرو، ناصر(ت٤٨١/١٠٨٨)، **سفرنامه**، رحلة ناصر خسرو إلى لبنان وفلسطين ومصر والجزيرة العربية في القرن الخامس الهجري، نقلها إلى العربية د. يحيى الخشّاب، دار الكتاب الجديد، ط. ٣ بيروت ١٩٨٣.
-الخطيب البغدادي، (ت٤٦٣)، **تاريخ بغداد**، مطبعة الخانجي وغيرها١٩٣١.
-الخوري، منير، **صيدا عبر حقب التاريخ**، منشورات المكتب التجاري، بيروت ١٩٦٦.
-خويه، ميكال يان دي، **القرامطة**، ترجمة وتحقيق حسني زينه، دار ابن خلدون بيروت ١٩٨٦.
-الدبس، يوسف، **من تاريخ سورية الدنيوي والديني**، بيروت ١٨٩٩.**الجامع المؤصل في تاريخ الموارنة المؤصل**، بيروت١٩٠٥ .
-الدواداري، ابن ايبك عبدالله(ت٧٣٦/١٣٥٥) **كنز الدرر**، تحقيق بيرند راتكه، ٩ اجزاء، المعهد الالماني، القاهرة ١٩٨٢.
-الدوري، تقي الدين، **صقلية وعلاقتها بدول البحر المتوسط**، بغداد١٩٨٠.
-الدويهي، اسطفانوس، **اصل الموارنة**، تحقيق انطوان ضو ، اهدن١٩٧٣. **الشرح المختصر**، نشر الاباتي فهد، لبنان ١٩٧٤ . **تاريخ الطائفة المارونية**، نشر الشرتوني١٨٩٠.

-**ديوان ابن الخيّاط**(ت٥١٧ هـ)، تحقيق خليل مردم بك، دمشق ١٩٨٥.
-**ديوان ابن خفاجه**، مصر ١٢٨٦هـ .
-**ديوان ابي الطيّب المتنبي**، نشر مصطفى السقا وآخرين، مطبعة مصطفى البابي، مصر ١٩٣٦. **العرف الطيّب في شرح ديوان ابي الطيّب**، ط. صادر بيروت.
-**ديوان ابي نواس**، الخمريات، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب، بيروت ١٩٧١.
-الذهبي، شمس الدين محمد(ت٧٤٨)، **تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام**، تحقيق عمر تدمري، ٣٠ جزءا، دار الكتاب العربي، بيروت١٩٨٧-١٩٩٣.
-الرازي، ابو محمد عبد الرحمن ابو حاتم(ت٣٢٧)، **تقدمة المعرفة** لكتاب الجرح والتعديل، حيدر آباد ١٩٥٢.
-رستم، اسد، **الروم وصلاتهم بالعرب**، جزءان، دار المكشوف،١٩٥٥. **كنيسة مدينة الله انطاكية العظمى**، منشورات النور، بيروت ١٩٥٨ . وللكتابان طبعة جديدة ضمن المجموعة الكاملة في المنشورات البوليسية جونية.
-رضا، الشيخ احمد، مجلة **العرفان**.
-الروذرواري، ظهير الدين(ت٤٨٧/١٠٩٤)، **ذيل كتاب تجارب الامم**، مع نخب من تواريخ شتى، نشر امدروز، مصر ١٩١٦.
-الزبير ابن بكّار، **جمهرة نسب قريش**، القاهرة ١٣٨١هـ.
-زكّار، سهيل، **تاريخ اخبار القرامطة**، جمع وتحقيق لمصنفات كلّ من المؤرخين الاتية اسماؤهم عن القرامطة: ثابت بن سنان-علي بن عبيدالله العباسي العلوي- النيسابوري-عبدالله الهمذاني-ناصر خسرو-محمد بن مالك- الجوزي- الازدي-ابن العديم-النويري-المقريزي-الخزرجي)١٩٨٠.
-زياده، نقولا، **الجغرافية والرحلات عند العرب**، الدار الأهلية، بيروت ١٩٨٢ . **عربيات**، دار رياض الريّس، لندن، ١٩٩٤.
-زيدان، جرجي، **تاريخ التمدّن الاسلامي**، ٥ اجزاء، (لاتاريخ ولا مكان للنشر).
-سيّد، ايمن فؤاد، **الدولة الفاطمية في مصر**، تفسير جديد، الدار المصرية اللبنانية، ط ٢، ٢٠٠٠.
-السيوطي، جلال الدين(ت٩١١/١٥٠٥)،**تاريخ الخلفاء**، المكتبة التجارية، القاهرة ١٩٦٩.
-الشتري، **النضيرة في محاسن اهل الجزيرة**، دار الثقافة١٩٧٠.

-الشدياق، طنوس، **كتاب اخبار الاعيان في جبل لبنـــان**، نشـر فـؤاد افـرام البستاني، جزءان، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٧٠.
-الشهرستاني، **الملل والنحل**، تحقيق محمد كيلانـــي، جــزءان، دار صعـب، بيروت١٩٨٦.
-شيخو، لويس، مجلة **المشرق**،١٩١٢.
-الصليبي، كمال، **منطلق تاريخ لبنان**، منشورات كارافان، بيروت ١٩٧٩.
-الصولي، ابو بكر محمد(ت٣٣٥هـ)، **اخبار الراضي بالله**، نشر هيـورث، ط. الصاوي، القاهرة ١٩٣٦.
-ضو، بطرس، **تاريخ الموارنة**، من مار مارون إلـــى يوحنـا مـارون، دار النهار، بيروت١٩٧٠ .
-ضومط، انطوان، "التجارة في كونتية طرابلس فـي العـهد الفرنجـي"، فـي **المناطق اللبنانية في ظلّ الإحتلال الفرنجي**، دار فيلون، لبنان ١٩٩٧.
-الطبراني(ت ٣٦٠هـ)، **المعجم الصغير**، نشر عبد الرحمن عثمان، المدينـة المنوّرة.
-الطبري، محمد(ت٣١٠/٩٢٢)، **تاريخ الامم والملوك**،١٣ جزءا، دار القـلموس الحديث، بيروت(لا تاريخ). **جامع البيان عن تأويل آي القـــرآن**، دار المعـارف بمصر.
-الطويل، محمد بن غالب، **تاريخ العلويين**، قرضه ونقده الاستاذ العارف الشيخ عبد الرحمن الجند، دار الاندلس، بيروت ١٩٦٦.
-عاشور، سعيد، **الحركة الصليبية**، مصر ١٩٦٣.
-عثمان، هاشم، **تاريخ الشيعة في ساحل بلاد الشـــام**، منشـورات الاعلمـي، بيروت ١٩٩٤.
-العظيمي، **تاريخ حلب**، تحقيق ابراهيم زعرور، دمشق١٩٨٤.
-**العيون والحدائق في اخبار الحقائق**(مؤلف مجهول)، تحقيق نبيله عبد المنعـم داود، الجزء الرابع- القسم الاول مطبعة النعمان، النجف-العراق، ١٩٧٢، والجـزء الرابع-القسم الثاني مطبعة الارشاد-بغداد١٩٧٣. تحقيق عمر الســعيدي، المعهـد الفرنسي بدمشق ١٩٧٢ .
-فريحه، انيس، **معجم أسماء المدن والقرى اللبنانية**، مكتبة لبنان ١٩٥٦.
-فهد، الاباتي بطرس، **كتاب الهدى**، دستور الطائفة المارونيـــة فـي الاجيـال الوسطى، حلب ١٩٣٥؛ ط. اخرى في دار لحد خاطر، بيروت١٩٨٥.
-فهمي، نعيم، **طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغـــرب**، الهيئـة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٧٣.
-الفيروز ابادي ، **القاموس المحيط** .

-فييه، موريس، **احوال النصارى في خلافة بني العباس**، دار المشرق، بيروت ١٩٩٠.
-القزويني، زكريا بن محمد(١٢٨٣/٦٨٢)، **آثار البلاد واخبار العباد**، بيروت١٩٥٠.
-القطّار، الياس، **نيابة طرابلس في عهد المماليك**، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت ١٩٩٨ . **المارونية في امسها وغدها**، دير نسبيه-غوسطا-لبنان١٩٩٧، ط.٢ ٢٠٠٠.
-القطّار، الياس، وانطوان ضومط و جوليات الراسي ومونيك مراد، **الشرق العربي في القرون الوسطى**، الدار اللبنانية للنشر الجامعي، بيروت ١٩٩٦.
-القلقشندي، ابو العباس احمد(ت١٤١٨/٨٢١)، **صبح الاعشى في صناعة الانشا**، ١٤ جزءا، القاهرة١٩٦٣ .
-**قواعد الاداب حفظ الانساب**، لمؤرخ مجهول، تحقيق الياس القطّار ، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت١٩٨٦.
-كرد علي، محمد، **خطط الشام**، ٦ اجزاء، دمشق ١٩٢٥.
-الكندي، محمد بن يوسف(ت ٣٥٠هـ)، **كتاب الولاة والقضاة**، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت ١٩٠٨.
-لا روود، الين ومارلين راشكا، باشراف الدكتور حسّان سركيس، دليل **سهل البقاع**، منشورات وزارة السياحة في لبنان.
-لامنس، هنري، **تسريح الابصار في ما يحتوي لبنان من أثار**، دار الرائد اللبناني، جزءان، بيروت ١٩٨٢.
-**لسان العرب**، ط. مصر.
-لويس، ارشيبالد، **القوى البحرية والتجارية في حوض البحرالمتوسط**، القاهرة١٩٦٠.
-ماجد،عبد المنعم، **الإمام المستنصر**، القاهرة، ١٩٦٠. **التاريخ السياسي للدولة العربية، عصر الخلفاء الامويين**، مكتبة الجامعة العربية، .
-المحمصاني، صبحي، **الأوزاعي وتعاليمه الانسانية والقانونية**،بيروت١٩٧٨ .
-المسبحي، محمد(١٠٢٩/٤٢٠)،**اخبار مصر**، تحقيق ايمن فؤاد سيد وتياري بيانكه، المعهد العلمي الفرنسي، القاهرة ١٩٧٨.
-مسعد، بولس، ووهيبة الخازن، **الاصول التاريخية**، بيروت، ١٩٥٦-١٩٥٨.
-المسعودي، ابو الحسن علي(ت٩٥٦/٣٤٦)، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، طبعة بربيه دو مينار المنقحة والمصححة من شارل بلا، منشورات الجامعة اللبنانية، بيروت١٩٧٤ . **التنبيه والاشراف**، دار ومكتبة الهلال، بيروت١٩٩٣.

-المقدسي، شمس الدين، **احسن التقاسيم لمعرفة الاقاليم**، ط.مخزوم، دار احياء التراث العربي، بيروت ١٩٨٧.
-المقريزي، تقي الدين احمد(ت٨٥٤/١٤٤١)، **اتعاظ الحنفا باخبار الائمة الفاطميين الخلفا**، وللكتاب طبعتان، الاولى ط. دار الايتام، نشره هوغو بونز بنسخة وحيدة في فلسطين ١٩٠٩. والطبعة الثانية صدرت عن وزارة الاوقاف في مصر في ثلاثة اجزاء، نشر الجزء الاول جمال الدين الشيال، والجزئين الثاني والثالث محمد حلمي احمد، ط.٢ القاهرة ١٩٩٦.
-مكي، محمد، **لبنان من الفتح العربي إلى الفتح العثماني**، دار النهار للنشر، بيروت١٩٧٧.
-المنبجي، اغابيوس(القرن الرابع هـ)، **المنتخب من تاريخ المنبجي**، تحقيق عمر تدمري ، بيروت١٩٨٦.
-**المنجد في الاعلام**، ط. ٧، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٩٧٣.
-نصر الله، حسن، **تاريخ بعلبك**، جزءان، مؤسسة الوفاء، بيروت ١٩٨٤.
-النووي، ابو زكريا محي الدين(ت٦٧٦)، **تهذيب الاسماء واللغات**، منشورات الاسدي.
-النويري، شهاب الدين احمد(ت٧٢٢/١٣٢٢)، **نهاية الارب في فنون الادب**، ٣١جزءا ، ومن المشاركين في التحقيق:محمد الحيني، احمد زكي، حسين نصار، محمد الفيل، سعيد عاشور، محمد أمين، محمد الريس واالباز العريني، مصر بدأ ب ١٩٥٤ الى١٩٩٢.
-هايد، ف، **تاريخ التجارة في الشرق الأدنى في العصور الوسطى**، عرّبه عن الترجمة الفرنسية احمد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة ١٩٨٥.
-الهروي، (ت٦١١هـ)، **كتاب الاشارات إلى معرفة الزيارات**، تحقيق جانين سورديل-طومين، المعهد الفرنسي، دمشق١٩٥٣.
-هزيم، اغناطيوس (البطريرك)، " فتح العرب لبلاد الشام واثاره الفكرية والاجتماعية"، **لبنان في تاريخه وتراثه**، مركز الحريري الثقافي، بيروت ١٩٩٣.
-الهمداني، محمد بن عبد الملك، **تكملة تاريخ الطبري**، تحقيق البرت كنعان، المطبعة الكاثوليكية، ط.٢ بيروت ١٩٦١.
-الواقدي، محمد بن عمر(ت٢٠٧/٨٢٢)، **فتوح الشام ومصر والعراق**، دار الجيل، بيروت.
-اليافعي، (ت٧٦٨هـ)، **مرآة الجنان وعبرة اليقظان**، دار الكتاب الاسلامي، القاهرة، ط.٢ ١٩٩٣ .
-ياقوت الحموي، شهاب الدين(ت٦٢٦/١٢٢٨)، **المشترك وضعا والمفترق صقعا**، ط. عالم الكتب، بيروت ١٩٨٦. **معجم البلدان**،٥ اجزاء، بيروت١٩٥٥.

-اليعقوبي، أحمد(٢٨٢/٨٩٥)، **البلدان**، ط. وستنفلد، ليدن ١٨٩٢، وطبعة مصوّرة عنها في دار صادر بيروت (دون تاريخ). **تاريخ اليعقوبي**، دار بيروت، ١٩٨٠.

المصادر والمراجع الاجنبية

-Birot, P. et J.Dresch, **La Méditerranée et le monde méditerranéen**, t.II,Paris1956.
-Braudel, F, **La Méditerranée et le monde méditerranéen à l'époque de Philippe II**, 2t., Paris 1966, 2ème éd..
-Cahen, Cl., "évolution de l'iqta du IX au XIII e.s.", **Annales, ESC**, 1953, pp25-52. "L'évolution sociale du monde musulman face à celle du monde chrétien jusqu'au XIIe,s.", in **Cahiers de civilisation médiévale**,1958 et 1959. "Day'a" et "Ikta'" , in **E.I.2**. **L'Islam, des origines au début de l'empire ottoman** Bordas, 1980.**Contribution à l'histoire de Tripoli à l'époque des croisades**, Paris 1980.
-Canard, Marius,**Sayf al- Dawla**, 1934.
-Carra de Vaux, B.,art." tanasukh",**E.I.**, ancienne éd.t.IV,pp.681-682.
-Chalhoub, G, **Recherches sur les Mardaites -Garagima**, Kaslik-Liban1999.
-Chevallier, D, **La société du Mont Liban à l'époque de la révolution industrielle en Europe**, Paris,1971.
-Combe, K. et Sauvaget, et G.Wiet, **Répertoire chronologique d'épigraphie arabe**, Inst.Arch..Or., le Caire 1931-1944,T.VIII.
-Dib, Mgr.P, **Dict.de Theo.Cath**.t.X,p.1-50.
-Ducellier, A, et autres, **Le proche -Orient médiéval**, Hachette,1978.
-Dussaud, R, **La pénétration des arabes en Syrie avant l'Islam**, Paris 1955.
-Elisséeff, N, **L'Orient musulman au Moyen- Age**, A.Colin,Paris 1977. "Bayrut", **E.I2**,T.I p.1172.
-Feghali, Mgr, textes druzes, **Mélanges Maspero**, V.III, le caire 1934,pp.83-96.
-Grousset, R, **L'Empire du Levant**, Payot, Paris1979.

-Hamadé, Muhammad, **Recherches historiques médiévales sur les Chiٔites du Liban,de Syrie et de Djazira**, Thèse dactylographiée, Université de Paris I ,Paris 1973.
-Hodgson, M.G.S. art " Duruz".**E.I.2**,.t II, p.647.
-Ibn Battuta, **Voyages d'Ibn Battuta**, 4t.Paris MDCCCLIII.
-Joshua the stylite, **The Chronicle of Joshua the Stylite**, translation by W.Wright, Cambridge Univ.Press.1882.
-Lammens, H, **La Syrie**. 2 V.,Beyrouth1921. **E.I.2**,T.I,p448.
-Lavoix, Henri, **Catalogue des Monnaies**, Paris 1896.
-Madelung, W, "Isma iliyya", **E.I.2**,t.IV,p.206.
-Mahmasani, Sobhi, in **Le livre et le Liban,** PUB. De C. Boussouan, UNESCO, PARIS, pp. 78-79.
-Mantran, R, **l'expansion musulmane**, Paris 1969.
-Massignon, L, "Nusairi" **E.I**.I,T.IV,p.1030,
-Michel le Syrien, **Chronique**, éd. Chabot,t.III, t.IV.
-Naaman, P, **Théodoret de Cyr et le monastère de Saint Maroun**, Kaslik-Liban 1987.
-Peroy, E, en collaboration avec Cl.Cahen, **Hist. Géne. des Civ**., **Le Moyen-Age**, 2ème éd. Paris 1957.
-Pirenne, H., **Histoire économique et sociale du Moyen-Age**, P.U.F.Paris 1969.
-Putman, Hans, **l'église et l'Islam sous Timothée I (780-823**). Dar Al-Machreq, Beyrouth 1986.
-Rondot, P, "Brèves réflexions sur les structures du Liban", **Orient** 6(1958)pp.23-36.
-Salibi, K, " The Maronites of Lebanon under Frankish and Mamluk rule". **Arabica** IV(1957) pp 288-303.
-Sanlaville, Paul,"La personalité géographique du Liban", **Revue géographique de Lyon**,Vol.44(1969).
-Sarkis, Hassan S, "Inscriptions coufiques du chateau de Tripoli", **Bulletin du musée de Beyrouth** 1971,pp.64-67,75-76.
-Sauvaget, et G. Wiet, **Répertoire chronologique d'épigrahie arabe**, Institut français d'archéologie orientale, le caire 1931.
-Schlemberger, , **l'épopée byzantine**, Paris 1896- 1905.
-Shehab, Maurice, **Tyr à l'époque des Croisades**, histoire sociale économique et religieuse.t II,A.Maisonneuve, Paris1979.
-Sourdel-Thomine, J, " Balabak",**E.I.2**,t.I,p.1000.

-Theodoret de Cyr, **Histoire des moines de Syrie**, II, sources chrétiennes, texte critique, Traduction , Notes et Index par P.Canivet et A.Leroy Molinghen, éd.le cerf 1979.
-Theophanes, **Anni Mundi, The Chronicle of Theophanes**, An english translation by Harry Turtledove, University of Pennsylvania,1982.
-Vaumas, Et.de, " Les conditions naturelles de l'occupation humaine du Liban", **Annales de géographie** 57(1948), pp40-49.

فهرس الاعلام والامكنة

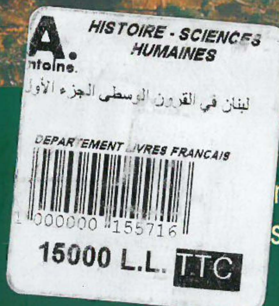
Le Liban à l'époque médiévale

Vol. 1

De la conquête arabo-musulmane à l'occupation franque
(13-491-634-1098)







Elias Kattar
...r d'histoire médiévale
...s-Université Libanaise

Beyrouth - 2003